

معيار النعم ومبدا النعم

للشيخ الإمام قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي المنوفى ٧٧١ هـ

محقق وضبطه وعلقه عليه

أبو زيد شبلبي

محمد علي التجار

محمد بوالعيون

الناشر مكتبة النخاس بالعامرة

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ، ونصلي ونسلم على نبيك محمد المبعوث رحمة للعالمين ،
وهادياً للمسترشدين ، وعلى آله وصحبه الهداة المهديين .

وبعد ؛ فإننا نقدم للناس كتاب « معيد النعم ، ومبيد النقم » لأبي نصر
تاج الدين السبكي ، في معرض جديد ، وثوب قشيب ، بعد أن بذلنا في تصحيحه
وضبطه ، وتحقيق متنه ، ما يحسنه القارى ، ونرجو المثوبة من الله عليه .
وقد كانت طبعته السالفة مشحونة بشتى أنواع التحريف والتصحيف ،
وضروب الإحالة والتغيير !

ولقد عنت فكرة العمل في هذا الكتاب منذ قرابة أربع سنوات
للأستاذ الجليل الشيخ محمد يوسف موسى رئيس « جماعة الأزهر للنشر
والمأليف » على أثر قراءته الكتاب وتبين خطره وجلالته . فأخذ في
الإعداد له وابتدأ العمل فيه مع أحدنا ، ولكن عرض أن سافر في رحلة
علمية إلى فرنسة — رده الله منها إلى الوطن العزيز سالماً — فقمنا بهذا العمل ،
ويعلم الله ما كلفنا من جهد ونصب .

وإننا نرجو أن يلاقى هذا الكتاب من التفاف والإقبال عليه والانتفاع به
ما هو أهله ؛ فإنه من خير الأسفار ، وأجل الآثار التي أخرجت للناس .

مقدمة

التعريف بالمؤلف - آثاره - معيد النعم

(١) المؤلف : التاج السبكي

ولد التاج السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بالقاهرة ، في سنة ٧٢٧ هـ . ويرى بعض من ترجم له أن ولادته كانت سنة ٧٢٨ ، ويرى آخرون أنه ولد سنة ٧٢٩ .

ونشأ عبد الوهاب في بيت عريق في العلم والتقى والرياسة ؛ فأبوه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وبحسبك هذا تنبيهاً على نباهة بيته وشرف منصبه ؛ وإننا في هذا المقام ننوّه بكتاب « البيت السبكي » الذي وضعه الأستاذ الجليل والباحث الكبير محمد الصادق حسين بك ، فلقد وثق البحث حقه ، وأظهر من اللوذة والنقد ما هو به قمين .

وجهه أبوه توجيهاً علمياً صادقاً ، ونشأه على الجسد والدرس . فتلقى العلم عن أبيه وعن غيره من علماء مصر كأبي حيّان النحويّ الكبير . حتى إذا أسند إلى أبيه قضاء الشام في سنة ٧٣٩ رحل عبد الوهاب معه ، واستقرّ بدمشق ، وانخذلها وطنه ، وأخذ عن شيوخها ومحدثيها ؛ كالذهبيّ والميزيّ ، وتفقه شافعيًا بآب النقيب^(١) ، وقد أجازته هذا بالفتيا وهو لم يبلغ العشرين من سنه . وقد ولي توقيع الدست عن نائب الشام أمير علي الماردينيّ ، وهي وظيفة جليلة ، كان صاحبها يكتب على القصص في دار العدل بجوار كاتب السرّ

(١) هو محمد بن أبي بكر ، مدرس الشافعية البراية بدمشق ، وصاحب النووى . توفي

وتولّى بعد هذا نيابة الحكم عن أبيه قاضى القضاة ، فجمع له بين الوظيفتين ؛
وفى ذلك يقول أبوه يعظه ويوصيه :

أموقع الدست الشريف ، ونائب الحكم العزيز ، ومفتى الإسلام
خف من إلهك أن يراك وقد نهاك ، وما انتهيت وملت الآثام
وولى مع هذا بعض وظائف التدريس فى مدارس دمشق . حتى إذا كانت
سنة ٧٥٦ هـ أحس والده ضعفا ، وعلمته الكبرة وغشيته الشيخوخة ؛ فنزل
لعبد الوهاب عن قضاء الشام ، وانتقل هو إلى مصر حيث وافته منيته فى
عامه هذا .

وظلّ التاج فى منصب قضاء قضاة الشام ووظائف أخرى جلييلة ؛ حتى
أصيب بالطاعون فى سنة ٧٧١ هـ وهو فى منزله بالدهشة بظاهر دمشق . ودفن
فى سفيح قاسيون^(١) فى مقبرة السبكبة .

وقد جرت عليه فى أثناء تولّيه القضاء فى دمشق مِحَنٌ عزل فيها ، ولكنّه
خرج منها سليما لم تنل منه ، ولم تغضّ من شأنه ؛ وأغلب الظنّ أن ذلك كله
من حوك الدسائس ونسج أيدي الحساد والشائئين . وكان للبيت السبكى نظراء
ينفسون عليه ما بلغه من مجد وسناء ورفعة شأن ، وكان من هؤلاء ابن
فضل الله العمرى صاحب « مسالك الأبصار » ، وغيره من أصحاب الرأى فى دولة
المماليك . وكان من الناس من يطمح إلى منصب قضاء القضاة ، ويحسّد التاج
عليه ، ويبغى له الغوائل لعل أن يخلفه ، وينعم بخيره . وقد كانت المناصب
تُنال بالسعى وبذل المال ؛ يذكر ابن الوردى فى تاريخه^(٢) فى حوادث سنة ٧٤٠ هـ
أن برهان الدين الرّسّعنى بذل لطرغاي نائب حلب مالا ، حتى جعله قاضى
قضاة الشافعية فيها ، ولذلك لم يصادف راحة فى ولايته . قال ابن الوردى :
ويعجبني قول القائل :

(١) بالسين المهملة والياء تفتحها ، بطان مضمومة . . الحل المشرف على مدينة دمشق
وفى سفيحه مقبرة أهل الصلاح . . معجم البلدان لياقوت ج ٧ ص ١٢ .
(٢) ح ٢ ص ٣٢٨ .

فلان لا نحزن إذا نُكبت ، واعرِف ما السبب
ما تولى حاكم بفضة إلا ذهب
ونرى أن من أسباب محنة التاج السبكي عداوة البيت السبكي لابن تيمية ،
ولابن تيمية أنصار وأتباع كثيرون في الشام . فلا بدّ أنهم أزمعوا على
الكيد له ، وأجمعوا أمرهم على التدبير عليه . وسيرى القارىء أن الذى قضى
بسجنه في قلعة دمشق ابن قاضى الجبل قاضى قضاة الحنابلة ، وكان من تلامذة
ابن تيمية والمتعصبين له .

ويقول صاحب الدرر الكامنة^(١) : « وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة
مرّة بعد مرّة ، وهو مع ذلك في غاية الثبات . ولما عاد إلى منصبه صفح عن كل
من أساء إليه . ويتبين من هذا أن الانهام كان مبعثه العداوة من أناس بينه
وبينهم شحناء وشنآن ، وأنه كان حليما واسع الصدر ، عزوفا عن الانتقام .
وكانت إحدى محنه سنة ٧٦٣ هـ وفي هذه المرّة ولى أخوه البهاء السبكي
قضاء القضاء مكانه ، وولى هو وظائف أخيه في مصر ، ومكث البهاء في هذا
المنصب ثمانية أشهر .

وكانت محنته الأخيرة سنة ٧٦٩ هـ ويقول صاحب الدرر الكامنة « وكان
من أقوى الأسباب في عزله المرّة الأخيرة أن السلطان لما رسم بأخذ زكوات
التجار في جمادى الأولى سنة ٧٦٩ هـ وجد عند الأوصياء جملة مستكثرة ، لكنّها
صرفت بوصولات ليس فيها تعيين اسم القايض . فأريد من ناظر الآيتام أن
يعترف أنّها وصلت للقاضى ، فامتنع ؛ قال الأمر إلى عزل القاضى ، وترى من
هذا أنّه وجد أوراق فيها أخذ أموال من التجار برسم الزكاة ، ولم يبين
مصارفها ، فاتهم بها القاضى ، ولم يكن هناك حجة على وصول المال إلى القاضى ،
فتحيلوا على عزله بهذا . وليس هذا هو السبب الحقيقى لهذه المحنة ، إنما هو أن

أمير على المارديني الذي كان نائب الشام ، وعمل معه التاج موقعا للدست ،
ونائبا للحكم ، وقاضى القضاة كان منحرفا عنه ، ولا بد أن يكون ذلك لوشايات
بلغت عنه ، أو لأن التاج خالفه في بعض هواه ، ونقم عليه بعض مالا يرضاه .
وترى في تاريخ المارديني أنه كان رجلا محبا للعلماء ، سالكا الجادة ، محالفا
لسنن الشرع ، ولكنه — على كل حال — حاكم يسوءه أن يخالف في بعض
أمره ، وكان التاج في قضائه صارما لا يلين في الحق ولا يرهبه سلطان .

وهذا الأمير ولى في سنة ٧٦٩ نيابة مصر بعد نيابة الشام ، فاتسع سلطانه ،
وقويت كلمته ، وكان أول شيء تكلم فيه واهتم له عزل تاج الدين من قضاء
الشام ؛ وولى مكانه الشيخ سراج الدين البلقيني . ووجهت الخصومة إلى تاج الدين
وعقد له مجلس حكم ، حكم عليه فيه ابن قاضى الجبل^(١) بأن يحبس ستة .
وقد أعيد تاج الدين إلى منصبه بعد أن مكث في السجن في قلعة دمشق
ثمانين يوما .

ويذكر الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ في محنة التاج : أن ذلك لاثمته بالزندقة
وما يتبعها . قال في « الأجوبة المرضية »^(٢) ، عن أئمة الفقهاء والصوفية : « إن
أهل زمانه رموه بالكفر واستحلال شرب الخمر والزنى ، وأنه كان يلبس
الغيار^(٣) ويشد الزنار^(٣) بالليل ، ويخلعهما بالهار ، وتحزبوا عليه ، وأتوا
به مقيدا مغلولاً إلى مصر ، وجاء معه خلائق من الشام يشهدون عليه . ثم
تداركه اللطف على يد الشيخ جمال الدين الإسنوى . ومن عجيب الأمر أن مثل
هذه التهمة جرت على قاضى القضاة ابن بلت الأعز ، وقد حكاهما التاج

(١) هو أبو العباس أحمد بن الحسن الحنبلى ، بقول فيه صاحب الدرر : « ولى القضاء سنة ٧٦٧
فلم يحمده في ولايته » توفي سنة ٧٧١ .

(٢) انظر كتاب جلاء العيتين في محاكمة الأحمدين ص ١٦ .

(٣) الغيار ما يلبسه الذمى مخالفا لونه لون ثوبه ؛ كأأن يضع على ثوبه الأسود منديلا أحمر ، ومن
ذلك ما يفعله بعض المسيحيين في مصر من لبس عمامة سوداء . والزنار — على زنة رمان — خبط
عليظ يشد في الوسط فوق الثياب .

في طبقاته . فيذكر « أن ابن السكّوس وزير السلطان الأشرف كان يكره ابن بنت الأعزّ ، فكاد له ، وجهاز من شهد عليه زوراً بأمور عظام ، حتى وصل من بعضهم أن أحضر شاباً جميلاً اعترف على نفسه بين يدي السلطان بأن القاضي لا ط به ؛ وأحضر من شهد عليه بأنه يحمل الزنار في وسطه . فقال القاضي : أيها السلطان ؛ كل ما قالوه بما يمكن ؛ لكن حمل الزنار لا يعتمد عليه النصراني تعظيماً ، ولو أمكنهم تركه لتركوه ، فكيف أحمله ! قال التاج : « وكان القاضي بريئاً من ذلك بعيداً عنه من كل وجه ، رجلاً صالحاً لا يشك فيه . وآخر الأمر أنه نزل ماشياً من القلعة إلى الجبس ، وعزل وخيف عليه أن أن يحجز الوزير من يقاتله ^(١) ، وقد كان خطر بالبال أن رواية الشيخ الشعرائي هذه سرت إليه من قراءته في الطبقات ، فاستقرت في ذهنه التهمة ، ولطول العهد بها توهمها للتاج السبكيّ ، وقد يعين على هذا الخاطر أنا لم نقف على هذا في روايات المعاصرين للتاج ، وقد علمت أن الشعرائي تأخرت وفاته عن وفاة التاج بأكثر من قرن . على أن هذا حدس وظنّ قد يكون الواقع خلافه ، وقد تكرر مثل هذا الاتهام والامتحان للفضلاء ، وهو يدل على سير المتآمرين بهم على خطة متقاربة ، وسنة متشابهة ، والله حسيبهم .

ويعجبنا أن نسوق في هذا الموطن ما قاله ابن حبيب في كتابه « درة الأسلاك في تاريخ الأملاك » ، إذ يقدم التاج السبكيّ فيقول : « إمام كبير ، وحاكم خبير ، ورئيس فلك مآثره أثير ، وماجد فخر علومه في الآفاق مستطير . أغصان مكارمه باسقة ، وأنهار فضائله دافقة ، ولسان عبارته فصيح تبجحت بمرافقته أرباب السياسة ، وافتخرت بمقارنته تاجه رؤوس الرياسة ، وانشرحت بأحكامه صدور المجالس ، وتأرجت بأنفاسه أرجاء المنابر والمدارس . سمع وقرأ وكتب ، وأخذ عهد والده قدوة أهل العلم والأدب .

وأفاد المشتغلين والطلاب ، وانتفع به كثير من الأولياء والأصحاب . درس بالعادلية والغزالية ، والأمينية والناصرية ، ودار الحديث الأشرفية ، والشامية البرانية . وباشر القضاء بدمشق أربع مرّات ، ونال بخطابة الجامع الأموي أنواعاً من المسرات ، وله مصنّفات جمّة الفوائد ، منتظمة العقود والقلائد .

ملحظة التاج وبعض مزاياه :

بلغ التاج من المنزلة العلميّة المكانة العلميّة ، وقد وسم بالاجتهاد في الفقه ، وينقل السيوطي أن التاج كتب إلى نائب الشام أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق وهو مقبول فيما قال عن نفسه ، ولم يجرؤ أحد أن يردّ عليه هذه الدعوى . ويرى القاري لكتاب « معيد النعم » في التاج مزية جميلة : ذلك أنه شافعي ضليع من أركان هذا المذهب ، والذابين عنه ، والمتشددين في تأييده ، ومع هذا ينبغي على الفقهاء تعصّبهم لمذاهبهم الفرعية ، ويدعوهم إلى ترك الشقاق فيها وأن يكونوا يداً واحدة في إنكار المجمع عليه من المنكرات ، وهو يدعو إلى الأخذ من المذاهب لما فيه المصلحة ، وذلك من سعة أفقه وسداد رأيه وصحة نظره : ففي صفحة ٧٤ ينكر على من تأخذه الحية من الفقهاء والعصبيّة لمذهبه ، بحيث يمنع من الصلاة وراء من خالف مذهبه ؛ وتراه في صفحة ٢٣ حين يتكلم على قطاع الطريق وذوى الفتن والثورات كالبدو الذين اعتادوا السلب والنهب يقول : « وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم ، والمبالغة في عقوبتهم على جرائمهم ، وطول مكثهم في السجن فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهي » . ويريد ببعض المذاهب مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ، وانظر في حكم التعزير عنده ص ١٠٢ .

(ب) آثار التاج السبكي

ترك التاج السبكي آثاراً نافعة ، وقد رزق السعادة في تأليفه ، فانتشرت وانتفع بها الناس ، وسنتكلم على بعضها :

١ - فن آثاره جمع الجوامع في أصول الفقه ، وقد ختم بنبذة في أصول الدين . وهو كتاب حافل جمع فيه زهاء مائة كتاب في الأصول ، وخدمه العلماء بالشروح والخواشي ، وكان يدرس إلى عهد قريب ، في الأزهر . فرغ منه مؤلفه في سنة ٧٦٠ هـ وهو قاضى القضاة بدمشق . وزى في ختام نسخة جمع الجوامع المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٠ (أصول الفقه) ما يأتى : « قال مصنفه - أسبغ الله ظلاله - : فرغت من تصنيفه أخريات ليلة حادى عشر ذى الحجة الحرام ، سنة سنين وسبع مائة ، بمنزلى بالدهشة من النيرب ، بظاهر دِمَشق ، حماها الله » ونقل صاحب البيت السبكي خاتمة لجمع الجوامع يقول فيها المؤلف : إنه فرغ منه بمنزله بالدهشة من أرض المِزّة - وكتبت المرة - ويعتمد الأستاذ هذه الخاتمة ، ولا يرضى بما قاله بُرْكلمان : إن بيته كان فى النيرب - وكتب نيراب - ويقول الأستاذ : « ولا أدري من أين جاء بركلمان بهذا ؟ » وقد علمت مأتى كلام بركلمان . وبعد فلا تنافى بين الخاتمتين ، فقد كان منزله بالدهشة ، وهى تارة تنسب إلى المِزّة ، وتارة إلى النيرب ، لمساسها بكلمتا الخِطّتين ، وقد وقع للدوّل أن ذكر ختام كتابه فى نسختين كتبهما أو كتبتاه ، والمنزل واحد ، فهو فى الدهشة على كلتا النسختين .

٢ - - تكلمة شرح منهاج القاضى البيضاوى فى الأصول . وذلك أن والده التقي السبكي بدأ هذا الشرح وعمل منه قطعة صغيرة ، ثم أتمه التاج . ويبدو أن التاج عمل التكملة فى حياة والده ؛ فهو يقول فى ص ١٤٣ ج ١ :

« وقد وضع والدى — أطال الله بقاءه — فى هذا الفصل أرجو دة حسنة » وقد طبع هذا الكتاب فى مصر .

- ٣ — شرح مختصر ابن الحاجب ، فى الأصول . وتمامه : رفع الحاجب ، عن مختصر ابن الحاجب . (لم يطبع)
- ٤ — الترشيح ، فى اخيارات والده فى الفقه . (» »)
- ٥ — التوشيح على التنبيه . (» »)
- ٦ — الأشباه والنظائر الفقهية . (» »)
- ٧ — طبقات الشافعية الصغرى . (» »)
- ٨ — طبقات الشافعية الوسطى . (» »)
- ٩ — طبقات الشافعية الكبرى . طبع فى ستة مجلدات .

وسندكر هنا كلمة فى طبقات الشافعية . فقد عنى التاج السبكي أن يؤلف تأليفاً بجمع الشافعيين ، وتواريخ حياتهم ، وآثارهم . وقد ساعده على ذلك ما وهب له من سعة الاطلاع والزكاة ، والتحقيق والإحاطة بشتى الفنون . ويبدو أن المؤلف بنى عمله على البسط والتوسع ، وأن يذكر كل ما يعرف عن المترجم له ، وهذه خِطة الطبقات الكبرى . وعرض له فى أثناء اشتغاله بالطبقات الكبرى أن يكتب بجانبها الطبقات الوسطى ، والطبقات الصغرى ، ولا مِرية أن لكل ضرب طلابه والمستفيدين منه ، فاشتغاله بالطبقات الكبرى سبق اشتغاله بالصغرى والوسطى . ونحن نعتد فى هذا الحكم على كلام المؤلف فى الطبقات الوسطى ، والصغرى . يقول فى الطبقات الوسطى^(١) : « وبعد فقد ألفنا كتاباً فيه ، مبسوطاً حافلاً ما يرا د منه . وذلك لأننا نستوعب ترجمة الرجل على الوجه الملائم وإذا كان غلب عليه الفقه ، وقلت الرواية عنه أعملنا جهدنا فى تخريج حديثه . وربما ذكرنا فى بعض التراجم حادثة عظمت فشرحنها .

(١) انظر كشف الظنون فى الكلام على طبقات الشافعية .

ولم يحل الكتاب مع ذلك عن حكايات وأشعار ومُلح ووادِر . وكان أعظم مفاصدنا فيه أن نذكر في ترجمة كل رجل ما بلغنا عنه : من مقالة غريبة ذهب إليها ، أو وجه ضعيف عزى إليه ، أو مسألة مستغربة ذكرها في كتاب ، أو ذكرت عنه ، ولا مرأ أن هذا وصف للطبقات الكبرى . وتراه في خطبة الطبقات الصغرى يقول : « هذا مختصر لطيف في تاريخ الفقهاء الشافعيين ، أصحاب الإمام محمد بن إدريس الشافعي » ، رضى الله عنه ، جمعنا فيه ما أوردناه في كتابنا الكبير من الأسماء . واقتصرنا فيه على نبذ يسيرة . أعان الله على إكماله ، بمنّه وكرمه وإفضاله . » .

وهذا الرأى الذى رأيناه فى تاريخ الطبقات للتاج لا يرضى صاحب « البيت السبكى » . فيقول فى الحديث عن الطبقات الكبرى : « وذهب بعضهم ، كما ذهب واضعوه فهارس دار الكتب المصرية إلى أن المؤلف اختصرها فى الطبقات الوسطى ، ثم اختصر هذه فى الطبقات الصغرى ، وهذا وهم ؛ فالثابت أن الطبقات الوسطى ألّفت قبل الكبرى ، لأننا نجد فى جزء من الوسطى مخطوط : قال المؤلف رحمة الله عليه : فرغت منه فى ليلة الثالث والعشرين من ذى القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، بدمشق المحروسة ، عمرها الله تعالى اه والطبقات الكبرى إنما فرغ من تأليفها سنة ٧٦٦ هـ كما جاء فى ذيل كثير من الأجزاء ، وكما ترى فى إحدى القطع الثلاث فى صدر هذا البحث ، التى يقال : إنها بخطّ تاج الدين ؛ وثابت أن الطبقات الوسطى ألّفت وأبو المؤلف من الأحياء ؛ ففى الطبقات الكبرى أن على بن عبد الكافى كتب بخطّه على ترجمته فى الطبقات الوسطى عبارة اختتمها بقوله : كتبه على السبكى فى يوم السبت مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . لكن الطبقات الكبرى ألّفت بعد والد المؤلف ، ففى غير موضع منها يذكر المؤلف والده ويترحم عليه ، فلا نزاع إذن فى أن الوسطى ألّفت قبل الكبرى ، وقد علمت أن الذى

يؤخذ من كلام السبكي نفسه أنه ابتداءً بالطبقات الكبرى ، وكتب بجانبها الوسطى والصغرى ؛ ويقول هنا : إنه لم يتمّ الكبرى إلاّ بعد وفاة والده ، فمن ثم اختصها بترجمة والده ، وفي قراءة هذه الطبقات للمرة الأخيرة كان يترجم على والده حين يعرض له .

هذا ، وقد أسلفنا أن كتاب الطبقات الكبرى قد طبع ، ونقول الآن : إن في النسخة المطبوعة تحريفاً كثيراً ، والكتاب يحتاج إلى جهد لإخراجه في صورته الصحيحة . ونسوق من أمثلة سقم إخراج هذا الكتاب الكلام على برهان الدين السنجارى جدّ المؤلف من قبل الأّم ويقول صاحب « البيت السبكي » في هذه الترجمة الواردة في الطبقات في ص ٥٥ ج ٥ « وعبارة الطبقات في ترجمة السنجارى — على قصرها — مصحّفة على ما يظهر ، تصحيفاً لا يعين على معرفة شيء عن جده هذا ، سوى أن أّم ناج الدين من بيت علم ، وبما ورد في هذه الترجمة أن صاحبها كانت وفاته سنة ٦١٨ هـ على حين أن برهان الدين السنجارى خلف بهاء الدين بن حنّا في وزارة مصر سنة ٦٧٧ هـ فكيف تكون وفاته في السنة السالفة !

وقد ظهر أنه ألحق في الطبع بترجمة السنجارى ترجمة أخرى أدخلت في الأولى ، ولا بد أنه حذف من الأولى سنة وفاة السنجارى . والترجمة الملاحقة هي — كما في الطبقات الصغرى — ترجمة داود بن بندار بن إبراهيم الجيلي أبى سليمان ، وهذه الترجمة ابتدئ بها حرف الدال ، وترجمة السنجارى ختام حرف الحاء ؛ إذ هو الخضر بن حسن بن على ، وداود هذا هو الذى كانت وفاته سنة ٦١٨ ، فأما السنجارى فقد كانت وفاته — على ما في الطبقات الصغرى — سنة ٦٨٦ هـ .

(ج) معيد النعم ، ومبيد النقم

هذا الكتاب هو الذى استبدّ بإعجاب صاحب البيت السبكيّ ، وحفزه على أن يكتب عن التاج وعشيرته ، وهو يذكر أن هذا الكتاب التفت إليه المستشرقون ؛ فعرض له بركلهان ووستنفلد ، وتوفّر على الاهتمام به المستشرق السويديّ مهّرمّن . فلقد درس الكتاب ، ووضع له مقدّمة حافلة بحياة المؤلّف والبيت السبكيّ ، وتعليقات على الكتاب ، وأخرج من ذلك مع الكتاب نسخة طبعت في ليدن .

وقد بنى المؤلّف كتابه على ذكر ما يحفظ على الإنسان في هذه الحياة النعمة التي أسداها الله إليه ، ويدفع عنه سوء والبأساء . ومرّد ذلك إلى أن يقوم كل امرئ بما يجب عليه ، ويؤدّي حقّ العمل الذي خصّص نفسه به ، ويراعى مارسم الشرع في أمره . وقد استتبع ذلك أن يذكر الأعمال في عصره والوظائف الديوانيّة وغيرها ، ويفصّل ما يطلب في كل عمل ووظيفة ، ويذكر ما يقضى به القانون الشرعيّ حتى يفضي العمل إلى غايته الصحيحة ، ويتكوّن مجتمع صالح في هذه الحياة .

وقد أيدّه وأعانه على هذا سعة فقهه ، وخبرته بأحوال عصره ، وشئون الدولة وطبقات الناس ؛ فقد ولى وظائف تجعله بسبب قوى من الحكام ، وسواد الناس وعامة الشعب .

وقد ذكر طبقات الناس في عصره في أمثلة عددها اثنا عشر ومائة . وهذا على ما في معظم النسخ . وفي نسخة ليدن زيادة مثال ، وهو السادس والخمسون في القرّاء الذين يقرءون القرآن بالآلحان . فبلغت الأمثلة ثلاثة عشر ومائة . وقد جرينا على هذا .

ونحبّ أن نجلو هنا في إيجاز بعض مزايا الكتاب : —

١ — فقيه حثّ على التزام الأخلاق الحميدة العملية ، والواجب في كل

وظيفة ومهنة ، وتفصيل ذلك وتعداده ، دون الاقتصار على الأخلاق العامة ؛ كالإلتزام الأمانة فيما يتولى المرء من عمل ، والإخلاص ، وربط هذا بالواجب الدينى : كى يكون على العامل رقيب لا يغفل ، وهو ما يشعر به من قبل الدين والإيمان ؛ وهذا أفعل فى النفس وأدعى إلى الاستقامة على الطريقة من طنطنة بعض أهل العصر الذين يشيدون بالأخلاق العملية المحضة ، فيقولون : إن على المرء أن يرفع حق عمله فى الدنيا ، ولا عليه بعد ذلك أن يأتى مانهى عنه ، أو يخل بالواجب عليه فى حق الله تعالى . وقد عرض المؤلف لهذا الزعم فى ص ١٤ ، وبين أن من قصر فى حق الله تعالى قصر فى حق الخلق ، وأورد قول الإمام الشافعى رضى الله عنه : من ضيع حق الله تعالى فهو لما سواه أضيع .

٢ — جعل سبيله فى حمل الموظف أو العامل على سلوك الجادة أن يذكره بتقلب الزمان ، وصرف الحدّثان ، وتقلص النعمة ، ويسند ذلك إلى الخيد عن الصراط المستقيم ، ويضرب المثل بمن ساء عمله من الرؤساء وذوى النعمة ، فسلبهم الله ما هم فيه . وهذه طريق ناجعة ، فإن كل ذى نعمة يحرص على دوامها ، ويفزع من هول انصرامها .

٣ — يعيب بعض البدع والمساوىء فى عصره ؛ كتثقيب الأرض بين أيدي الملوك والأمراء ، وهو ما كان شائعاً فى عهده — انظر ص ٢٠ وما بعدها — .

ومن ذلك حملته على إلزام الفلاحين فى الإقطاعات بالفلاحة وحشه على تركهم أحراراً — ص ٢٤ — .

ومن ذلك إنكاره على اتخاذ الأمير من يحمل نعله — وهو البشمقدار — وانظر ص ٣٦ .

٤ — فى الكتاب مسائل مهمّة ، من الخير التنبيه عليها .
فمن ذلك ما يذكره فى ص ١٨ من أن على ذوى السلطان ألاّ يكلوا العلماء

إلى أوفائهم ، بل يرزقونهم من بيت المال ما تتم به كفايتهم . وهذا الأصل
فد أخذت به الدولة المصرية الرشيدة ، أعزها الله .

ومن ذلك أنه يوجب على كل ذى عمل أن يقوم بالواجب عليه فيه ،
ويعتقد أنه مسئول عن عمله ، عليه تبعته ، وليس له أن يرعى طاعة أمير
أو رئيس فيما يخالف الشرع والقانون . وهذا أصل عظيم إذا أخذ به الكافة
صلح أمرهم ، وكان منهم المدنية الفاضلة حقاً . ففى ص ٢١ يقرر أن على نواب
السلطنة أن يراجعوا السلطان إذا أمر بما يخالف المصلحة . وفى ص ٣٨
فى الكلام عن السقاة يذكر أنه لا يحلّ لساق يؤمن بالله أن يحضر لمخدومه
مسكرا يشربه ، وعليه إعمال الحيلة فى سدّ هذا الباب .

ومن المبادئ السامية فى هذا الكتاب قوله فى ص ٤٥ : إنَّ ضرب برىء
أصعب عند الله من تخلية ذى جريمة .

وفى ص ٢٧ تكلم على خلط المال الحلال والحرام . وهذا يجرى الآن
فى المصارف وفى خزائن الدولة . وهو يقول : إن هذا المخلوط يصير كله حراما ،
وما اجتمع الحلال والحرام إلّا غلب الحرام الحلال .

وكانت الولاية فى زمنه يأمرؤن من يزنى بامرأة أن يتزوجها ، يظنون أن
ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب . ويذكر المؤلّف أن هذا خلاف دين الله
تعالى ؛ فإن ولد الزنى لا يلحق بالزانى ، ولا يكون ابنا له ، ولا يرثه . وإنما
جزاء الزانى إذا لم تكن المرأة مطاوعة مقررّ فى الفقه . ومثل هذا قد يجرى
الآن ؛ يلزم الزانى أن يتزوج من زنى بها فى بعض الحين فرارا من تبعة الزنى
الجنائية . وانظر ص ٤٥ .

وفى ص ٦٦ يذكر أن فى تسعير السلع المبيعة^(١) خلافا بين الفقهاء . ولكن
إذا سعر الحاكم انقادت له الرعية ، ومن خالفه استحقّ التعزير والتأديب .

وفى ص ١٠٢ يذكر أن عين الوقف إذا خربت وتعطلت منفعتهما

(١) المروضة للبيع .

ولم يكن ما تعمر به يجوز بيعها عند الإمام أحمد رضى الله عنه .
وفى ص ١٢٩ يذكر أن أوقات الصلوات لا تدخل تحت الإجارة .
هـ — وترى المؤلف لا يحقر العمل إذا كان غير محرم وإن احتقره الناس .
انظر قوله فى ص ١٤٥ فى الكلابزى : « الله عليه نعمة أن جعله خادماً للكلاب
ولم يجعله عاصراً خمر أو غير ذلك بما ابتلى به بعض عباده » .

* * *

يتجلى من هذا العرض الموجز للكتاب أنه مادة وافية للتأريخ المحقق الذى
يهمه معرفة الحقائق من مصادرها والحوادث من عاصرها ؛ فقد استقصى المؤلف
الوظائف وطبقات الناس فى عهده ، وألم بالمساوىء وسير العمال للإمام لخبير العلم .
وهو مرجع للمصلح الاجتماعى الذى يعنيه تقويم الشعوب وتثقيف
اعوجاجهم .

وهو مدد عظيم الشأن لسياسة الشعوب الذين يرغبون فى سياسة شعوبهم
سياسة رشيدة لا عنت فيها ولا حيف .
ثم هو بما اشتمل عليه عرضاً من فكاكة وأدب يعجب الأديب ويستهو به .
كل ذلك بأسلوب رائع واضح ، وبلغته العالم المتصوف الذى يصدر عن
عقيدة وإيمان ، فينفذ كلامه إلى الجنان ويلبس مكان الوجدان من الإنسان .
فهو إذن كتاب سياسة وأدب ، وتاريخ واجتماع ، بلغة الكاشفين
ولسان العارفين .

تاريخ تأليف الكتاب :

لم نقف على ما يجعلنا نجزم بتاريخ تأليف هذا الكتاب ، ولكن من الثابت
أنه ألفه بعد وفاة والده سنة ٧٥٩ هـ ؛ فهو فى مواضع كثيرة من الكتاب يترحم
عليه . انظر ص ٢٤ فقيها : « وهو رأى الشيخ الإمام تغمد الله برحمته » .
وفى ص ٦١ فى الكلام على رأى والده فى كتابة الصداق على الحرير

يقول : « وهذا آخر الأمرين منه » وهذه العبارة تلي بوفاته . وفي ص ٥٠ يتحدث عن نائب الشام بما يُقرب أنه أمير على الماردني — كما ذكرنا في تعليقنا — وأنه كان حين ذاك في نيابته للمرة الثالثة ، وقد كان هذا سنة ٧٦٢ هـ فإن صح هذا أمكننا أن نجعل تأليف الكتاب في هذا السنة ، أى بعد تأليف كتابه « جمع الجوامع » بستين .

نسخ الكتاب :

طبع كتاب « معيد النعم » في مصر مرتين ، وطبع في « ليدن » وهذه الطباعات الثلاث لا تخلو من التغيير والتحريف — كما ذكرنا في مفتتح كلامنا — ولم نشأ أن تدون أمثلة لذلك : فمن شاء فليرجع إلى هذه النسخ .

وقد عثرنا — بعد البحث — على ثلاث نسخ مخطوطة : إحداها في دار الكتب الأزهرية ، والاثنان الآخران في دار الكتب الملكية . وكان جل اعتمادنا على هذه النسخ الثلاث المخطوطة :

- ١ — فأما مخطوطة دار الكتب الأزهرية فرمزنا لها بالحرف (ز) .
- ٢ — وأما مخطوطة دار الكتب الملكية (رقم ١٨٢ مجاميع) فقد رمزنا لها بالحرف (د) وتمت كتابتها نهار الخميس الثامن والعشرين من صفر سنة ٩٥٣ هـ
- ٣ — والمخطوطة الثالثة مخطوطة فاضل باشا وهي في دار الكتب الملكية أيضاً (رقم ١٧٤ مجاميع م) وقد رمزنا لها بالحرف (ف) وتمت كتابتها في الثاني عشر من رجب سنة ١٨٩٠ هـ .

وأهم هذه النسخ جميعاً نسختا دار الكتب الملكية ؛ فهما أقدم النسخ التي بين أيدينا .

وقد جرينا على أن نرمز للنسخة ليدن بالحرف (ل) ، ولطبوعتي مصر — وهما لا تختلفان إلا في الندرة — بالحرف (ط) .

وقد أثبتنا اختلاف النسخ في ذيل الصفحات من الكتاب وعلقنا عليه بما تمس الحاجة إليه . والله يتولى جزاء المحسنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة شيخ الإسلام تاج الدين السبكي الشافعي تغمده الله تعالى برحمته :

أما بعد حمد الله معيد النعم ، ومبيد النقم ، بمزيد^(١) الشكر ومديد الكرم ، والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد خير العرب والعجم ، والهادي إلى أرشد طريق وأقوم أمم^(٢) وعلى آله وأصحابه وصالحى أمته خير الامم ، فقد ورد على سؤال مضمونه : هل من طريق لمن سلب نعمة دنيوية أو دنيوية ، إذا سلكها عادت إليه ، وردت عليه ؟ فكان الجواب : طريقه أن يعرف : من أين أتى^(٣) فيتوب [منه^(٤)] ويعترف بما في المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها ، ثم يتضرع إلى الله تعالى بالطريق التي نذكرها .

هذه^(٥) ثلاثة أمور هي طريقه^(٦) التي يحصل بمجموعها دواء مرضه ويعقبها زوال علته ، بعضها مرتب على بعض لا يتقدم ثالثها على ثانيها ، ولا ثانيها على أولها .

فعاد إلى السائل قائلا : اشرح لنا هذه الأمور شرحا مبينا مختصرا ، وصِف لنا هذا الدواء وصفا واضحا : لستعمله .

فقلت : هذا سرّ غريب ، جمهور الخلق لا يحيطون بعلمه ، ونبا عظيم

(١) أى بالشكر من العبد والكرم من الرب سبحانه وتعالى .

(٢) الأمم : الفصد والوسط . يريد الطريق السوى الذى لا اعوجاج فيه .

(٣) أى أصيب من قولهم : أتى فلان : أسرف عليه العدو .

(٤) هذه الزيادة فى ل . وفى ط ، د (عنه) ولم تثبت فى ز ، ف .

(٥) هكذا فى ل ، ف ، د . وفى ط : (فهذه) .

(٦) هكذا فى ف ، ط . وفى د : (الطريقة) .

أكثر الناس معرضون عن فهمه : لاستيلاء الغفلة على القلوب ، ولغلبة الجهل بما يجب للرب على المربوب .

وأنا^(١) أبحث عن هذه الأمور في هذا المجموع الذى سميته : (معيد النعم ، ومبيد النقم) بحثاً مختصراً ، لا أرخى فيه عنان الإطناب : فإنه بحر لا ساحل له ، لو ركبت فيه الصعب والذلول ، وثمرت فيه عن ساق البيان ، وخضت فيه لجحج الدقائق ، لذكرت ما يعسر فهمه على أكثر الخلائق ، ولانتهينا إلى ما لم يؤذن^(٢) لنا فى إظهاره من الأسرار العلية . وإنما أذكر من ذلك ما تشترك الخاصة والعامة فى فهمه ؛ وأخصّ فيه النعم الدنيوية ؛ إذ كانت محطّ غرض السائل ؛ عسى الله أن يلبه بها للنعم^(٣) الآخروية ؛ إذ هى غاية الوسائل وأنا أرجو أن من^(٤) كانت عنده نعمة الله تعالى فى دينه أو دنياه وزالت ، فنظر^(٥) هذا الكتاب نظر معتقد ، وفهمه ، وعمل بما تضمنه بعد الاعتقاد ، عادت إليه تلك النعمة أو خير منها ، وزال همه بأجمعه ، وانقلب فرحاً مسروراً فمن شكّ فليستعمل هذا الدواء ، لا^(٦) على قصد التجربة والافتقاد^(٧) ونظر الاختبار والانتقاد ، بل بحسن الظن وجميل الاعتقاد ، فإنه عند ذلك يظفر بغاية المراد .

(١) هكذا فى د ، ف ، ط . وفى ل ، ز : (وإنما) .

(٢) يريد دقائق المسائل التى وقع عليها العلماء بالجهل فى التفكير ، ولم يكلف الناس معرفتها ، كالبحت فى أن الصفات الواجبة لله عين الذات أو غير الذات ، والبحث فى الصفة النفسية والمعنوية ، وما جرى هذا المحرى . فأما ما كلف الناس معرفته من الدين فهو مذاق واجب على العالم ألا يكتمه . والباطنية ومن إلهام من أهل الضلال ، هم الذين ينهون هذا النحو ليتوسلوا إلى إضلال الناس .

(٣) هكذا فى ف ، د ، ط . وفى ز (على النعم) .

(٤) هكذا فى ل ، ف ، ز . وفى ط (لى) وهو لا يناسب السياق .

(٥) هكذا فى ف ، ل ، ر . وفى د ، ط (فى هذا الكتاب) .

(٦) استعمل المؤلف فى هذا الأسلوب لا دون تكرار . وعلماء العربية لا يميزون هذا ويوجبون التكرار . والمؤلف كثيراً ما يجرى على الشائع من الأساليب التى لا توافق النحو ، كما سترى .

(٧) هكذا فى ف ، ل ، د . وفى ط (وردى الاعتقاد) ، وكذا فى نسخة على هامش ل . والافتقاد للمضى ، طلبه ، وذلك يقتضى عدم الحرز به وعدم اليقين بأمره .

أَسْأَلُ^(١) الله أن يصرف إليه عزمة مستحقه^(٢) ويصرف عنه همة من لا يستحقه ولا يدريه .

(الأمر الأول) أن تعلم من أين أتيت ، وما السبب الذي زالت به عنك النعمة ؟ فإن النعمة لا تزول عنك سدى^(٣) وإن^(٤) الله لا يغيّر ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

اعلم أنها لم تزل عنك إلا لإخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها ، وهو الشكر ؛ فإن كل نعمة لا تشكر جديرة^(٥) بالزوال . ومن كلامهم : النعمة^(٦) إذا شكرت قرت ، وإذا كُفرت قرت . وقيل : لازوال للنعمة إذا شكرت ، ولا بقاء لها إذا كُفرت . وقيل النعمة^(٧) وحشية^(٨) فاشكلوها بالشكر . والأدلة على أن كفران النعم يوجب انزواها كثيرة ، فلا نطيل [بذكرها^(٩)] . والحاصل أن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دالّان على أن كفران النعمة^(١٠) يؤذن بزوالها ، وشكرها يقضى بمزيدها . وذكر العارفون أن الرب قطع بالمزيد مع الشكر ، ولم يستثن فيه ، واستثنى في خمسة أشياء : في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى : فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، وقال تعالى : فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ، وقال تعالى : يرزق^(١١) من يشاء ، ويغفر لمن يشاء . وقال تعالى : ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ،

(١) هكذا في ف . وفي ط (وأسأل) . وفي ل : وأنا أسأل .

(٢) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ل (مستحقه) وهي لا تناسب السجع .

(٣) السدى : المهمل ، تقول : إبل سدى (لا راعي لها) . وهو يريد أن النعمة لا تزول عنك دون سد منك يتوجب زوالها ، فالنعمة ليست متروكة لنفسها تزول من تلقاء نفسها ، بل عليها عاصم من أمر الله بشرط عليها ألا تفارق حتى يكفرها صاحبها .

(٤) هذا بعض الآية (١١) من سورة الرعد ، وليت واو العطف من الآية الكريمة .

(٥) هكذا في ف ، د ، ل . وفي ط (حرية) .

(٦) هكذا في ط ، د . وفي ف : النعم .

(٧) أي كالذابة الوحشية عبر المستأنس فلا تهر إلا إذا قيدت وقوله : فاشكلوها أي اربطوها ، فقال شكل الذابة (ربطها) ويسمى الحبل الشكّال .

(٨) هكذا في ط . ولم تذكر هذه الزيادة في بقية الأصول .

(٩) في ل (والله يرزق) .

وقال في الشكر من غير استثناء : «لئن شكرتم لازيدنكم» ، فإن قلت : فما الشكر ؟ قلت : قد شرحه العارفون . وبينوا حقيقته . وأنا أختصر لك القول فيه ، وآتى بما يقرب من فهمك ؛ فأقول : الشكر يكون بالقاب واللسان والأفعال . هذه أركانه ^(١) الثلاثة : أما القلب . - وهو أعظمها - فالمراد منه أن تعلم وتعتقد أن الله هو الذى منحك النعمة لا أحد سواه شاركة ؛ فإن كل من تقدره من كبير وأمير ^(٢) ووزير وصاحب و خليل ووالد وغيرهم لا يقدر ^(٣) على فعل شيء لنفسه فضلا عن غيره ^(٤) وإن جرى على يديه خير فآله تعالى هو ^(٥) الذى أجراه على يديه ؛ وإلا فهو لا مدخل له فيه ولا صنع . فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لو وزير الملك أو الخاشيته مدخلا فى تيسير ذلك وإيصاله فهو إشراك بالملك فى النعمة ، إذ لم ير النعمة منه من كل وجه ، بل رآها منه ومن غيره فيتوزع ^(٦) فرحه عليهما ، فلا يكون موحدًا فى حق ^(٧) الملك فمن حق الملك أن يعاقبه على هذا الاعتقاد .

فإن قلت ما علاج هذا الداء فإنى أرى ^(٨) أناساً لى عليهم خدمة ، ولى عندهم يد ، وبينى وبينهم صداقة ، يصبر على أيديهم نفعى فى دينى ودنياى ^(٩) فلا أستطيع أن ^(١٠) أدفعهم عن قلبى ؟ قلت : من الذى سخرهم لك ، وألقى فى قلبهم الدّاعية ، ويسرّ الأسباب عليهم حتى أوصلوا النفع إليك ؟ هات قل لى . فإن قلت :

(١) كذا فى ف . ط . وفى د (هذه الثلاثة أركانه) .

(٢) فى د (أو أمير) وكذا فى ط .

(٣) كذا فى ف . د . ل . ز . وفى ط (يقدر) .

(٤) كذا فى ط . وفى ف (فضلا عن فعل غيره) . وفى د (فضلا لغيره) .

(٥) كذا فى ط . وفى ف فالله تعالى الذى أجراه على يديه . وفى د فإن الله هو الذى .

(٦) كأنه . . . عمل هذا العمل لأمر ، كما يستعمله الناس ، وهو فى اللغة متعد ، يقال : تورعوا

الشيء نفسموه .

(٧) كذا فى د . ط . وفى ف (. . . وحداً وحق الملك أن يعاقبه) .

(٨) فى ل (أن أناساً) .

(٩) كذا فى ف ، ط . وفى ل ، د (وفى دنياى) .

(١٠) كذا فى ل . وفى ف ، د ، ط (أدفعهم) دون أن .

الله الذي سخرهم وسخر الشمس والقمر كل يجري بأمره ، فاعلم أنهم مستخرون تحت قبضته .

فإن كنت تعتقدهم فاعلين شيئاً فهلاًّ اعتقدت القلم والحبر والكاغذ^(١) التي^(٢) كتب بها^(٣) منشورك فاعلاً ! ولم لا اعتقدت الموقع فاعلاً ؟ ولم لا اعتقدت الخازن الذي يُخرج لك الدراهم فاعلاً ؟ فإذا كنت تعتقد^(٤) أن كل واحد من هؤلاء مقهور من الملك مجبور ، ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة ، فافهم أن كل من وصل لك^(٥) على يديه خير من المخلوقين فهو كذلك في قبضة رب العالمين . فاشكره وحده ولا تشرك به أحداً .

واعلم أن المخلوق مضطرّ سلط الله عليه الإرادة ، وهيج عليه الدواعي ، وألقى في قلبه أن يعطيك ، فلم يجد بعد ذلك سبيلاً إلى دفعك ؛ ولا يعطيك والحالة هذه إلا لغرض نفسه لا لغرضك . ولو لم يكن له غرض في الإعطاء لما^(٦) أعطاك . ولو لم يعتقد أن له نفعاً في نفعك لما نفعك . فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك . ويتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى يرجوها لنفسه . وما أنعم عليك إلا الذي سخره لك وألقى في قلبه ما حمله على الإحسان إليك . فإن قلت : فلم ورد الشرع بشكري إياه حيث قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أبو داود بهذا اللفظ والترمذي بلفظين : أحدهما : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » والآخر : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . وفي حديث النعمان بن بشير

(١) هو القيرطاس يكتب فيه .

(٢) كذا في د . ط . وفي ف (الذي) وما في النس الثبت روعي فيه وصف الأشياء المعدودة . وفي ف روعي فيه وصف الأخير .

(٣) كذا في ف . د . وفي ط (بها) .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ل (فإن كنت نفهم أن) وفي ط (فإذا كنت نفهم ونعمد أن)

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (إليك) .

(٦) كذا في د ، . وفي ف (ما أعطاك) .

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله . والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركه كفر ، الحديث في إسناده الجراح بن مليح والد وكيع تكلم فيه بعضهم ، والعمل على توثيقه وأخرج له مسلم . وفي حديث الأشعث بن قيس الكندي : « إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس ، أخرجه أحمد »^(١) بن منيع في مسنده . قلت : ورد بذلك لكونه أجرى النعمة على يديه فيكون شكرك إياه داعياً له إلى أن يزيد من فعل الخير ولك^(٢) أن تشكر الفاعل بالحقيقة الذي هو الرب تعالى ولنغير ذلك من الأسباب التي لا غرض الآن في شرحها ، فعليك شكره لأجل أمر الله تعالى لا لاعتقاد أنه فاعل . بل لو شكرته بذلك الاعتقاد كنت مشركاً لا شاكرآ . فاشكره واعلم أنه لا ينفع ولا يضر ، وأنه ربما تغير عليك بأيسر الأسباب ، وانقلب حبه بغضاً ، وزالت تلك الدواعي وتبدلت بضدها . وإنما المحسن الذي لا يتغير ولا يحول ولا يزول رب الأرباب . والواسطة [بين^(٣) الخلق والحق] الذي هو بنا رءوف رحيم لا تتغير حالته محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم . فلا فاعل إلا الله ولا سبب^(٤) خير إلا نبيه المصطفى الأمين خير الخلق أجمعين . محمد سيد [المرسلين^(٥)] والنعيين ، عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين . فإذا استقرت هذه القاعدة عندك بحيث صرت تتلقى كل ما يأتيك من الله تعالى لا من أحد من خلقه فهذا شكر عظيم للنعمة وهو أعظم أركان الشكر ، ولذلك أطلق [عليه^(٦)] كثير من المحققين أنه نفس الشكر ، حيث قالوا :

-
- (١) كانت وفاته سنة ٢٤٤ كما في الخلاصة .
 - (٢) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ل (وذلك إلى أن تشكر) وفي ر (ولك إلى أن يشكر) .
 - (٣) هذه الزيادة في د ، ل ، ز ، ط مع تفاوت يسير . وقد سقطت في ف .
 - (٤) هكذا في د ، ز . وفي ف (ولا سبب الخير) وفي ل (ولا سبب بخير) وما أثبتناه أجود . وقد سقطت في ط جلنا (فلا فاعل إلا الله ولا سبب خير إلا نبيه المصطفى) .
 - (٥) هذه الزيادة في ط . ولم تثبت في ف ، د .
 - (٦) هذه الزيادة في د ، ط . وفي ف لم تثبت .

الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . وإنما أطلقوا عليه ذلك لكونه أعظم الأركان ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » و « الندم توبة » ونحو ذلك . أخبرنا داود بن سليمان بن داود الآباري ^(١) إذنا أخبرنا اعم أبي ^(٢) أبو الطاهر يوسف بن عمر بن يوسف سماعا أنا ^(٣) بركات ^(٤) ابن ابراهيم الخشوعي أنا هبة ^(٥) الله بن الألفاني أنا أحمد بن عبد الواحد بن محمد ، ومحمد بن عقيل بن أحمد قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد أنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي ^(٦) السامري ثنا ^(٧) يحيى بن أبي طالب ثنا على بن عاصم ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن أبي ^(٨) عمرو الشيباني قال : قال موسى عليه السلام يوم الطور : يارب إن أنا ^(٩) صليت فمن قبلك ، وإن أنا تصدقت فمن قبلك ، وإن أنا ^(١٠) بلغت رسالتك فمن قبلك ، فكيف أشكرك ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني . وفي لفظ إذا عرفت أن النعم مني فقد رضيت بذلك منك شكراً . وهذا حق لجميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمة من الله تعالى علينا ؛ إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وسائر الأمور

-
- (١) هكذا في ل ، د ، وفي ز (الآثاري) وهكذا في نسخة في هامش ل . وفي ط (الآباري) ولم يثبت شيء من هذا في ف . والنصواب ما أثبت . والآباري نسبة إلى بيت الآبار وهو قرية في غوطه دمشق . ولداود هذا ترجمة في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٩٩ وكانت وفاته سنة ٧٥١ هـ .
- (٢) هكذا في ف ، د . ولم يثبت في ط .
- (٣) هكذا في ف . وفي د ، ل ، ز ، ط (أخبرنا) والرمز المثلث (أنا) يريد به المحدوث أخبرنا ، والصيغتان أخبرنا وأنبأنا سواء عند المتقدمين ، وعند المتأخرين أن الإبقاء قد يكون بالإحالة .
- (٤) توفي الخشوعي سنة ٥٩٨ هـ كما في انشذرات والنجوم الزاهرة .
- (٥) هو أبو محمد بن أحمد توفي سنة ٥٢٤ هـ كما في الشذرات .
- (٦) هكذا بتقديم (الخرائطي) على (السامري) في ف . وفي سائر الأصول العكس . والسامري نسبة إلى سامرا — ويقال فيها سر من رأى — وهي مدينة في شمالي بغداد بناها المعصم .
- بات الخرائطي سنة ٣٢٧ هـ وله ترجمة في تاريخ بغداد ص ١٢٩ ج ٢ .
- (٧) هو اختصار من حدثنا .
- (٨) هو إسحق بن مزار ، راوية أهل بغداد ، لازمه الإمام أحمد بن حنبل وروى عنه . كانت وفاته سنة ٢٠٦ وانشتر بنية الوعاة .
- (٩) هكذا في د ، ل ، ز ، ط . وفي ف : (أنا إن) .
- (١٠) سقط لفظ « أنا » في ف ، ز ، ط ، وأثبت فيما عدا هذه الثلاثة .

التي هي أسباب حرركاتنا وسكناتنا من خلق الله ونعمته^(١) فنحن نشكر
بنعمته^(٢) نعمته . وإلى هذا الميزع أشار خطيب العلماء الشافعي رضي الله عنه
حيث قال : الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه
توجب^(٣) على مؤدى ماضى^(٤) شكر نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه
شكرها^(٥) ولا يبلغ الواصفون كنه عظمتها : الذي هو كما وصف نفسه وفوق
ما يصفه به خلقه . انتهى . و . أنشد محمود الورّاف لنفسه :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوع الشكر إلا بفضل ؟ وإن طالت الأيام واتصل العمر

ولم يزد العلماء في هذا الركن أكبر مما ذكرناه . وعندى أنه يتعين على ذي
النعمة أيضاً أن ينظر إليها -- وإن قات -- بعين التعظيم ، لكونها من قبل
الله تعالى ؛ فإن قليله لا يقال له قليل ، وإلى نفسه بالتحقير بالإضافة إليها
معترفاً بأنه ليس أهلاً لها وأن أصله نقطة من مى^(٦) تمنى^(٧) وقد وصله^(٨) الله إليها
لا باستحقاق عليه بل بفضل منه ولا يخفى عليك أن من وصلت إليه هدية
من ملك فاستقلها ولم يعبأ بها فإن الملك ينقم عليه^(٩) ويشدد عقوبته ، ويأخذ
في نفسه منه ، ويمنع عنه العطاء ؛ وإن استعظمها واستحققر نفسه بالنسبة إليها

(١) هكذا في النسخ ما عدا ط . ففيها (و منه) .

(٢) هكذا بهذا الترتيب في ف ، د ، وفي ط (نعمة نعمة) .

(٣) هكذا في النسخ ما عدا د . ل ففهما يوجب .

(٤) هكذا (مؤدى ماضى شكر نعمه) في ف ، ط ، وفي د (مؤدى ماضى نعمه) وكذا

في ر . وكلام الشافعي هذا في صدر كتابه الرسالة

(٥) هكذا في ف ، ط ، وفي ل (شكره بها) وكذا في ر مع سقوط كلمة (عليه) .

(٦) هذا الحرف في ط ، د ، ولم يثبت في ف .

(٧) نبي : تص وراق عند الجماع . وهذا اقتباس من قوله تعالى : « ألم يك نقطة من مى

نبي » الآ ٣٧ من سورة القيامة . ومثراً المجهول (نبي) على أنه وصف النطقة ، ومثراً حفص

وآخرون (نبي) على أن الجملة وصف (مى) .

(٨) هكذا في سائر النسخ ما عدا ط . ففيها (وأوصله) .

(٩) هكذا في ف ، د ، ل ، ر ، وفي ط : (ينقم منه ذلك) .

فإن الملك يحب ذلك منه ، ويحمله هذا الأمر على إسداء نعمة أخرى . والرب تعالى لا نخفي عليه خافية . فهما وقع في نفسك فهو مطلع عليه : فإن وقع في قلبك^(١) استقلها فإنه يخشى عليك زوالها وافتقارك إليها ، وإن وقع في نفسك^(٢) استعظامها فأبشر بدوامها والازدياد . سمعت^(٣) الشيخ الإمام رحمه الله يقول : أعطيتُ بعض الناس عطاء فاستثقله فعلمت أن الله بسلبه إياه ويحوجه إليه . فإن قلت : ما علاج هذا الداء ؟ فإن كثيراً من الناس يعطون ما يروونه قليلاً بالنسبة إليهم ؟ قلت : علاجه أن ينظر إلى نفسه وبرى هل يستحق على الله شيئاً ! وما أصله ؟ وكيف وصل إلى ما وصل ؟ فما من أحد يعتبر حاله من أول ملثته إلى إيصال النعمة التي هو فيها مفكر ولها مستقل إلا ويجدها نعمة [ليست في حسابه^(٤)] وكثيرةً عليه . فهذا دواء من أدوية^(٥) هذا المرض . ودواء آخر وهو أن تأخذ النعمة من الله تعالى وتعلم أن العظيم إذا أسدى إلى عبده الحقير معروفاً وإن قل فقد ذكره . وما حقرك من ذكرك ، وما ذكرك الكريم إلا وفي نيته أن يحبرك . فتلق ما يأتي منه بالبشرى ، واحذر الأخرى . وإن كان ما أسداه إليك قليلاً عليك فهو بالنسبة إلى أنه من عطائه كثير عليك ، وبالنسبة إلى أنه طريق إلى عطاء آخر أكثر منه إذا شكرته كثير أيضاً . وإنما يحبك الاستقلال من نظرك إلى النعمة دون المنعم . ونحن نضرب لك مثلاً فنقول : الملك إذا عزم على السفر وأنعم على بعض حاشيته بفرس ، ففرحه بالفرس يُفرض على وجوه : أعلاها

(١) هكذا في ف . وفي ط (بقلبك) .

(٢) هكذا في النسخ . عدا ط ، وفيها (ملك) .

(٣) هكذا في ف . د . وفي ط (وقد سمعت) .

(٤) هكذا في ف . وفي ط . د (لم تسكن في حسابه) .

(٥) هكذا في ل . وهو الصواب . وفي نسخة الأصول (أدواء) وهو خطأ فإن أدواء جمع

داء . كما لا يخفى .

أن يفرح بها لأنها طريق إلى خروجه في خدمة الملك ونزوله بقربه ، وحلوله
منه بالمنزلة الدانية ، وصيرورته من الخاصة بعد أن كان من العامة . فهذا
فرحه بالفرس لأنها طريق^(١) إلى مشاهدة الملك ومناذمته ، لا لأنها فرس .
ودون هذا أن يفرح بالفرس لا لكونها فرساً ، ولكن لما يدل عليه من
عناية الملك به ، وذكره له وشفقته عليه . فهذا يفرح بها لا لكونها فرساً
بل لأمور آخر^(٢) تترتب عليها . وأخسها وأحقرها أن يفرح بها لكونها
فرساً يركبها . فهذا إنما فرح بالفرس ولم ينظر إلى المعطى ؛ ولا فرق عنده
بين أن يكون الملك هو الذي أعطاه ، أو أن يجد الفرس في الصحراء . وثم^(٣)
وجه رابع : وهو أن يفرح بها لمجموع^(٤) هذه الأمور : فيفرح بها لأنها توصل
إلى منادمته الملك ، ولأنها تؤذن بغيرها ، ولأنها تنفعه . فهذا أيضاً لا بأس به ،
ولكنه دون المقام الأول ؛ لأن الأول لا غرض له إلا الملك وحده ، ولكن
ذاك مقام عال يترفع^(٥) عن همم أكثر أهل الدنيا الذين وضعنا لهم هذا الكتاب
فلذلك لا نطلب في شرحه ، وإنما تقتصر على إفهام الأكثر ؛ حتى إذا حصلوا
على ما نودعه في هذا الكتاب ترقوا منه^(٦) إلى النظر في المقام الأعلى فباب
الرحمة مفتوح ، والربّ منادٍ فأين المشقرون !

وأما اللسان فالمراد منه حمد الله تعالى عليها^(٧) والتحدث بها بقوله^(٨) تعالى
« وأما بنعمة ربك فحدث » ، فيتحدث^(٩) بها لا لرياء وسمعة وخيلاء ، بل للثناء على

(١) في ل (أخرى) .

(٢) كذا في ل . وفي بقية الأصول (مجموع) .

(٣) هكذا في ف ، د ، ل ، ر . وفي ط (يرتفع) .

(٤) هكذا في د ، ف ، ز ، ط . وفي ل (عن همم أكثر الناس الذين) .

(٥) هكذا في د ، ط . وفي ف بحذف منه .

(٦) هكذا في ف ، ل ، ر . وسقطت لفظة (عليها) من د ، ط .

(٧) كذا ، والباء للسبب ، أي بسبب قوله تعالى . وفي ل : (لهوله) .

(٨) هكذا في ل ، ر ، د . وفي ط (فتحدث) ولم تنقطع في ف .

الرب تبارك وتعالى . كان^(١) جماعة من السلف^(٢) يجلسون فيتطارحون^(٣) حديث نعيمهم حتى ينتهي مجلسهم وهم على ذلك . وذكر الأستاذ أبو القاسم^(٤) القشيري أن بعضهم قال : رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن ، فسألته عن حاله فقال : إني كنت في ابتداء عمري^(٥) أهوى ابنة عم لي ، وهي كذلك كانت تهوأي فاتفق أنهما زوّجت مني ؛ فليلة زفافها قلنا^(٦) : تعالى حتى نحى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا . فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحد منا إلى صاحبه . فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك . فمذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة . أليس كذلك يا فلانة ! فقالت العجوز : كما يقول الشيخ . فهذا الشيخ تحدث^(٧) بنعمة الله تعالى الذي ألهمه لهذا الشكر العظيم . وذلك أيضا من الشكر . وروى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم . فقال عمر : الكُبر^(٨) الكُبر . فقال : يا أمير المؤمنين : لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك . فقال : تكلم . فقال : لسنا وفد الرغبة ، ولا وفد الرهبة : أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة فقد آمنتنا منها عدلك . وإما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان . والأخبار في هذا كثيرة ، وليس استيعابها من غرض كتابنا .

(١) هكنا في كل النسخ ما عدا ط . فقيها (يقال كان جماعة) .

(٢) ق ط فقط : زيادة (رحمه الله) .

(٣) أي يتحدث كل بما عنده من النعم ، من مطارحة الأشعار . وهو أن يلقي كل ما يحفظه من الشعر .

(٤) هو الإمام الجليل عبد الكريم بن هوازن ، ممن جمع بين الشريعة والحقيقة . له الرسالة في رجال الطريقة ، وهي من أجود كتب التصوف . وكانت وفاته في نيسابور سنة ٤٦٥ . انظر ترجمته في ابن خلكان .

(٥) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (أرى) .

(٦) كذا في ف ، و ، د . والناسب (قلت) إلا أن يكون جرى على أسلوب تعظيم النفس . أو أنها لا وافقه كأنها قالت ذلك أيضا فنسب القول إليهما .

(٧) كذا في ف ، ل ، ر . وفي ط (يحدث) وفي د من غير نقط .

(٨) الكبر الأكبر . والكبر منصوب أي قدموا الكبر .

واعلم أن هذين الأمرين أعنى الشكر بالجنان وباللسان يشملان كل نعمة . ونسبه النعم^(١) إليهما على حد سواء . وأما الأفعال فالمراد منها أمثال أوامر المعلم واجتناب نواهيه . وهذا يخص كل نعمة مما يلبس بها . فليكل نعمة شكر عصبها والضابط أن تستعمل^(٢) "نعم الله تعالى في طاعته وبقو^(٣) من الاستعانة بها على معصيته . فليس من شكر النعمة أن تهملها^(٤) وتشكر^(٥) على وجه غير الوجه الذي عليه بُليت . فمن عدل عنها إلى نوع آخر من الشكر فقد قصه . وترك الأهم . وإنما الرشيد من جمع بين الأمرين . فإن كان لا بد من المعرفة فالأنسب استعمال كل نعمة فيما خلقت له ، وهذا يتضح بأمثلة :

المثال الأول

من شكر نعمة العينين أن تستر^(٦) كل عيب تراه^(٧) لمسلم وتغضهما^(٨) عن كل فييح إلى غير ذلك من أحكام النظر . فإن أنت أخذت تصلي كل^(٩) ليلة ركعتين على شكر نعمة العينين : وأنت مع ذلك تستعملهما في النظر إلى المحرم ، فليست بشاكر هذه النعمة حق شكرها .

المثال الثاني

من شكر نعمة الأذنين ألا تسمع حراماً ، وأن تستر كل عيب تسمعه . فإن أنت تصدقت بدرهمين شكراً لله تعالى على نعمة الأذنين وهتكت كل قبيح سمعته^(١٠) وأصغيت إلى كل حرام وعَيْتَه^(١١) فليست من الشاكرين .

(١) كذا في د ، ط . وفي (النعمة)

(٢) كذا في ف . د . ط . وفي ل ، ر بالياء فيها .

(٣) كذا في د . وفي ط بالياء فيها وأما ف فقد تركت اللفظ فيها .

(٤) ادا ، والأوفى بالعلم (أو) .

(٥) كذا في د . ل . ر . وفي ط بالياء في الثلاث . وفي ف من غير نقط .

(٦) كذا في ف . وفي د . ط (كل أيلة صلى) .

(٧) كذا في د . ل . ر . وفي ف (سمعه) .

(٨) كذا في د . وفي ف : (وعسة) .

المشال الثالث

وهو يشمل الخليفة فمن دونه من السلطان ونوابه والقضاة وسائر أرباب الأمور . وسنخصص لكل فرد منهم مثالا .

إذا ولّاك الله تعالى أمرا على الخلق فعليك البحث عن الرعيّة ، والعدل بينهم في القضية ، والحكم فيهم بالسوية ، ومجانبة الهوى والميل ، وعدم سماع بعضهم في بعض ، إلّا أن يأتي بحجة مبيّنة^(١) وعدم الركون إلى الأسبق . فإن وجدت نفسك تصغى إلى الأسبق وتميل إلى صدقه ؛ فاعلم أنك ظالم للخلق ، وأن قلبك إلى الآن متقلب^(٢) مع الأغراض يُميله الهوى كيف شاء . وإن وجدت الأسبق والآخر سواء إلّا من جاء بحق فأنت أنت . وقد اعتبرت كثيرا من الأتراك فوجدتهم^(٣) يميلون إلى أول شاك . وما ذاك إلّا للخفلة المستولية على قلوبهم ، التي صيرت^(٤) قلوبهم كالأرض الترابية التي لم ترَوْ بالماء فإذا أتاهاماء رويت : سواء أ كان ذلك الماء صافيا أم كدرا^(٥) زُلالا^(٦) باردا أم كدرا حارّا . ثم إذا رويت ، وجاء ماء آخر صاف حسن لم تشربه ، وصار ماءعا^(٧) عليها . فهذه هي القلوب الغافلة عن الحقّ نسأل^(٨) الله السلامة . فعليك شكر^(٩) نعمة الولاية بما ذكرناه^(١٠) وأن تعرف أنك أنت والرعية سواء

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ط ففيها (بية) .

(٢) كذا في د . وفي ف ، ل . ر (منقلب) . وفي ط (يتقلب) .

(٣) زيادة يقتضها السياق .

(٤) كذا في د ، ط . وفي ز ، ل (إلى أن) ولم تثبت هذه الزيادة (التي صيرت قلوبهم) في ف .

(٥) كذا في ل ، ر ، د . وفي ف . ط . أو .

(٦) أي سلبا سهل المرور في الملق .

(٧) وصف من قوله : ما ع الشيء : جرى على وجه الأرض .

(٨) كذا في ف ، د . ط . وفي ل ، ر (فنسأل) .

(٩) كذا في كل النسخ ماعدا ز ففيها (بشكر) .

(١٠) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (ذكرنا) بدون هاء .

لم تتميز عنهم بنفسك ، بل بفعل الله تعالى الذى لو شاء لأعطاهم ومنعك . فإذا ^(١) كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم فما يلغى أن تتمرد وتستعين بنعمته على معصيته وأذاهم ، بل لا أقل من أن تتجنب أذاهم وتكف عنهم شرك ونجانب الهوى والميل والغرض فنعمة الولاية لا تطلب منك غير ذلك . ولو أنك تركت الناس هملاً يأكل بعضهم بعضاً وجلست فى دارك تصلى وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئاً على ربك . فليكنك ^(٢) لم يطلب منك أن تهجد بالليل ولا أن تصوم الدهر وإنما يطلب منك ما ذكرناه . فإن ضمنت إليه أعمالاً آخر صالحة كان ذلك نوراً على نور ، وإلا ^(٣) فهذا هو شكر نعمة الولاية التى بها تدوم . ولعلك تقول : فإن قُتُّ بحقوق الرعية مع التقصير فى حق الله تعالى هل ^(٤) أبا محمود ؟ فاعلم أنك محمود من تلك الجهة ، مذموم من هذه الجهة ، وتيقظ لأمر عظيم نُبهِك ^(٥) عليه . وهو ^(٦) أن مَنْ هذا شأنه يخشى عليه إن هو زاد من التقصير فى جانب الله تعالى أن يُظلم قلبه ظلاماً يورث الطَّبع ^(٧) على قلبه ، ويلشأ عنه التقصير فى تلك الجهة الأخرى ، فيصير مذموماً فى الجهتين . فلا يخطر لك أنه يمكن اجتماع التقصير فى حق الله تعالى من كل وجه ، والقيام بحق العباد من كل وجه . بل هذا مستحيل عادة ؛ فقد جرت عادة الله سبحانه وتعالى بأن من أهمل جانبه من كل وجه سَاطَ عليه الشيطان فاستولاه ^(٨) واستزله وصيره

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فإنها لم تذكر (فإذا كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم)

(٢) فى نسخة فى هامش ل (فربك) .

(٣) أى وإلا تضم أعمالاً آخر واقتصرت على ما ذكرنا فهذا هو شكر النعمة الخ .

(٤) كذا ، والصواب فى العربية (فهل) .

(٥) كذا فى ف ، ل ، ر . وفى د ، ط (نهتك) .

(٦) كذا فى كل النسخ ما عدا ط ففيها (وأعلم أن) .

(٧) الطبع على الشئ : الحتم عليه حتى لا ينفذ شئ . إلى باطله ، وطبع الله على القلب محاز عن

ألا يصل إلى القلب شئ . من الهدى ونور الإيمان . ويصح أن يقرأ : الطبع بالتحريك وهو الصدا أو الدلس .

(٨) كذا ، وكأن الأصل : فاستولى عليه . وقد يريد : فاستولاه أى اتخذه ولياً ، كما يقال :

نولاه ، وإن لم تر هذه الصيغة فى المعاجم .

يضع جانب العباد أيضاً . ومن رشيق عبارات^(١) الشافعي رضي الله تعالى عنه : وقد ذكر أن الرشد صلاح الدين والمال معا : من ضيع حق الله تعالى فهو لما سواه أضيّع . فعليك أن تتعهد نفسك بالعبادة ومراقبة الحق . وليس مقصدنا الآن البحث عن هذا ؛ إنما الذي عقدنا له الفصل أن ذا النعمة يجب عليه اعتقاد أنها من الله تعالى ، وحمد الله عليها والوفاء بحقوقها . وقد جمع الشاعر هذه الأمور في قوله :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
والشاعر وإن لم يقل : إن هذا شكر فقد جمع أصنافه . وقد بينا لك أن مجموعها الشكر . ومن كلامهم : الشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، وثناء اللسان ، والمكافأة بالفعل . والتعبير بالمكافأة عندي غير سديد ؛ فإن أحداً لا يقدر على مكافأة المنعم بالحقيقة . وإنما^(٢) المعنى به استعمال الجوارح بقدر الاستطاعة في التكليف حسبما شرحناه .

المثال الرابع

إذا كنت مقبول الكلمة عند ولي الأمر^(٣) فالمطلوب منك أن تنصحه ، وتنتهي إليه ما يصح^(٤) ويثبت عندك من حال الرعايا ، وتساعده عنده على الحق بما تصل إليه قدرتك . ولا يكن حظك منه الاقتصار على حطام تجمعه لنفسك أو دنيا تضمها إليك ؛ فإن ذلك سبب زواله عنك بل المقتضي لدوام ما عندك منه ما ذكرناه من النصيحة والمساعدة في الحق ؛ لتدوم لك نعمته التي هي سبب نعمتك ، ومودته التي بها وصلت إلى ما وصلت ، ولتدوم لك منه ما أسداه

(١) كذا في كل النسخ ما عدل . فقها (عبارة الإمام الشافعي) .

(٢) كذا في ف . وفي باقي النسخ (ولكن) .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط (أمر) .

(٤) كذا في د . وفي ط (يتضح) ونسخة ف (تحتل الصيغتين) .

إليك . وما أحق من كانت له كلمة نافذة عند ولي أمر فوجد مظلوما يستغيث فقام يصلى شكراً لله تعالى على أن جعله ذا كلمة نافذة عند ولي الأمر ، وترك المظلوم يتخبطه^(١) الظلم ولا يجد منجداً ، وهو قادر على إنجاده . فذاك الذى صلاته وبال عليه ؛ كما قال الفقهاء فيمن كان يصلى فمرّ به غريق تتلاطمه أمواج البحر ، وهو قادر على إنقاذه ، فإنه يجب عليه قطع الصلاة وإنقاذه . وذلك وهذا سيان .

واعلم أن هذين المثالين أعنى الثالث والرابع يشملان كل ولي أمر ، وكل مقبول الكلمة عند ولي أمر : صغير أو كبير . ونحن نرى أن تخصّ غالب الناس بأمثلة تستوعب^(٢) معظم الوظائف التى استمرت عليها قواعد المسلمين فى هذا الزمان ، ونذكر مما^(٣) يطالب به صاحب تلك الوظائف يوم القيامة ، ويخشى عليه فى الدنيا والدين سوء العاقبة بسبب التفريط فيه ، ما يكون موقظاً له من سنة الغفلة ومرشداً إن شاء الله تعالى ، لعل الله ينفع به أقواماً .

المثال الخامس

السلطان أعنى الإمام^(٤) الأعظم . وقد أكثر الفقهاء فى باب الإمامة ، وأفرد كثيرون منهم الأحكام السلطانية بالتصنيف . ونحن ننبه على مهمات أهملها الملوك أو قصرُوا فيها . فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود ، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ؛ فإن الله تعالى لم يولّه على المسلمين ؛ ليكون

(١) هو من قولهم : تخبط فلاناً : مسه بأذى .

(٢) كذا فى ب ، ل ، ز . وفى د (تستوعب معظم) وفى ط (تستوعب بها معظم) .

(٣) كذا فى ب ، ط ، د . وفى ل (ما يطالب) وما أثبتنا أحود .

(٤) كأنه يريد بالإمام الأعظم من يستقل بالأمر والتدبير ولا رئيس بوقه يرجع إليه . وقد كان فى أيامه سلطان الممالك هو صاحب الأمر ، فكان هو الإمام الأعظم ، ولم يكن لمن يتسمى بالخليفة شأن معه . والإمام الأعظم هو فى العادة الخليفة . ولكن الأمر لم يستمر على هذا ، وتبدل الحال .

رئيساً آكلاً شارباً مسرّحاً . بل لينصر الدين ويُعلّي الكلمة . فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله ولا يؤمنون بالله ولا برسوله . فإذا رأينا مملوكاً تقاعد عن هذا الأمر ، وأخذ يظلم المسلمين ، ويأكل أموالهم بغير حق ، ثم سلبه الله نعمته وجاء يعتب^(١) الزمان ، ويشكو الدهر ، أفليس هو الظالم ، وقد كان يمكنه بدل أخذ أموال المسلمين وظلمهم أن يقيم جماعة في البحر يتلصصون^(٢) أهل^(٣) الحرب ؛ فإن كان هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في أعداء الله الكفار ، ويجاهدهم ويتلصصهم ، ويعمل الحيلة في أخذ أموالهم حلاً وبلاً^(٤) ويدع عنه أذية المسلمين .

ومن وظائفه أن يتظر في الإقطاعات ، ويضعها مواضعها ، ويستخدم من ينفع المسلمين ، ويحمي حوزة الدين ، ويكف أيدي المعتدين . فإن فرّق الإقطاعات على عماليك اصطفاها وزينها بأنواع الملابس ، والزراكتش المجرمة ، واقتخر بركوبها بين يديه ، وترك الذين ينفعون الإسلام جياعاً في بيوتهم ، ثم سلبه الله النعمة ، وأخذ يبكي ويقول^(٥) : ما بال نعمتي زالت ، وأيامي قصرت ! فيقال له : يا أحمق ، أما علمت السبب ! أو لست الجاني على نفسك ! ومن وظائفه الفكرة في العلماء والفقراء وسائر المستحقين ، وتنزيلهم منازلهم ، وكفائتهم من بيت المال الذي هو في يده أمانة عنده ، ليس هو فيه إلا كواحد منهم ، ولدلوه نسبة دلاء المسلمين ، فإن ترك العلماء والفقراء جياعاً في بيوتهم ، يبيتون ومنهم من يطوى الليلة والليلتين هو وعياله ، وأخذ

(١) كذا في ط . وفي ف . د (لعب الزمان) والمعروف أن يقال : يعتب على الرمان .

(٢) يريد : يسرقون . ولم يقف على هذه الصيغة . وفي التصحيح : لس العى . بلصه لصا

— من باب قتل — سرقه .

(٣) كذا في ف . د . ل . وفي ط (يتلصصون على أهل) .

(٤) كذا في د ، ط ، ل . وفي ف (وبسلا) وكلا اللفظين صحيح ، يقال : حل وبلى : أى حلال

باح . وبلى يكون معناه الحلال ومعناه الحرام . وهو هنا معناه الحلال .

(٥) كذا في ل . ط . وفي غيرهما (يقول) .

يَمْنٌ^(١) بِعَظِيمِ مُلْكِهِ وَمَحَاسِنِ سِمَاتِهِ^(٢) وَزِيْلَتِهِ وَلِبَاسِهِ وَلِبَاسِ حَاشِيَتِهِ ، فَذَلِكَ أَحْمَقُ جَهُولٍ . وَإِنْ ضَمَّ إِلَى هَذَا أَنَّهُ اسْتَكْثَرَ عَلَى الْفَقْهَاءِ مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَتَعَرَّضَ لَأَوْقَافٍ وَقَفَّهَا أَهْلُ الْخَيْرِ مِنْ تَقَدُّمِهِ عَلَيْهِمْ ، فَهُوَ بَلَاءٌ عَلَى بَلَاءٍ . فَإِنْ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَنْظُرَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَأَوْقَافِهِمْ ، وَالْأَلَّ يَكْلَهُمْ إِلَيْهَا . بَلْ يَرْزُقُهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا تَتِمُّ بِهِ الْكَفَايَةُ . فَإِذَا تَعَرَّضَ لَهَا فَقَدْ خَرَقَ حِجَابَ الْهَيْبَةِ . فَإِنْ ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَبِيعُهَا^(٣) بِالْبَرِّ طِيلَ^(٤) ، وَيَضَعُهَا فِي غَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا فَمَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ !

وَمِنْ وَظَائِفِهِ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَقَدْ قَدَّرَ الشَّارِعُ الْمَصَارِفَ فِيهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مَالٍ^(٥) أَقْوَامًا وَقَدَرًا . فَإِنْ تَعَدَّى هَذَا كَلَّهُ ، وَصَرَفَهُ فِي شَهْوَاتِهِ وَلَذَائِطِهِ ، وَحَسَبَ أَنَّ الْمُلْكَ عِبَارَةٌ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَا يَلُومُ^(٦) إِلَّا نَفْسَهُ . وَإِذَا جَاءَ سَهْمُ رَبَانِي لَا يَسْتَوْحِشُ ؛ فَإِنْ^(٧) أَخَذَ يَصْرِفُ الْأَمْوَالَ عَلَى خَوَاصِّهِ وَمَنْ يَرِيدُ اسْتِمَالَةَ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ لِبَقَاءِ مُلْكِهِ^(٨) ، لَا لِإِعْزَازِ الدِّينِ ، وَأَعْجَبَهُ مَدَائِحُ الشُّعْرَاءِ لِكُرْمِهِ ، فَذَلِكَ خُرْقٌ^(٩) وَقَدْ اِمْتَلَأَتِ التَّوَارِيخُ مِنْ^(١٠) كَانَ يَهْبِ الْأُلُوفُ لِلشُّعْرَاءِ ، وَالْأُلُوفُ لِلْبَهَائِلِكِ ، وَالْأُلُوفُ لِلْبَغَانِي^(١١) وَكُلُّ ذَلِكَ وَبَالَ عَلَى صَاحِبِهِ

(١) هَكَذَا فِي ف ، د ، ط . وَفِي ل (يَحِبُّ عَظِيم) . وَفِي ر (بَيْتُ تَعْظِيم)

(٢) هُوَ مَا يَمُدُّ عَلَيْهِ الطَّعَامُ .

(٣) كَذَا فِي ل ، ر ، وَفِي ف ، د : (سَمَّهَا) غَيْرُ مُعْجَمَةٍ . وَفِي ص . (يَبِيعُهَا) .

(٤) هُوَ الرِّشْوَةُ . وَالْبَرْطِيلُ فِي الْأَصْلِ : حَجَرٌ لَطْوِيلٌ . وَقَدْ قِيلَ : لَمْ رَجُلًا وَعَدَّ آخِرُ أَنْ يَعْمَلِيَهُ حَجَرًا إِذَا هُوَ قَضَى حَاجَةً لَهُ ، فَشَاءَ الْبَرْطِيلُ — وَهُوَ الْحَجَرُ — لَمَّا يَسْهَلُ بِهِ قَضَاءُ الْحَاجَاتِ مِنَ الْعُرُوضِ وَالْأَمْوَالِ . وَانْظُرْ شَفَاءَ الْغَلِيلِ .

(٥) كَذَا فِي د ، ط . وَفِي ف (وَجَعَلَ لِكُلِّ أَقْوَامٍ مَالًا وَقَدَرًا) .

(٦) كَذَا فِي ف ، د ، ط . وَفِي ز ، ل (فَلَا يَلُمُ) .

(٧) كَذَا فِي ف . وَفِي د ، ط (وَإِنْ) .

(٨) كَذَا فِي النُّسخِ مَا عَدَا ط فَقِيهًا (ابْنَاءُ ذِكْرِهِ وَمُلْكِهِ) .

(٩) أَيْ حَقٌّ .

(١٠) كَذَا فِي النُّسخِ ، عَدَا د فَيَبْدُو أَنَّ فِيهَا (يَمْنٌ) . وَمَا فِي د أَظْهَرَ ، وَإِنْ كَانَ الْأَسْمَاءُ

الْآخِرُ صَحِيحًا .

(١١) هُوَ جَمْعٌ مَعْنَى الْغَنَاءِ ، وَلَمْ يَنْفَعْ عَلَى هَذَا فِي اللَّغَةِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى : الْمَاهِرُ . وَقَدْ تَرِيدُ

بِهِ جَمْعٌ مَعْنَى عَلَى طَرَحِ زِيَادَةِ النُّضْجِ ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا فِي الْقِيَاسِ .

فقد كان بيت المال في زمن^(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضعاف ما هو اليوم بما لا يحصى كثرة ، وفتح الله عليه من الفتوحات ما أمره مشهور ، وجاءه مع ذلك أعرابي يستمنحه فقال :

يا عمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنَّةَ اكسُ بُدَيَّاتي وأمَّهته
وكن لنا من الزمانِ جُنَّةً^(٢) أقسيم بالله لتفعلتنه
فلم يرتح لترققه ، ولا راعه قسمه عليه ؛ بل قال : فإن^(٣) لم أفعل يكون
ماذا ؟ قال^(٤) :

• إذن أبا حفص لأذهبتَّه •

فقال : وإذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال :

يكون^(٥) عن حالي لتسألنه يوم تكون الأعطيات هتَّه^(٦)
وموقف المسئول بينهنه^(٧) إما إلى نار وإما جنة

فلما ذكر له الجنة والنار ، والموقف بين يدي المولى الجبار ، بكى حتى
أخضلت^(٨) لحيتته بدموعه ، وقال : يا غلام ، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم
لا لشعره . أما والله لا أملك غيره . فانظره^(٩) مع ما حصل عنده^(١٠) من

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (على زمن عمر) .

(٢) كذا في النسخ كلها ما عدا ف ففيها (خير جنة) وهي زيادة مضبوطة للوزن .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط ، ز (إن لم أفعل) وفي ل (وإن لم) .

(٤) كذا في ف . وفي د (فقال) وفي ط (فقال منشدا) .

(٥) كذا في ف ، ط . وفي ل ، ز (تكون) وفي د من غير فط .

(٦) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط (رهنه) . وهه يريد هنا أبدلت الألف هاء
أو حذفت وجيء بهاء السكت ، وهنا يريد بها هناك ، وروى المؤلف هذه القصة في طبقات الشافعية
(١ ص ١٣٩) وفيها تنه في موضع هه ، وذكر أن تنه يريد بها تنه وهي لغة فيها وثم من
إشارات المكان كها ، فالعني واحد .

(٧) كذا في ف ، د ، ل . وفي ر (يهنه) وفي ط (ينهنه) . ورواية (ينهنه) جيدة
من جهة المعنى وإن كان فيها الأكد من غير داع .

(٨) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفي ط (أخضبت) . وأخضلت : اتلت .

(٩) كذا في د وقد سقطت الهاء في سائر الأصول .

(١٠) كذا في ف ، د . وفي ط (له) .

الركة الدينية لم ينعم^(١) إلا بما هو من خاصة ماله ، ولم يجد غير قيصره . وقد كانت خزائن الأموال مملوءة بين يديه .

قال العلماء : ولم يعطه من بيت مال المسلمين وإن كان الأعرابي فقيراً مستحقاً ؛ لأنه لما استنزله^(٢) بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين ، فلم يعطه^(٣) من مالهم . قالوا : أو أنه لم يثبت عنده أن الأعرابي من جملة مصارف مال الصدقات . وقال على بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ، والخزائن مملوءة بين يديه : من يشتري مني سيفي هذا ؟ ولو وجدت رداء أستتر به ما بعته . فهذه سيرة أهل الحق والدين . ولأسنا نطالب أهل زماننا بها ؛ فإنهم لا يصلون إلى هذا المقام . ولكن نذكركم لعلمهم يرجعون أو يقصرون عما هم فيه . ولا^(٤) بد في الذكرى من نفع إن شاء الله تعالى .

ومن وظائفه النظر في الدين والصلوات . ولقد رأينا منهم من يعمر الجوامع ظاناً أن ذلك من أعظم القرب . فينبغي أن يفهم مثل هذا الملك أن إقامة جمعيتين في بلد لا تجوز^(٥) عند الشافعي وأكثر العلماء ؛ فإن قال : قد جوزها قوم ، قلنا له : إذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل فذاك الوقت أفعَل الجائز عند البعض . وأما أنك تتركب^(٦) ما نهى الله عنه وتترك ما أمر به ، ثم تريد أن تعمر الجوامع بأموال الرعايا ؛ ليقال : هذا جامع فلان ، فلا ؛ والله لن يتقبله الله تعالى أبداً ، وإن الله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً . ومن أقبح البدع المحرمة تقبيل الأرض بين أيدي الملوك . فإن كان سجوداً بأن لاقى بجمهته الأرض قال النواوى : فسواء أكان إلى القبلة أو غيرها وسواء قصد السجود لله تعالى

(١) كذا في النسخ ما عدل فقها (لم ينعم عليه) .

(٢) كذا في ف ، ل ، ز ، د ، وفي ط (استتر) .

(٣) كذا في ف ، ط ، وفي ل ، ز (فلم يعط من مالهم) وفي د (فلم يعط ، لله) .

(٤) هكذا في كل النسخ ما عدل فيها (ولا بد) .

(٥) كذا في د ، وفي ط (يجوز) وفي ف (يجوز) من غير مط للحرف الأول .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (تريد) .

أو غفل هو حرام . وفي بعض صورته ما يفتضى الكفر أو يقاربه ، عافانا الله
الكريم . انتهى . قال وربما اغترّ بعضهم بقوله تعالى « ورفع أبويه على العرش
وخرّوا له سجدا » والآية منسوخة أو متأولة^(١) كما هو معروف في كتب
العلماء . وسئل ابن الصلاح عن هذا السجود فقال : هو من عظام الذنوب ،
ونخشى^(٢) أن يكون كفراً . وفي بعض كتب الحنفية أن بعضهم قال : يكفر
مطلقاً ، وبعضهم قال : إن أراد التحية^(٣) فهو حرام ولكن لا يكفر ، وإن لم يكن
له نية كفر عند أكثرهم .

المثال السادس

نُوب^(٤) السلطنة

وعليهم مثل ما على السلطان . ويزدادون أن من حقهم مراجعته إذا أمر
بما يخالف المصلحة ، وازديادهم من تفقد حال الرعية صغرهم وكبيرهم ، جليلهم
وحقيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، والنظر في القرى والغلات ، ونحو ذلك ، وإيصال
الحقوق إلى مستحقيها من ذوى النهضة والكفاية والحاجة ، وتولية المناصب
لأهلها^(٥) . فإن اعتذر نائب السلطان بأن الزمان لا يمكنه ، قلنا له ولغيره :
أتم مطالبون من كل ما نأمركم^(٦) به بما تصل إليه قدرتكم ؛ فعليكم الجد والاجتهاد
والله يعين .

(١) من وجوه التأويل أن السجود كان لله ، وكان يوسف قبله ، أو أن السجود كان لإمام
بالرأس ، وكان هذا تحيته .

(٢) كذا في ف ، ط ؛ وفي ل ، ز (ينحشى) وفي د من غير نقط .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ط فقيها (أراد به التحية) .

(٤) مفرد النوب نائب . ويريد به من يقوم عن السلطان في الحكم وفي تنفيذ أمره . وكان
سلطان المماليك نواب في الجهات النائية ؛ فله نائب في الإسكندرية ، ونائب في الوجه البحري ،
ونائب في الوجه القبلي ، ونائب في الشام . وكان بس سلاطينهم تتحدون أحياناً نائباً في الحضرة
أى في القاهرة يسمى النائب الكافل ، وكان يضطلع بشئون السلطنة حتى قيل : إنه سلطان مختصر .

(٥) كذا في ف ، ط . وفي د ، ل ، ز (لأهلها) .

(٦) كذا في ف ، ط . وفي ل ، ز (يأمركم) وفي د من غير نقط .

ومن حقهم إقامة فقيه في كل قرية لا فقيه فيها ، يعلم أهلها أمر دينهم .
ومن العجيب ^(١) أن أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيباً ويستصحبوه في أسفارهم بمعلوم من بيت المال ، ولا يتخذون فقيها يعلمهم الدين ؛ وما ذاك إلا لأن أمر أبدانهم أهم عندهم ^(٢) من أمر أديانهم . نعوذ بالله من الخذلان .
ومن حقهم إلقاء مقاليد الأحكام إلى الشرع لأنه لا حاكم إلا الله تعالى ، ولن تفعل العقول شيئاً . فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطنة ^(٣) انقياده للشرع ويلسبه بذلك إلى اللين والرخاوة فاعلم أنه يخشى عليه أن يكون ممن طبع على قلبه وأن ^(٤) عاقبته وخيمته ، بل حق على كل مسلم الرضا بحكم الله تعالى والانقياد له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ^(٥) ، الكافرون الظالمون . وسنبسط في فصل الحجاب القول في ^(٦) هذا ؛ لكونه أمراً بهم . ومن حقهم دفع أهل البدع والأهواء ، وكف شرهم عن المسلمين . ولا يسعهم ^(٧) في دين الله تعالى الصبر على من يسب الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويقذف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ويفسد عقائد أهل الدين . بل يجب عليهم الغلظة على هؤلاء بحسب ما تقتضيه المذاهب . وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال أو التجسيم . وإلا فجمهورها على الحق ؛ يقولون ^(٨) عقيدة أبي جعفر ^(٩) .

(١) كذا في ف ، ل ، ر . وفي د ، ط (العجب) .

(٢) كذا في النسخ ما عدا د ففيها (عليهم) .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز ، وفي د ، ط (السلطان) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقد سقط منها : (وأن عاقبته وخيمته) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها الكافرون الفاسقون الظالمون ، وكلا الترتيبين غير موافق لما في النسخ . في التبريل : الكافرون الظالمون الفاسقون .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (بهذا) .

(٧) كذا في ف ، ط ، وفي د ، ل ، ر (فلا يسعهم) .

(٨) كذا في كل النسخ . ما عدا د ففيها (يقولون) .

(٩) هو أحمد بن محمد بن سلامة الإمام الحليل صاحب « معاني الآثار » وهو ابن أخب المزني صاحب الشافعي . يقال : لأنه بلغ رتبة الاجتهاد . ونوفى بمصر سنة ٣٢١ هـ وانظر ترجمته في وفيات =

الطحاوى التى تلقاها العلماء سلفاً^(١) وخافاً بالقبول ، ويدينون الله برأى شيخ السنة أبى الحسن^(٢) الأشعرى الذى لم يعارضه إلا مبتدع . ومن مهماتهم النظر فى أمر المفسدين من قطاع الطريق وأهل الفتن كالعشران^(٣) وغيرهم ، والغاظة والنشديد عليهم . وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب فى شدة تعزيرهم^(٤) والمبالغة فى عقوبتهم على جرائمهم ، وطول مكثهم فى السجن فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهى وحظ النفس ومحبة شيع الاسم بالانتقام ؛ فإن ذلك فنّ من الجنون . فقد كان ملك الصحابة رضى الله عنهم أوسع ، وأمرهم أنفذ ، ولم يحبوا أن يشيع اسمهم إلا بالعدل والرفق ، لا بالعسف^(٥) والظلم . ومنها سفك دم من يلتقص^(٦) جناب سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أو يسبه^(٧) ؛ فإن^(٨) ذلك مرتدّ كافر ، ذهب كثير من العلماء إلى أن توبته لا تقبل . وهو

== ابن خلكان . وعقيدته يقول فيها المؤلف فى الطبقات (٢٠ ص ٢٦١) : « سمعت الشيخ الإمام رحمه الله — يريد والده — يقول : ما تضمنته عقيدة الطحاوى هو ما يعتقده الأشعرى لا يخالفه إلا فى ثلاث مسائل » .

- (١) كذا فى كل النسخ ماعدا ف فقها (خلقا وسلفا) .
- (٢) هو على بن إسماعيل ينتهى نسبه إلى أنى موسى الأشعرى رضى الله عنه . وهو شيخ أهل العسنة ، وصاحب الطريقة المثلّى فى أصول الدين . وكانت وفاته فى بغداد سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة هـ وانظر ترجمته فى ابن خلكان ، وطبقات الشافعية للمؤلف .
- (٣) جمع عشر ، وكانت هذه الكلمة (العشران) تطلق فى الشام على البدو الذين من دأبهم الغارة والنهب .
- (٤) التعزير عند الفقهاء التأديب على فعل معصية لا حد لها ولا كفارة ، كشهادة الرور . والضرب بغير حق ، وقد بشرع التعزير لما ليس بمعصية مما ينبغى التحرز منه كالاشغال باللهو الذى لا معصية فيه كالضرب بالدف ، وغناء الرجل فى المحامع من غير آله لهُو محرمة . والتعزير يرجع فيه إلى تقدير القاضى ، ويكون بنحو الحبس والضرب والتوبيخ بالكلام . وقد عقد له الفقهاء له باباً بينوا فيه أحكامه وحدوده . والتعزير فى أصل اللغة من العزر وهو المنع . ويأتى التعزير فى اللغة أيضاً للتفخيم والتعظيم ومنه قوله تعالى : وتعزروه وتوفروه ، كأنك إذ نفخه الرجل تمنع عنه الأزدراء والاحقار .

(٥) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ط (لا بالفساد والظلم) وفى ز (لا العسف) :

(٦) كذا فى ف . د ، ل ، ز . وفى ط (يعص) .

(٧) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ر (أو نسبه) وفى ط (أو من يسبه) .

(٨) كذا فى كل النسخ ماعدا ل فقها (فإنه) .

اختيار طوائف من المتأخرين . فإن كان الذى وقع منه هذا بمن يتكرر هذا الحال منه ، أو عرف بسوء العقيدة وصحة^(١) المشهورين بذلك ، أو وقع منه ما وقع على وجه فظيع^(٢) تشهد القرائن فيه بالخبط الباطن ، فأرى أنه لا تقبل له توبة ، ويسفك دمه ، وهو رأى الشيخ الإمام الوالد تغمده الله تعالى برحمته ، والشيخ العلامة تقي الدين^(٣) بن تيمية . ومنها نظرهم فى أمر دواداريتهم^(٤) فأكثر ما ينشأ فساد باهم عنهم وهم غافلون . فإذا عرف نائب السلطنة أن ميزان باب الدوادار ، فحق عليه الاحتياط فى أمره ، وعدم الإصغاء إليه فيما يقوله ؛ بل يستوضح الحال ويستكشفه من بطانة^(٥) الخير عنده ؛ فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما^(٦) من ملك أو أمير إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، وبما يختص بالإمام ، وليس لنوابه الاستبداد به من غير استئذانه ، الحى^(٧) . فلا يحى غير الإمام الأعظم على الصحيح عند الوالد وكثيرين إلا بإذنه .

(١) كذا فى ط . وفى د (وصحة) .

(٢) كذا فى ف ، وط . وفى ل ، ر (قطع) وفى د غير واضحة .

(٣) هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلى المتشهد المحدث . وهو أشهر من أن يعرف . كانت وفاته فى قلعة دمشق ٧٢٨ هـ .

(٤) سأتى الكلام على الدوادار فى المثال السابع .

(٥) بطانة الرجل صاحب سره ، الذى يثاوره الرجل فى أحواله .

(٦) هذا الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الأحكام ، ولفظه فيه : ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله تعالى . وورد أيضاً فى سنن النسائى فى كتاب البيعة بعدة روايات ، ومنها ما يوافق لفظ البخارى ، ومنها : ما من وال إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خيلاً ، فمن وفى سرها فقد وفى . وكأن المؤلف اعتمد فى رواية الحديث على المعنى .

(٧) الحى : موضع فيه كلاً يمنع من الناس أن يعصى . وقد كان العوى فى الجاهلية يتخذ لماشيته حتى لا يمر به غير ماشيته . روى أن الشريف منهم كان إذا نزل لبدأ استعوى كلاً فحى لخاصته مدى عواء السكاب لا يشركه فيه غيره ، فلم يرعه معه أحد ، وجاء الإسلام فأبطل هذا وفرض أن الحى لا يكون إلا لمصلحة عامة المسلمين ، وقد حى عمر رضى الله عنه النبيع لإبل الصدقة ، واستعمل عليها رجلاً أو صاه ألا يجمع الحاج أن يرعى ماشيته فيه . قال الفقهاء : ليس للإمام أن ==

المثال السابع

الدوادر^(١)

فمن حقه الاستئذان على^(٢) ذي الحاجة ، وإنهاء ظلامته ، وألا يتركه^(٣) على الأبواب لا يجد ملجأً إلى الدخول على الملك . وليعلم أن لصاحب^(٤) الحاجة حقاً عند أستاذه : لأن من وظيفة^(٥) أستاذه سماع كلامه ، وقضاء حاجته إذا أمر بها الشرع : وليس لأستاذه حقّ عنده ، والمِنَّة لله تعالى على أستاذه أن^(٦) جعل حاجة الخلق إليه ، وعليه أن جعله في باب المرصاد لهذا الأمر . فإن هو قصر فيما وصفناه كان هو الظالم لأستاذه ، المتسبب في خراب دياره ، الباغي على الرعية . وعليه المبادرة إلى تقديم الدواة عند ارتفاع القصص ، وتذكير^(٧) مخدومه بها . فربما اشتغل بال الملك عن ذلك ولم يجد من يذكره . وهذه وظيفة الدوادر وكان الدوادر يسمى^(٨) في الزمان القديم الحاجب .

= يدخل مواشيه فيما حماء للمسلمين لأنه قوى ، وإنما الحمى للضعيف ، وفقد سرس الفقهاء الأحكام الحمى في باب إحياء الموات من الأرض .

(١) هذا اللفظ مركب من كلمتين : عربية وهي (دوا) وهي الدواة بخذف التاء ، وفارسية وهي (دار) ومعناه ممسك أو صاحب أو حافظ فعي دوادر ممسك الدواة أو صاحبها . وسترى أن الكلمة الثانية تدخل في كثير من ألقاب السلطنة في عهد المؤلف . ووظيفة الدوادر الدوادرية ، وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص (والعرائض) إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وأخذ خط السلطان على عامة المناشير والتوقيعات . انظر صبح الأعشى ص ١٩ ج ٤ .

- (٢) كذا في كل النسخ ما عدا ز ففيها (على حاجته) .
- (٣) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (وأن لا يترك على الأبواب من لا نجد) .
- (٤) كذا في ف ، د ، ز ، ل ، وفي ط (لصاحبه حقاً) .
- (٥) كذا في ف ، ل ، ر ، وفي ط (لأن وظيفة أستاذه) وفي (د) غير واضحة .
- (٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (إذ جعل) .
- (٧) كذا في د وفي ف ، ط (ويذكر) ، وقوله بها : أي بالقصص .
- (٨) كذا في د ، ط . وفي ف (وكان الدوادر في الزمان القديم يسمى الحاجب) .

المثال الثامن

الخازندار^(١)

و حقّ عليه ألا يَمنْطَل من أحيل إليه ، بل يدفع إليه ما أمر له به مُهتَشاً^(٢) مُبَسِّراً^(٣) . والخازندار أمين ؛ فلو ادعى أنه دفع المال إلى مخدومه كان القول قوله يمينه ، وإن كان له على الخزندارية معلوم أو إقطاع ؛ لأنه كالوكيل بجعل .

المثال التاسع

أستاذ الدار^(٤)

وهو من يتكلم في إقطاع^(٥) الأمير مع الدواوين^(٦) والفلاحين وغيرهم . عليه^(٧) ألا يُطعمه حراماً ، ولا يبيع أستاذة رخيصاً ، وأن يرفق بأهل القرى ويؤدّي أمانة الله تعالى التي علّقها في رقبته حيث دخل في هذه الوظيفة

(١) هذه الكتابة خطأ سببه نوهم أن دار هي الدار العربية . والصواب : « الخزندار » من « خزانة » العربية و « دار » الفارسية أى متولى الخزانة . وقد حذفت ألف الخزانة طلباً للخفة . وقد ذكر هذا الرسم على الصواب في قوله بعيد هذا : « وإن كان له على الخزندارية » وانظر صبح الأعشى ص ٤٦٣ ج ٥ .

(٢) هكذا في النسخ ماعداً دفعها مهياً مبسراً .

(٣) هذا الضبط عن ف ، ل . وفي ز : مبسراً .

(٤) كذا بإهمال الدال في ف في هذا الموطن ، وتراه في غير هذا الموطن بالإجماع كما في غيرها من النسخ . والكلام في الأصل فارسية فقد تعرب بالإجماع وقد تعرب بالإهمال ، وكتابتها هكذا خطأ وقع فيه بعض الكتاب ؛ نوهموا أن « دار » هي الدار في العربية وصواب كتابتها : « لاسدار » أو « استدار » من « لاسند » أى أخذ في الفارسية و « دار » أى ممسك ، ووهى هذا المركب : مولى الأخذ وقبض المال . وانظر صبح الأعشى ص ٤٥٧ ج ٥ .

(٥) الإقطاع : ما يعطيه السلطان الأمراء وغيرهم من الأرض الزراعية الخراجية لاستغلالها ودفع الخراج عنها .

(٦) هكذا في النسخ ماعداً ف ، ففيها « من الدواوين » ولا معنى لهذا ويريد بالدواوين الكتاب الذين يدونون متعلقات الأمير .

(٧) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز وعليه .

للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير ، كما عليه أن يؤدي حق الأمير . بل هؤلاء ،
أحوج من الأمير إلى الرفق بهم ، واعتماد الحق معهم . فأين يكون الأمير يوم
يعض الظالم على يديده ولا أمر إلا الله تعالى !

المثال العاشر

الوزير

وهو اليوم ^(١) اسم لمن ينظر في المكوس ^(٢) وغيرها من الأموال التي
ترفع إلى السلطان ويبيت المال . ومن حقه بذل النصيحة للملك ، وكفّ أذاد
عن أموال الرعية ، وتخفيف الوطأة عنهم ما أمكنه . وقد علم أن المكوس
حرام . فإن ضمّ الوزير إلى أخذها الإجحاف في ذلك وتشديد الأمر فيه ،
والعقوبة عليه ، فقد ضمّ حراماً إلى حرام . بل إذا لم يقدر على إبطال حرام ،
فلا يزيد الطين بلة ، بل لا أقل من الرفق والتخفيف . ومما يجب عليه التيقظ
له الأموال التي تجتمع ^(٣) عنده ، ومنها حلال ومنها حرام . فعليه ألا يخلطها
بل يدع الحلال بمفرده ، والحرام بمفرده ، وإلا فتمت خلطهما ^(٤) ولم تميز صار
الكل حراماً . وفي ذهن كثير من العامة أن الأموال إذا خلطت ودخلت بيت
المال صارت حلالاً . وهذا جهل ؛ ما اجتمع الحلال ^(٥) والحرام إلا غلب
الحرام ^(٦) الحلال . وبيت المال لا يُحِلُّ ما حرّم الله تعالى . ثم إذا تميز الحلال

(١) وكانت الوزارة قبل من أرفع المراتب . كان الوزير إلى صاحب الأمر خليفة أو سائناً .
وقد قال منصور النوري بمدح نجي بن خالد البرمكي :

ولو غلب فوق الوزارة رتبة نال بمجد في الحياة المالها

(٢) واحده مكس . وهو ما يؤخذ من التجار . وكان السلطان يأخذ العشر في الأسواق .
ومثله كل ما يؤخذ من المال غير حق شرعي من الضرائب التي تحدث سوى البركة .

(٣) كذا في ف . د . وفي د ، ل ، ز (تجمع) .

(٤) كذا في ف . د . وفي ط (خلطها) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (حلال وحرام) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (إلا غلب الحرام على الحلال) .

عن الحرام صرف الحلال على أهل العلم والدين ومن يتحرى أكله . ويتعين عليه التخفيف في العقوبات على من تتوجه عليه بغير حق إذا لم يمكنه دفعها . فليت شعري إذا جلس وزير يعاقب الرعايا ليستخرج منهم الخبائث التي لا يجوز له أخذها ، ودفعها إلى من يأخذها ظلماً ، ويصرفها فيما لا يحل فكيف يكون وجهه عند الله تعالى وكيف لا يتبادر إليه الوخم وسوء العاقبة في الدنيا ! وكذلك ترى عواقب الوزراء وقبط^(١) الدواوين شر^(٢) العواقب في الدنيا والآخرة .

المشال الحادى عشر

مشد^(٣) الدواوين

ووظيفته استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه منه . والكلام فيه كالكلام في الوزير . وهو أشد حالاً ؛ لأن الوزير يدعى أنه يعرف الحساب ولا يؤخذ إلا بما تقرر في الديوان ، وهذا يقلد الوزير : فيضرب ويعاقب على جهل بالشرع والعادة . بل حق عليه لو رفع إليه من توجه عليه حق معين أن يرفقه به . حكى أن^(٤) المنصور رحمه الله بلغه عن جماعة من كتاب الدواوين خيانة^(٥) فأمر بعقوبتهم فقال صبي^(٦) منهم وهو يضرب :
أطال الله عُمرَكَ^(٧) في صلاح وعِزِّ يا أمير المؤمنين
بعفوك أستجير فإن تجازى فإنك عصمة للعالمين
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبين

(١) كذا في ل . وفي ر (والقبط الدواوين) وفي ف (والقبط والدواوين) وفي ط (والقبط أهل الدواوين) وسقطت هذه الجملة من د .

(٢) كذا في ف ، ر ، و ، د ، ل ، ط (سوء العواقب) .

(٣) ويقال فيه أيضاً : شاد الدواوين .

(٤) أورد هذه الحكاية المهشياري في كتاب « الوزراء والكتاب » ص ١٣٦ .

(٥) في كتاب المهشياري أن المنصور بلغه أنهم يزورون في دواوين داره .

(٦) عند المهشياري « واحد منهم » .

(٧) كذا في ط . وفي ف ، د ، ر (عرك) .

المثال الثاني عشر

الدواوين^(١) في سائر الجهات

ولإلى الوزير إن كانوا دواوين السلطان مرجعهم . وإن كانوا دواوين
الأمراء فأمر كل ديوان إلى مخدومه . وعلى الكل الأمانة ، وتجنب الحياة .
ويختص ديوان الأمير بالرفق بالفلاحين . ويعم الكل تجنب حُرَمَاتِ الله تعالى
على ما وصفناه ؛ فلقد كثر منهم اتخاذ دُويِّ الذهب أو المحلاة بالذهب والفضة
والسكاكين المفضضة . والأصحّ تحريم ذلك كله ، إلا أن يكون نوه^(٢) بقدر
لا يحصل منه شيء بالعرض على النار . سمعت بعضهم يقول وقد قرأ منقوشاً
على دُويِّ بعض الكتاب :

دواتنا سعيدة ليس لها من مَرتَبِه^(٣)

عروس حسن جُليت منقوشة مَكْتَبِه^(٤)

قد انطلت حِلَّتِها على الكرام الكتبه

لم^(٥) تنطل إلا على اللصوص ، الكتبة في المكوس . فإذا رأيت ديواناً
من وزير أو غيره يخرج من بيته بعد أن امتلأ باطنه^(٦) بالحرام ، وهو لا بس

(١) الديوان موضع الكتاب ودارهم . وتراه يطلق الدواوين على الكتاب أنفسهم وهو يريد
الكتاب الذين يختصون بكتابة الالتزامات وحساب ما يعطى من الأرض لاستغلالها واستخلاص
ما هو مرتب عليها .

(٢) كذا في ب وهامش ل . وفي ط ، ز (قدموه) وفي د (قدروه) والتبويه : الرقع .
والتبويه الطلاء بذهب أو فضة للنحاس أو الحديد . ونرى أن « موه » أجود وألصق بالمعنى .
و « نوه » إذا لم تكن محرفة فالمراد أن ترفع وتحسن بالطلاء .

(٣) إن قرئ متربة بكسر الميم فهي ظرف كان يوضع فيه تراب لترتيب الكتاب وتجميعه .
وقد يوضع فيه رمل فيسمى مرملة . وإن قرئ متربة بفتح الميم فهي الفقر والحاجة .

(٤) جليت . يقال : جلا العروس : نظر إليها في بهائها وريبتها . وقد تكون : حليت . وقوله :
مكتبة كأنه يريد أنها كتب عليها وقش .

(٥) يريد الشاعر أن الرأي لها وقد حليت بالذهب مثلاً يخال أنها كلها من ذهب . وهي ليس
كلها من ذهب ، فبذلك تجمع الكرام الكتبة من الناس . وخشى هذا الذي يتقد هذه الأبيات أن
يزهد القارئ إلى لكرام الكتّاب من الامتعة . فقال ما وصف .

(٦) كذا في كل النسخ . وقد يكون أصلها : بطنه .

الحرام ، وجلس على الحرام ، وفتح الدواة الحرام ، وأخذ يهْدُ^(١) الأقلام للحرام ، ثم عاقب للحرام ، أفليس حقاً إذا رأيتَه بعد زمن يسير مضروبا بالمقارع ، يطاف به في الأسواق ويحْنَى^(٢) عليه !

المثال الثالث عشر

كاتب السرّ

ووظيفته التوقيع عن^(٣) الملك والاطلاع على أسرارِه التي يكتب بها ، وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل . ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك وتفهمه إياها ؛ فإن أكثر الملوك يعسر عليهم الفهم ، ويُؤْتَوْنَ من قبل ذلك ، لاسيما إذا اشتبكت الأمور . وازدحمت الأشغال . فعلى كاتب السر التلطف في ذلك بحيث تصل إلى ذهن الملك . وإلا فمتى ظلم الملك واحداً في واقعة لعدم فهمه ، وكان كاتب السر هو الذي قرأ عليه القصة فيها كان شريكاً له أو مستبداً عنه بالظلم . ومن حقه أن يكتب ما أسرّ إليه كما قال الشاعر :

ويُكاتب الأسرار حتى إنه ليصونها عن أن تمر بخاطره

وأن يحترز من الكتابة في قطع الأرزاق ؛ فقلنا أفلح كاتبه . وما أحسن ما نقشه بعض كتاب السرّ على دواته فقال^(٤) .

حلّفت من يكتب بي بالواحد الفرد الصمد
ألا يمدّ مدّة في قطع رزقٍ لأحد

(١) يغسها في المداد .

(٢) كذا في ل . وفي د ، ز ، ط (ويجي) وفي ف غير معجمة .

(٣) كذا في ف ، ز ، ط . وفي ل (على الملك) . وفي د (عند الملك) .

(٤) كذا في ز وفي ط (حيث قال) وفي باقي النسخ سقطت هذه الجملة . والنسخ بجمعة على

أن المقول : هو حلّفت البيتين فقط . وقد انفردت نسخة ط بإثبات بيت قبليهما ، وهو :
إذا فتحت دواة العز والنعم فاجعل مدادك من جود ومن كرم

المثال الرابع عشر

الموَقُّعون^(١)

وعليهم الرفقُ بالرعية فيما يكتبونه ، والتخفيف من التشديدات التي يُؤمرون بكتابتها ، ولا يسوغ الأمر بها . فإن كان لا يقدر على التخفيف فلا أقل من ألا يزيد الطين بلة ويسدد^(٢) فلقد بلغني أن بعض الملوك قال لموقع : اكتب إلى فلان بالحضور . فأبرق في الكتابة وأرعد ، وقعقع في العبارة . فلما وصل إليه^(٣) الكتاب أرعده^(٤) ذلك بحيث وضعت امرأته وكانت حاملا ، وأرعى^(٥) هو مصارينه من الخوف . ولذلك قال فيهم بعض الشعراء :

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بُعدوا مالا يُنال بحدّ المشرفيات^(٦)
ومن حقه ألا يستعمل وحشى^(٧) اللغة ولا مالا يفهمه إلا أكثر من الناس
لا سيما إذا كتب إلى من يبعد فهمه لذلك .

المثال الخامس عشر

المهمّندار^(٨)

اسم لمن يقوم بأمور قُصّاد الملوك ورسلمهم . فن حقه أن يعتمد مصلحة الإسلام^(٩) ، ويُرهب القصاد ، ويوهمهم قوة المسلمين وشدة بأسهم وعظيم

(١) يريد الذين يكتبون الرسائل والمكاتبات بأمر السلطان أو نائبه .

(٢) كذا في ف . وفي د ، ط ويشدد . والأول عطف على ألا يزيد والثاني على يزيد .

(٣) كذا في ف . وفي ط (وصله) .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ل (أرعه ذلك) وفي ز (ارتعد لذلك) . وفي ط (أرعه)
بجذف ذلك .

(٥) أرعى أمة في رعى .

(٦) هي السيوف ، كانت تجلب من مشارف الشام فنسبت إليها .

(٧) كذا في ف ، ل وط . وفي د ، ز (حوشى) والمراد الغريب من الكلام .

(٨) هذا اللفظ مركب من لفظين فارسيين : مهمن ومعناه الضيف ، والثاني دار ومعناه ممسك

وحافظ كما سلب .

(٩) كذا في ف ، ن ، ر . وفي د ، ط (المسلمين) .

سطوتهم ، وأنفاق كلمتهم ، وقيامهم في حوزة الدين وذبتهم عن حريم الملة الإسلامية ، وحفظ النظام ، وأن يُنهي أمور القصاد إلى الملك بمقدار^(١) ما يكون فيه المصلحة ، ورُبَّ من يتعين^(٢) عليه المبادرة إلى إكرامه ، ومن يتعين عليه الكف عن إعظامه ، بحسب ما تقتضيه الحال . ومن الحق على الملك ونوابه الاحتفال عند حضور قُصّاد الملوك ، وإظهار القوة وحسن الملبس وكثرة الجيش واستعدادهم على الوجه الشرعى .

المثال السادس عشر

البريدية

وهم الذين يحملون رسائل الملك وكتبه . وكانت أئمة العدل لا تُتبرد^(٣) البرد^(٤) إلاّ لهم من مهمات الإسلام ، لمثله تساق الخيول ، وتزعج النفوس ، والآن أكثر ماتهلك خيول البريد وتساق للأغراض الدنيوية ، من شراء الممالك وجلب الجوارى والامتعة . وإذا ركب الفقيه^(٥) فرسا أنكر^(٦) عليه^(٧) ذلك ، وقيل : قد أخطأ السلطان أو نائبه في إركابه ؛ فإن البريد لا يساق^(٨) إلاّ لمهمات السلطنة . كأنهم يعنون بمهمات السلطنة ما اعتادوا به^(٩) من شراء ملوك ملبح ، أو استدعاء مغنّ حسن الصوت ؛ أو خراب بيت شخص أنهى عنه ما لا صحة له ، إلى أمثال^(١٠) ذلك . وخفى عنهم أن أئمة العدل كانوا يستدعون

(١) كذا في ف ، د ، و في ط (عذر) .

(٢) كذا في ط . و في د (تعين) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (يردود) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (البريد) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (فقيه) .

(٦) هذه الزيادة في ط وقد خلت منها سائر النسخ .

(٧) كذا في النسخ ما عدا ف ففيها (تساق) .

(٨) كذا والمعروف أن اعتاد بعمد نفسه ، فإن صح هذا الأصل فقد ضمن اعتاد معنى عسك .

(٩) كذا في النسخ ما عدا ل ففيها (مثال) .

العلماء من البلاد لأجل نفع المسلمين واشتهار^(١) الدين ، وأن ركوب البريد لهذا الغرض خير من ركوبه في أغراضهم الفاسدة . وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يُبرِد البريد للسلام على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل رأيت في زماننا ملكا يفعل ذلك ! ومن حق البريدى كتمان الأسرار ، وستر العورات ، وكفّ لسانه عن الفضول فضلا عن الكذب . فلقد كثرت منهم الكذب ونقل البهتان لأجل حُطّام من الدنيا . ومن حقّه حمل رسائل الإخوان إليهم : ففي ذلك أجر عظيم وشكر لهذه النعمة . وحق على كل بريدى ألا يجهد^(٢) الفرس بل يسوقها بقدر طاقتها . وقد كثرت منهم سوق الخيول السوّق المزعج بحيث تهلك تحتهم . أفما علموا أنها من خلق الله تعالى . فإذا رأيت بريدياً يسوق الخيل في أمر لا يجوز حتى يُهلكها ، ثم يقدّم على أهل بلد فيزعجهم ، ثم يعود للسلطان^(٣) فيدلّ على عورات المسلمين ويُغري الظلمة بالمساكين ، الغافلين والغافلات ، ثم يزيل الله سبحانه عنه النعمة ، ويذيقه أنواع الذل والإهانة فلا تعجب ، واعلم أن ذلك من الله عدل .

المثال السابع عشر

ناظر الجيش

فمن حقه النظر في حالهم ، وتجريد من يرى فيه^(٤) المصلحة والكفاية والقدرة . وحرام عليه أن يجهد عاجز الفقراء^(٥) وغيره ، أو أن يُغري به الملك . بل عليه الدفع عنه بما يمكنه : فإنه ناظر عليه كناظر اليتيم . وعليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين ؛ فإنه مطالب بذلك كله ، فليثق الله ربه .

(١) كذا في ف . د . و . و (وإشهار) ولم يرد أسهر لشيء ، و معنى أعلنه .

(٢) قال : جهدت الدابة وأجهدتها : حامت عليها في السير فوق طاقتها .

(٣) في ل . إلى السلطان .

(٤) كذا في ف . و . و (و د) فيه .

(٥) قد يكون : ساحراً لغيره أو غيره .

ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الإقطاعات بالفلاحة ، والفلاح حر لا يد لآدمي عليه وهو أمير نفسه . وقد جرت عادة الشام بأن من نزح^(١) من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد^(٢) الفلاحة . والحال في غير الشام أشد منه فيها . وكل ذلك لا يحل اعتماده ، والبلاد تعمر بدون ذلك . بل إنما تخرب^(٣) بذلك ؛ لأنهم يضيّقون على الناس فيضيّق الله عليهم . ومن قبائحهم أنهم إذا اعتمدوا شيئاً مما جرت^(٤) به عوائدهم^(٥) القبيحة يقولون : هذا شرع الديوان ؛ والديوان لا شرع له ، بل الشرع لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم . فهذا الكلام يذهب إلى الكفر ؛ وإن لم تشرح النفس لتكفير قائله ؛ فلا أقلّ من ضربه بالسياط ؛ ليكف لسانه عن هذا التعظيم^(٦) الذي هو في عُنية عنه بأن^(٧) يقول : عادة الديوان أو طريقه أو نحو ذلك من الألفاظ التي لا تنكر .

المثال الثامن عشر

السيّاحدار : الذي^(٨) يحمل السلاح

ومن حقه الاحتفاظ حسبما شرعناه ونشرحه في أرباب الوظائف .

المثال التاسع عشر

الجُمّقدار

حامل الدبّوس^(٩) .

-
- (١) كذا في ل . وفي هامشها (حرج) ، وفي باي الأصول (يروح) .
 - (٢) كذا في د ، ط ، ز ، ل . وفي ف (سد) .
 - (٣) كذا في ف . وفي د . ط (تخرب البلاد بذلك) .
 - (٤) كذا في ف ، د . وفي ط لم تذكر جملة (مما جرت) .
 - (٥) كذا في ف . وفي ل ، د ، ز (عاداتهم الحبيثة) .
 - (٦) كذا في ط . وفي ف ، د (العظيم) .
 - (٧) كذا في كل النسخ ما عدل ففيها (بل يقول) .
 - (٨) في ط : وهو الذي يحمل السلاح . والسيّاحدار أصله السلاحدار ، وقد كتبت هكذا بالألف ، وكذا ما تحذف الألف في مثل هذا ، ومعناه ممسك السلاح .
 - (٩) كذا في د ، ب . وفي ط (وهو الذي يكون دائماً حامل الدبّوس) والدبّوس من أدوات السلاح : قضب من حديد في نهاه كدالة من حديد .

المثال العشرون

الطَبَرُ دار^(١)

وهو الذى يحمل السلاح بين يدى السلطان لأجل حفظ نفسه .

المثال الحادى والعشرون

الجُوكاندار^(٢)

وهو الذى يحمل الجوكان^(٣) .

المثال الثانى والعشرون

الجَمَدَارِيَّة^(٤)

وأكثر ما يكونون صبياناً ملاحاً مرداً ، يتعاناهم^(٥) الملوك ، وكذا
الأمراء ، يكونون بالنوبة مع الخدم ، يلزمونه حتى وقت نومه ، وقد
تناهت الرغبة فيهم لاستيلاء شهوة المرد الملاح على قلوب أكثر أهل الدنيا ،
وصارت الجمدارية تنوع فى الملابس المهيجة للشهوات البشرية ، ويتزينون
فيُربون فى ذلك على الدماء ، ويفتنون الناس بجمالهم . وحرام على

(١) هذا اللفظ مركب من « طبر » وهو الفأس ، ودار أى ممسك . وكلامنا لفظ فارسي .

(٢) هذا الرسم عن ف . وفى ل ، ط (الجوكندار) وفى ر (الجوقدار) .

(٣) كذا فى ط . وفى ف (الجوكاندار) وهو غلط والجوكان هو المحجن الذى تضرب الكرة به .

(٤) كذا فى ز . وفى غيرها : (الجمدار) والجمدار هو الذى تتولى الناس السلطان أو الأمير

بنايه ، وأصله جامادار وهو مركب من « جاما » أى الثوب فى الفارسية ومن دار أى ممسك .

(٥) كذا فى ف . وفى ل ، ر (تعاناهم) وفى هامش ل (تعاناهم) وفى د (تعاناهم الملوك) وقوله :

تعاناهم الملوك أى يتعذبونهم وهو من عذب السىء : قصده ، وقد شاعت هذه اللفظة ولم يعم عليها

فى اللغة ، قال : ولان معانى الأدب . وسجدة د : تعاناهم كآبه من العية أى نهائهم ، وكأن ما فى

ر ، وهامش ل يحرف عن هذا .

جندار يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلصّب نفسه لهذا الغرض ، أو^(١) أن يتشبهه بالنساء فيما خلقن له . وليس له أن يمكن مخدومه من أن يلوط^(٢) به ، ولا أن يقبله . فليتيق الله ربه ، وليرحم شبابه ؛ فإن^(٣) الدنيا أهون^(٤) عند الله من ذلك كله . ومن آدابه إذا ألبس المخدوم ثيابه أن يقدم الأيمن من الخف قبل الأيسر ، وإذا نزعها أن يعكس .

المثال الثالث والعشرون

البشْمَقْدَار^(٥)

وهو من أقبح البدع لأنه موضوع لخل نعل الأمير . وذلك من الرعونة والحق . ومن آدابه ألا يضع النعل على البساط وغيره مما يطؤه الناس بأرجلهم حفاة ، وربما لاقاه وجه مصلّ ، وربما كانت بخاسة في النعل . وبتقدير ألا يكون شيء من ذلك فلا يخفى ما في وضعه على هذا الوجه من الكبر^(٦) والخيلاء . فإذا كان لابد من بشمقدار^(٧) فلا أقل من أن يضع نعل الأمير موضع نعال الخلق .

(١) كذا في ف . وفي د ، ط (وأن) .

(٢) كذا في ف . وفي د ، ط (تلوط) .

(٣) كذا في ف . وفي ط ، د (فالدنيا) .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ط (أقل) .

(٥) هو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير . وهذا اللفظ مركب من « شفق » وهو النعل

التركة ، ومن دار الفارسية ، ومعناها ممسك .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (الكبرياء) .

(٧) كذا في ف ، ط ، د ، ر . وفي (البشمقدار) .

المثال الرابع والعشرون

أمير عَلم

وإليه أمر طبول الطبلخانات^(١) . ومن حقه الاحتياط وقت الحرب في
الضرب^(٢) ، وتهيجُ العسكر على الإقدام والمبارزة ، والكفُّ حسبما يقتضيه
دين الله تعالى ، وتدعو إليه الغيرة على بيضة الإسلام .

المثال الخامس والعشرون

أمير شِكار^(٣)

وإليه أمر الطيور والكلاب المعدة للصيد .

المثال السادس والعشرون

أمير آخور^(٤)

وإليه أمر الخيول والإصطبل .

المثال السابع والعشرون

السقاة

وإليهم أمر المشروب . وهم^(٥) من أقبح البدع والتنطع في الدنيا . قد كانت
الصحابة رضي الله عنهم وملئكمهم أوسع وأعظم من ملك الأتراك ، والأملاك

(١) أي سب الطبل . ويحمل على الضبول والأنواق وبواعها من الآلات .

(٢) كذا في د . ل . ر . و في ف (في الصروب) وفي ط (في الضرب وقت الحرب) .

(٣) شكار أكبر الثيب : الصيد في الفارسية . فالمراد : أمير الصيد ومولاه .

(٤) كذا في كل النسخ . عدا : ففيها (أمر ناخور) وكذا في هامش ل . والصواب ما أثبت

وأخوه . عدا القوم : الملقب . وهو لفظ فارسي معناه أمير الملقب لأنه المولى لأهل الدواب ، وأهم
أموالها الملقب .

(٥) كذا في . د . و في . هـ (وهو) .

التي كانت في أيديهم أضعاف هذه الأموال بما لا يحصىه إلا الله تعالى .
يكرعون^(١) في الماء . وعلى كل أرباب هذه الوظائف الصبح حسبها^(٢) تفتضيه
وظائفهم . ونذكر الساقى بشيئين : أحدهما أنه لا يحل لساق يؤمن بالله
واليوم الآخر أن يحضر لمخدومه منكراً^(٣) يشربه . وعليه إعمال الفكرة
والحيلة في سد هذا الباب ، وإبعاده عن الأمير بقدر طاقته وفدريته . وله أن
يكذب ويقول : لم أجد : أو ذهب ، وما شاء في هذا الباب بما لا يخفى على
صاحب التقوى .

وإن رأى الأمير جباراً لا يرجعه عذيل^(٤) فعليه التوسط ودفع المنكر
ما أمكنه وإبعاده عنه : لا سيما في الأوقات التي يجلس فيها الأمير للحكم بين
الرعية . فياويح أمير يجلس للحكم بين الرعية وهو سكران ! وثانيهما حفظ
حقوق مخدومه ، والخشية عليه من عدو يضع له في المشروب ما يهلكه من
سم ونحوه . ولقد بلغنا عن جماعة من الممالك السُّقاة قتل مخاديعهم لأغراض
الدنيا . فقبحهم الله من طائفة ! وجربنا فلم نجد مملوكاً ساعد على استاذد
إلا وأهلكه الله قريباً ، ولم يحصل على شيء مما أمّله ، بل تنعكس آماله
وتتغير أحواله .

(١) أى يشربون من غير الاستعانة بكور أو قدح . بل يداولون الماء أفواههم .

(٢) كذا في النسخ . اعداف ففيها (فيما) .

(٣) في نسخه على هامش ل : مسكراً .

(٤) يريد العذل . ولم أنصف على هذه الصيغة في مصدر عدل .

المشال الثامن والعشرون

الطواشية^(١)

اعلم أن الممسوح : الذى ذهب^(٢) أنثياه وذكره بالكلية ، ذهب أكثر أصحابنا إلى جواز نظره إلى الأجنبية . وفيه وجه [آخر^(٣)] : أنه حرام ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد رحمهما الله . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يختاره . وأما الخصى : الذى ذهب أنثياه دون ذكره ، والمحبوب : الذى ذهب ذكره دون أنثياه فلا يحل لواحد منهما أن ينظر إلى الأجنبية على الصحيح . وهذا كله فى نظر الطواشى إلى الأجنبية . أما نظره إلى سيده فأكثر أصحابنا أن نظر العبد إلى سيده حلال ، وإن كان سليم الذكر والأنثيين . هذا ما رجحه الرافعى والنووى . وعلى هذا نظر الطواشى أولى بالحل ؛ ولكن الصحيح عند الشيخ الإمام وجماعة أن نظر سليم الذكر والأنثيين إلى سيده حرام ؛ وهو الحق ؛ فكيف يباح نظر الممالك الحسان الذين يفتنون بجمالهم إلى سيداتهم ، والنساء ناقصات عقل ودين . أما إذا اجتمع كونه طواشياً وكونه^(٤) مملوكاً لسيده فهو أقرب إلى الجواز ممن لم يجتمع فيه الأمران . ولذلك^(٥) جوز مالك نظر المرأة إلى الطواشى إذا كان مملوكاً لها أو لزوجها ، ومنعه إذا لم يكن كذلك . ومن الطواشية الزمام^(٦) وهو الذى يخص النساء . ومن حقه غرض

(١) واحد الطواشية طواشى ، وهو الخصى . وهذا اللفظ مولى لم يوجد فى كلام العرب . كما فى شرح القاموس .

(٢) كذا فى د ، ل ، ز ، ط . وفى ف (ذهب) .

(٣) كذا فى ف . ولم تثبت هذه الكلمة فى سائر النسخ .

(٤) كذا فى ل . ز . وفى ف ، د (طواشياً ومملوكاً) وفى ط (طواشياً ومملوكاً)

(٥) كذا فى ف ، د . وفى ط (وكذلك)

(٦) وقد يقال له الزمام دار . ويدكر صاحب الأعشى (ج ٥ ص ٤٦٠) أن الأصل منه زمان دار ، وزمان فى الفارسية : النساء ، ودار : المسك أى : تولى أمور النساء . فحرقت إلى زمام دار .

بصره عما يخصهن ، والنصح لصاحب البيت ، وإعلامه بما يعجز عن إزالته من الريب ، ومنع أرباب الفجور من العجايز وغيرهن من الدخول عليهن . ومنهم مقدّم المالك وهو الذى إليه أمر المردان . ولا يحل له المواطأة على الفجور بهم ، ولا يمكن^(١) بعضهم من مضاجعة البعض فى فراش واحد . وقد كثر فى هذه الطائفة نوع القيادة لمخدومهم ، وكذلك لغيرهم . وكذلك فى الزمام كثر منهم القيادة . وذلك لما جيلت عليه الطواشية من نقصان العقول وشبههم^(٢) بالنساء : حتى قيل : ما اختلى طواشى بالنساء إلا وحدث نفسه بأنه رجل ، ولا بالرجال إلا وحدث نفسه بأنه امرأة . وقيل : الطواشية أشد الناس غيرة^(٣) وأكثرهم استحساناً^(٤) وقبادة على من تحت أيديهم : من امرأة أو مملوك . وفى كتب الخفية أنه يكره استخدام الحصيان مطلقاً : لأنه تحريض على الخشاء المسمى عنه .

المشال التاسع والعشرون

الحاجب

والحجوبية^(٥) وظيفة قديمة كانت تسمى القيادة . وكان الحاجب يسمى قائد الجيش . ولم يكن فى الزمان الماضى يحكم بل يعرض الجيش ، ويعتبر حاله ، ويُنيه إلى الأمير . والآن اصطلمحت الترك على أنه يفصل [فى] القضايا . فنقول : عليه رفع الأمور إلى الشرع ، وأن يعتقد أن السياسة لا تنفع شيئاً ؛ بل تضر البلاد والرايا ، وتوجب الهرج والمرج . ومصلحة الخلق فيما شرعه الخالق

(١) كذا فى ف . وفى باق النسخ (يمكن) .

(٢) كذا فى ف . د . وفى ط (وشبههم) .

(٣) كذا فى الأصول . وقد يكون : (عدم غيرة) حتىاسب ما يحكم عليه به .

(٤) الاستحسان هذا الدبانه والقيادة على الحرم . وانظر سقاء العامل .

(٥) الذى فى التماموس أن خطه الحاجب أى حرمة ووضعه الجبانه . وكان المولدين صاعوا

الحجوبية على منال الفروسية والرجولية .

الذى هو أعلم بمصالحهم ، ومفاسدهم ؛ وشريعة نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم . ولا يأتى الفساد إلا من الخروج عنها ، ومن لزمها صلت أ أيامه ، واطمأنت ؛ ولم يقض رسول الله صلى الله عليه وسلم نجه حتى أكمل الله لنا ديننا . وقد اعتبرت — ولا ينبئك مثل خبير — فما وجدت ، ولا رأيت ، ولا سمعت بسطان ، ولا نائب سلطان ، ولا أمير ، ولا حاجب ، ولا صاحب شرطة يلقى الأمور إلى الشرع إلا وينجو بنفسه من مصائب هذه الدنيا ، وتكون مصيبته أبداً^(١) أخف من مصيبة غيره ، وأيامه أصلح ، وأكثر أمنا وطمأنينة ، وأقل مفاسد . وأنت إذا شئت فانظر توارىخ الملوك والأمراء العاديين ، والظالمين ، وانظر أى الدولتين أكثر طمأنينة وأطول أياما ؟ وكذلك اعتبرت فلم أر ولم أجد من يظن أنه يصلح الدنيا بعقله ، ويدبر البلاد برأيه وسياسته ، ويتعدى حدود الله تعالى وزواجره إلا وكانت عاقبته وخيمه ، وأيامه منغصة منكدة^(٢) وعيشه قلقا ، وتفتح عليه أبواب الشرور ، ويتسع الخرق على الراقع ، فلا يسد ثلة إلا وتفتح ثلمات ، ولا برفع^(٣) فتنة إلا ويلشأ بعدها فتن كثيرة . وعلى مثله يصدق قول الشاعر :

ترقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا مانرقع

فن خطر له أنه إن لم يسفك الدماء بغير حق ، ويضرب المسلمين بلا ذنب لم تصلح أيامه فعرفه أنه جهول باغ أحق حمار ، دولته قريية الزوال ، ومصيبته سريعة الوقوع ، وهو شقى في الدنيا والآخرة . وأذا أخذه الله لم يفله ؛ قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ، أخبر عز وعلا أنا إن^(٤) لم نحكم

(١) كذا في ف ، ل ، ز ، وفي د و ط من غير ذكر لفظ (أبداً) .

(٢) كذا في د وهامس ل . وفي ر ، ف (منكدة أو كدرة) . وفي ط (منكدة) .

(٣) في نسخة في هامس ل : يدفع .

(٤) كذا في ف ، ل ، ز (أنا لم نحكم) . وفي د (أن لم نحكم) . وفي ط (أنا لم نؤمن

حتى نحكم) .

هذا النبي العظيم ثم إذا حكم لم نجد في أنفسنا حرجاً وضيقاً وقلقاً من حكمه بل نظمنا له ونسلم ، وننقاد ونذعن . وإلا^(١) فنحن غير مؤمنين ، فكفى بهذه الآية واعظاً وزاجراً لمن وفقه الله تعالى . فإن قال حمار من هؤلاء : أنا من أين أعرف هذا وأنا عاتى تركى لا أعرف كتاباً ولا سنة ؟ فلنا له : هذا لا ينفعك عند الله تعالى شيئاً ؛ ألم يجعل الله لك عينين ، ولساناً وشفقتين ، وهداك النجدين . إذا كنت لا تعرف فاسأل أهل الذكر ؛ فإن هذا شأن من لا يعلم ؛ وإلا فأنت تأتى يوم القيامة وغرماؤك الذين ضربتهم وعاقبتهم يجرؤونك فى الجبال وأنت تسحب على وجهك ، ولا^(٢) ينفعك هناك شيء من هذه الأقاويل . وإن عجزت عن الفهم فالك وللدخول فى هذه الوظيفة ١٩ دعها^(٣) .

إذا لم تستطع أمراً^(٤) فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

المشال الثلاثون

النقباء^(٥) فى أبواب الحجاب والولاية وغيرهم

على الواحد منهم إذا جُهِز فى طلب أحد السكون فى الحركة ، والرفق بمن يطلبه . وحرام عليه أن يزججه ويرعبه . فإن هو فعل فهلك أحد فى الدار — وكثيراً ما أجهضت حامل جنينها — أو ارتجف واحد من الصبيان فهلك فقد أوجب عليه بعض العلماء القصاص . وإن^(٦) كان إنما فعل ذلك لحطام

(١) قوله : (وإلا) لا داعى إليه ، وقوله : فنحن غير مؤمنين جواب (إن لم نحكم) .

(٢) كذا فى ف . وفى باقى النسخ بدون واو .

(٣) فى ل بعد قوله دعها : (وما أحسن ما قيل)

(٤) كذا فى ف . وفى باقى النسخ (شيئاً)

(٥) واحد النقباء نقيب . ونقيب القوم عرفتهم وضمينهم . ونقيب الحبش : الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء والأجناد ، وكأنه المراد هنا .

(٦) كذا فى ف . وفى باقى النسخ (وإذا)

الدنيا ، وأن يقال : النقيب الفلاني شاطر ناهض ، مراح في شغل إلا وقضاه ،
فذاك أقبح وأبشع . بل عليه الرفق ذاهبا وآثبا . وإذا عاد وعلم الحال ترفق
في إنهائه ؛ بحيث لا يزداد الأمر شدة ، ولا الأمير حدة .

المثال الحادى والثلاثون

الوالى

وكان هذا الاسم قديما لا يسمى به إلا نائب السلطان . وهو الآن اسم
لمن إليه أمر أهل الجرائم من اللصوص والخارين وغيرهم . ومن حقه الفحص
عن المنكرات : من الخمر والحشيش ونحو ذلك ، وسد الذريعة فيه ، والستر
على من ستره الله تعالى من أرباب المعاصى ، وإقالة ذوى الهيئات عنراتهم .
وليس له أن يتجسس على الناس ويبحث عما هم فيه من منكر ، ولا كبس^(١)
بيوتهم بمجرد القال والقال ؛ قال الله تعالى : « ولا تجسسوا » . وثبت في صحيح
مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
ولا تجسسوا ولا تحسسوا » . قال العلماء : أراد بالظن سوء الظن . وقيل لابن
مسعود : هذا فلان تقطر لحيته خمرا . فقال : إنا نهينا عن التجسس ، ولكن
إن يظهر لنا شيء نأخذ به . أخرجه أبو داود^(٢) وعن معاوية قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنك إن اتبعت عورات المسلمين
أفسدتهم أو كدت تفسدهم » ؛ أخرجه أبو داود أيضا . فقل^(٣) لجاهل يخطر له
أنه يصلح الناس بتتبع عوراتهم : رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البشر
قال : إن اتبعتها أفسدتهم أو كدت . بل حق على الوالى — إذا تيقن — أن

(١) يقال : كبس بيت ما من : هجم عليه ، وأراد أن يفجأه ، ويدخله على عيرة .

(٢) كذا فى . . . وفى (أبو داود وغيره) والحديث فى سنن أبى داود فى أبواب الأدب
واطر من ٢١٣ ح ٤ من سنن أبى داود المصنوع على هامس شرح الررغانى الموطأ .

(٣) كذا فى . . . وفى (قبل جاهل) . وفى (قبل لجاهل) .

يبحث سرّاً رجلاً مأموناً ينهى عن المنكر بقدر ما بهى الله ولا يزيد على ذلك . وما تفعله الولاية من إخراج القوم من بيوتهم ، وإزعاجهم وهتكهم ، كل ذلك من تعدى حدود الله تعالى ، والظلم القبيح . وليس للوالى غير أن يجلدهم فقط بسوط معتدل . بين القضيبي^(١) والعصا ، لا رطب ولا يابس ، ويفرق السياط على الأعضاء ، ويتقى الوجه والمقاتل ، ولا يتقى الرأس على الصحيح ، وهو مذهب أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفيه وجه أنه يتقيه ، وهو مذهب على رضى الله عنه ؛ وبه قال أبو حنيفة . ولا يلتقى على وجهه ولا يمد ، ولا يجرد عن ثيابه ، بل عن مقدار ما يدفع وصول الألم ؛ ويترك عليه قيص أو قيصان . ولا يقام حد الخمر في السكر بل يؤخر حتى يفيق . فإن أقامه في السكر أخطأ ولم يعده إذا أفاق ، نقله أبو حيان^(٢) التوحيدى عن القاضى أبى حامد . فإن سمعت بوال بلغه عن جماعة أنهم على منكر فأنى بخيله ورجله ، وهتك ستر أناس سترهم الله تعالى ، ثم ضم إلى ذلك أخذ مال منهم تسميه الولاية التأديب والجنائيات ، فاعلم أن صفقته خاسرة ؛ ليت شعرى آله أمره بهذا حتى يعتمد مع خلقه ! والذي يجب عليه التأديب هذا الوالى الذى يأخذ مال الناس من غير حله . فإن ضم إلى ذلك أن حد الخامل الفقير ولم يحد المتجوه^(٣) الغنى فقد ضم ظلماً^(٤) إلى ظلم . فإن زاد وأخرج القوم من بيوتهم وهتك حريمهم فقد باء بأقبح إثم ؛ فإن الله تعالى لم يأمر

(١) أى الفصن .

(٢) هو على بن محمد بن محمد بن العباس صاحب الإمعان والمؤانسة ، والفاصات . وهو من أعلام القرن الخامس . وله ترجمة في طبقات الشافعية في أول الجزء الرابع . وشيخه الأستاذ أبو حامد الإسفرايينى شيخ طريقة العراقيين فى فقه الذائفة ، كات وفاة أبى حبان فى سنة ٤٠٦ هـ واطر طقات الشافعية س ٢٦ ج ٣ .

(٣) يريد ذا الجاه . ولم تقف فى اللغة على تجوّه فى هذا المعنى . وقد ورد وجهه : حملاه وحيهاً . ولا بأس أن يقال فى مطاوعته : بوجه . فكأن الصواب فى عبارة المؤلف (المتوجه) وقد وحدنا فى نسخة هامس ل : المتوجه .

(٤) كذا فى ف ، ط . وفى د (وقد ضم طامعات بعضها فوق بعض وإنما إلى ظلم) .

بذلك . « ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه ، ومن الولاة من يتجاوز في الضرب المقادير ، ويتنوع في إيصال الآلام لمن يعاقبه بمجرد التهمة والظن ؛ أفما علم هذا الفاجر أن ضرب برىء أصعبُ عند الله تعالى من تخليّة ذى ^(١) جريمة . وبعض من طبع الله على قلبه من الولاة ، يأمر بالرجل أن يحرد ^(٢) . فإذا شرع الجلاد في ضربه قام الوالى للصلاة ، وأطال — سمعت ذلك عن بعض ولاة القاهرة — فيستمر المضروب تحت العصى والمقارع مادام الوالى فى الصلاة . فقبحه الله ، آله أمره بهذا ! وأى صلاة هذه !

ومن أحكام الولاة الفاسدة ، أنه إذا رفع إليهم من أزال بكاراة امرأة أمروه بزواجها ، وكذلك إذا أحبلها ؛ ظناً منهم أن ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب ، وهتيكة الزنا . وهذا خلاف دين الله تعالى ؛ فإن ولد الزنى لا يلحق بالزانى ، ولا يكون ابناً له ، ولا يرثه ، فيفعلون حراماً يستمر أبداً الآباد ، وهو جعل ولد الزنى ابناً يرث الزانى ويصلى عليه إلى غير ذلك من أحكام الأبناء . وحكم الله تعالى فيمن أزال بكاراة امرأة بغير ^(٣) حق إن كانت مكرهة أنه يجب عليه مهر بكر وأرث ^(٤) البكاراة هذا هو الصحيح ، وقيل : مهر ثيب وأرث البكاراة . وقيل : مهر بكر فقط . وكل منها وقع للرافعى ترجيحُه ، وتبعه النووى ، ولكن ^(٥) الأول هو التحقيق . وأما المطاوعة فلا يجب لها شيء .

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا ما فيها (من حليه غير برىء) .

(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا ما فيها (أن يحلد) .

(٣) كذا فى د . وى باقى النسخ (إن كانت مكرهة أنه يجب) .

(٤) يرث بأرث البكاراة ما يعرف عند الفقهاء بالنكحة . وهو الفرق بين قيمة الحلى عليه ساداً وقيمه معيلاً بقرصه رقيقاً . فهاهنا قيمة الترى بها على مرض أنها أمة وهى بكر ، وقيمتها وهى ثيب . والأرث ما بين القيسين .

(٥) كذا فى كل النسخ ما عدا ما فيها (لىكن) .

المثال الثاني والثلاثون

البواب

وأهل الشام يسمونه المعروف ، وربما قيل المقدم [وهو ^(١)] رجل بيباب
الوالى يكون بالمرصاد للصوص ؛ عليه الفحص عن أمرهم ^(٢) ؛ ليكشف عن
الخلق سرهم . وعليه مجانبة الهوى والميل . ولا بأس عندى إذا وقع له
متردد ^(٣) ، وغلب على ظنه أنه السارق لما اتهم به أن يُعَمِّل الحيلة فى تقريره
بأخذ المال من غير عقوبة ، ولا داعية إلى الإقرار على وجه يوجب القطع ؛
فإن القطع حق الله تعالى ، والفحص عنه لا ضرورة إليه ؛ لبنائه على المسامحة ،
بخلاف المال .

فهذه غالب وظائف الدولة .

المثال الثالث والثلاثون

أمرام ^(٤) الدولة

عليهم تفقد حال الأجناد ، وتعليمهم رمى اللشّاب ، والمسابقة على الخيل ؛
بحيث يعرفون الطعان والضرب والحرب . وللأمير أن يحتّم فى المسابقة
والمناضلة على الرهن إذا كان يبعث عزائمهم . والرهن فى ذلك جائز . ومن
شرط العقد عليه لزمه ^(٥) إلا أن يكون على صورة القمار ؛ فهو حرام
لا يلزم فيه العوض . وصورة القمار أن يكون كل واحد منهما ^(٦) لا يخلو عن
غنم أو غرم ؛ وذلك أن يُخرج كلّ واحد من الفارسين ديناراً مثلاً على أن
من سبق منهما أخذ الدينارين جميعاً . فهذا حرام ، إلا أن يكون هناك محلل ؛

(٥) كذا فى ل ولم يثبت فى نطق السج .

(٢) كذا فى ف ، د ، ط ، ر . وفى ل (عن أمورهم) .

(٣) كذا فى النسخ ماعدا ط ففيها (تردد) .

(٤) هم المعروفون الآن بضباط الجيش .

(٥) كذا فى د ، ط ، ل . وفى ف (لرومه) .

(٦) كذا فى النسخ . اعدال ففيها (منهم) .

وهو ثالث يسابقهما بفرس كفى^(١) لفرسيهما على أنه إن سبقهما أخذ الدينارين ، وإن سبقاه لم يغرم شيئاً . وتصح المسابقة على الفيلة والبغال والخير في الأصح . ولا يجوز^(٢) على الحمام ، ولا على غيره من الطيور . ولا يجوز الصراع على الأصح . وما يعتاده الأمراء في هذا الزمان من لعب الكرة^(٣) في الميدان حلال . وينبغي أن يقصدوا به تعليم الخيل الإقبال والإدبار ، والكر والفر .

وأما المراهنة في ذلك إن كانت من جانب واحد فهي جائزة ولكن لا يلزم العوض فيها بل هي^(٤) تبرع إن شاء وفي به ، وإن شاء لم يف . وإن كان الرهن من الجانبين^(٥) كان قماراً حراماً . وأما العلاج^(٦) الذي يتعاطاه^(٧) الشباب^(٨) فإن كان لا يضر أبدانهم ولا يشغلهم عن ذكر الله وعن الصلاة فهو جائز ، ولا يجوز فيه الرهن . وعلى الأمير إذا سار بالجيش الرفق بهم ، والسير على سير أضعفهم ، وتفقد خيولهم ، وتقوية قلوبهم . ومن قبائح كثير من الأمراء أنهم لا يوقرون أهل العلم ، ولا يعرفون لهم حقوقهم ، وينكرون عليهم ما هم يرتكبون^(٩) أضعافه . وما أحق^(١٠) الأمير إذا كان يرتكب^(١١)

(١) كذا في ف ، د ، وفي ط (كفؤ) والكفؤ بمعنى واحد .

(٢) كذا في ف ، د ، وفي ط (تصح)

(٣) كذا في ط ، وفي د (من الكرة) وفي ف (من لعب الكرة) .

(٤) كذا في كل النسخ ، عدا ط فقها (بل هو) .

(٥) كذا في كل النسخ ، عدا ط فقها (من جانبين) .

(٦) العلاج هو إسهاله الأحجار ورفعها . وكانوا يساهون في ذلك . وفي هذه الأيام قد يحرق

للسابق في إسهاله كسل الحديد .

(٧) كذا في ف ، د ، وفي ط (يتعاطاه) .

(٨) كذا في ط ، وفي ف ، د (الشباب) .

(٩) كذا في ف ، د ، وفي ط (ما هم يرتكبون) . وكذا في هامش ل .

(١٠) كذا في ف ، د ، وفي ط (أقبح) .

(١١) كذا في كل النسخ ، عدا ط فقها (مرتكباً) .

معصية ووجد فقيها يقال عنه ^(١) مثلها أن يلتقمه ^(٢) ويعيبه ^(٣) . وما له لا ينظر إلى نفسه مع ما حوله الله تعالى من النعم ! أما علم أن القبيح عند الله تعالى حرام بالنسبة إلى كل أحد ؟ وربما كان عند الفقيه ما يسترقب فيه ^(٤) وليس عند الأمير وراء ذلك القبيح إلا أمثاله من القبائح . فمما ^(٥) يتعين على الأمير إذا أنهى إليه عن أحد من أهل العلم سوء ألا يصدق ، ويحسن الظن بهذه الطائفة ؛ فإن لحومهم مسمومة . وما رأيت أميرا يغض ^(٦) من جانب الفقهاء إلا وكانت عاقبته عاقبة سوء . فإن تيقن على أحد منهم سوءا واتضح عنده كالشمس — ولن يصير ذلك إن شاء الله تعالى — فعلى الأمير بعد ذلك أن يتفقد ^(٧) نفسه فإن كان هو أيضا يفعل ذلك ^(٨) الفعل فليعد على نفسه باللائمة ويقول : أنا أذنبت ذنبتين : لأني جاهل مرتكب هذا القبيح ، فكيف أؤاخذ هذا الذي لم يذنب إلا ذنبا واحدا وهو ^(٩) هذا القبيح ، فقد شاركني في ارتكاب ^(١٠) الذنب وفارقني في أنه عالم وأنا جاهل ، فأنا أحسن منه ، لأني صاحب ذنبتين ، وهو صاحب ذنب واحد . وبلغنا أن فقيها رُفِعَ إلى بعض الأمراء وهو سكران فأخذ الأمير يجلده ، والأمير ^(١١) أيضا سكران ، فلما قام الفقيه قال : رب اغفر لي ^(١٢) ، وجاء إلى القاضي وقال : أقم على الحد ، فإن

(١) كذا في النسخ كلها ما عدا ط ففيها (يقال له عنه) .

(٢) كذا في ط . ر . وفي ف ، د (بضمه) . وفي ل (يغضه) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (معيه) .

(٤) كذا في النسخ ما عدا د ففيها (قبجه) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (لا) .

(٦) كذا في ف . ل . وفي د (بضع) وفي ط (يذم) .

(٧) كذا في د ، ط . وفي ف (يفتقد) .

(٨) كذا في ف . د . ل . ز . وفي ط (يفعل مثل ذلك) .

(٩) كذا في ل ، ر . د . وفي ف ، ط (وهذا هو القبيح) .

(١٠) كذا في ف . د . وفي ط (هذا الذنب) .

(١١) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (والأمير هذا سكران) .

(١٢) كذا في النسخ ما عدا ف فلم يثبت فيها .

الأمير فاسق لا تصح^(١) إقامة الحد . فأهلك الله ذلك الأمير بعد أيام يسيرة .
ومن قبائحهم استكثارهم الأرزاق — وإن قلَّت — على العلماء ، واستقلالهم
الأرزاق — وإن كثرت — على أنفسهم . ورأيت كثيرا منهم يعيبون على بعض
الفقهاء ركوب الخيل ، ولبس الثياب الفاخرة . وهذه الطائفة من الأمراء يخشى
عليها^(٢) زوال النعمة عن قريب ؛ فإنها تتبختر في أنعم^(٣) الله مع الجهل والمعصية .
وتنقم على خاصة خلقه يسيرا عما هم فيه . أفما^(٤) يخشون ربهم من فوقهم !
ولو اعتبر واحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده . أفما
يستحي هذا الأمير المسكين^(٥) من الله تعالى ! وإذا سلبه الله تعالى نعمته فلم
يتعجب ويبيكى ؟ أو ما يدرى أن واحدة من هذه المصائب تهلكه وتدمره ؟
وما أحسن ما رأيته منقوشا على دواة بعض الأمراء ، وهو من نظمى ، وأنا
أمرت بأن^(٦) يكتب :

حلفت من يكتب بى بالله رب العالم
ألا يمد مدة تؤلم قلب عالم

ومن قبائحهم ما يذهبونه من الذهب فى الأطرزة^(٧) العريضة والمناطق
وغيرها من أنواع الزراكش^(٨) التى حرّمها الله عز^(٩) وجل وزخرفة البيوت
سقوفها وحيطانها بالذهب ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من

(١) كذا فى النسخ ما عدا ف فففيها (لم تصح) .

(٢) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ل ، ز (عليهم) .

(٣) كذا فى النسخ ما عدا د فففيها (نعم) .

(٤) كذا فى كل النسخ ما عدا ف ، فففيها (أما) .

(٥) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فففيها (للمسكين) .

(٦) كذا فى النسخ ما عدا ف فففيها (أن) .

(٧) جمع الطراز ، وهو علم بوضع على الثوب ، بجوى شعار السلطان أو الأمير . وقد كان
لكتابة الطراز فى العهود السابقة دار خاصة تسمى دار الطراز .

(٨) كذا فى ف ، ط . وفى ل (الركش) . وفى ز (الركاش) . وفى د (الزاكش) .

(٩) كذا فى ف . وفى ل (تعالى وعز وجل) . وفى ط (تعالى عز وجل) . وفى د ، ر

(حرّم الله وزخرفة) .

ضيق سكة^(١) المسلمين . وأنت إذا اعتبرت ما يذهب من الذهب^(٢) في هذه الأغراض الفاسدة تجده قناطر مقنطرة لا يخصصها إلا الله تعالى ؛ فإنه لا بد في كل^(٣) منطقة أو طراز ونحوه من ذهب شيء — وإن قلَّ جداً — تأكله النار ، وهو في الأبدية أكثر . فإذا ضمنت ذلك القليل إلى قليل آخر على اختلاف^(٤) في البقاع والأزمان لم يخص ما ضاع من القناطر المقنطرة من الذهب إلا الله تعالى . ثم القدر الذي يسلم ولا يضيع يصير محبوساً عندهم أطرزة ومناطق وسلاسل وكنابيش^(٥) وسروجاً وغير ذلك من المحرمات المختلفة الأنواع . ولو كان مضروباً سكة يتداوله المسلمون لانتفعوا به ، ورخصت البضائع ، وكثرت الأموال . ولكنهم احتجروا^(٦) وفعلوا هذه القبائح وطلبوا من الله تعالى أن ينصرهم ، ومِنَّا أن ندعولهم . ولو أنهم اتقوا الله حق تقاته لما افتقدوا إلى دعائنا . وهذا نائب^(٧) السلطنة في الشام الذي هو عندنا اليوم لا يلبس طرازاً من ذهب ، ولا يفعل شيئاً من هذه المحرمات ، والله تعالى ينصره ويؤيده . وقد ناب في دمشق ثلاث مرات ولم يخرج منها قط^(٨) إلا معززاً

(١) السكة في الأصل الطابع الذي يضرب به البعد من دراهم ودنانير ، وهو يكون من حديد . والمراد بسكة المسلمين هنا النقد نفسه .

(٢) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (ما يذهب بالذهب) .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز ، د . وفي ط (فإنه لا بد في تحلية منطقة) .

(٤) كذا في د ، ل . وفي ف (على اختلاف البقاع) وفي ط (على الاختلاف في البقاع)

(٥) كذا في النسخ كلها ما عدا ط ففيها (كبابيش) والكنابيش واحدها كنبوش — بفتح الكاف — وهو البرذعة تكون تحت السرج ، وكان يكتب عليها ألقاب السلطان أو الأمير بالزركش والحريز في عهد المماليك . انظر محيط المحيط ، وهامش السلوك ص ٥٢٤ ج ١ ق ٢ .

(٦) كذا في النسخ ما عدا ل ففيها (احتجزوا) وفي هامشها (احتجروه) ، وقوله : احتجروا أي استأثروا بالمال يقال : احتجز الأرض أي صرب عليها مناراً واختص بها .

(٧) رى ناشر النسخة الأوروبية أن هذا النائب هو على المارديني . وهذا ناب حميفة في دمشق ثلاث مرات ، وقد ناب في المرة الثالثة سنة ٦٢٠ ويقول ابن حجر في الدرر لأنه مكث هذه المرة دون السنة ، ووصفه بأنه كان منافداً للشرع ، وكان يحب العلماء ويهربهم ، ولسكه يذكر أنه كان منحرفاً عن المؤلف ، وترى ثناء المؤلف عليه ، على أن هذا لا غرابة فيه ، وهو مما يدل على إنصاف المؤلف ونحريه الحق . وانظر ترجمة هذا النائب في الدرر الكامنة .

(٨) كذا في ل ، د . وفي ف لم تذكر لفظة (قط) .

مكرما أقرى ذلك سدى ! والله^(١) لولا تقواه^(٢) لما كان ذلك أبداً . وقد طلب الملك المظفر سيف الدين قطز^(٣) شيخ الإسلام وسلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام بحضرة الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون وغيرهما من الأمراء ، وحادثه في الخروج إلى لقاء العدو من التتار ، لما دهموا البلاد ووصلوا إلى عين^(٤) جالوت فقال له : اخرج وأنا أضمن لك على الله النصر . فقال [الملك^(٥)] : إن المال في خزائني قليل ، وأريد الاقتراض من التجار . فقال : إذا حضرت أنت وجميع العسكر كل ما في بيوتكم وعلى نسائكم من الحلبي الحرام ، وضربته على السكة ، وأنفقته^(٦) في الجيش ، وقصر عن القيام بكلفتهم^(٧) أنا^(٨) أسأل الله تعالى لكم في إظهار كنز من كنوز الأرض يكفيكم ويفضل عنكم . وأما أنكم تأخذون أموال المسلمين وتخرجون إلى لقاء العدو عليكم المحرمات من الأطرزة المزركشة ، والمناطق المحرمة ، وتطلبون من الله النصر^(٩) فهذا لا سبيل إليه . فوافقوه وأخرجوا ما عندهم . ففرقه ، وكفى ، وخرجوا وانتصروا . وأنت ففكر واحسب تقديرا : كم على وجه الأرض من طراز ومنطقة وحلي حرام ؟ وكم يكون مبلغه إذا اجتمع وضرب نقداً

(١) كذا في ل ، د . وقد سمط القسم من ف .

(٢) في ل : (تقواه لله) .

(٣) في النجوم الزاهرة ج ٧/٧٢ أن حادثة العزيز بن عبد السلام كانت بحضرة الملك المنصور على الذي خلقه قطز وتولى مكانه . وقد تولى الملك وطر الملك في مصر في دولة مماليك الترك سنة ٦٥٧ وقاتل سنة ٦٥٨ وقد كان له شرف النصر والحاق الهزيمة بالتتار . وكانت وفاة العزيز بن عبد السلام سنة ٦٦٠ هـ .

(٤) بليدة لطيفة من أعمال فلسطين ، كما في معجم البلدان .

(٥) كذا في ل . ولم يذكر هذا اللفظ في باقي النسخ .

(٦) كذا في ف . وفي كل الأصول (نفه) .

(٧) كذا في ف ، ل ، د . وفي ز (مكلفهم) . وفي ط (بكلفتكم) .

(٨) كذا ، والعربية بمعنى أن يقال : فأنا أسأل .

(٩) كذا في ف ، د . وفي ط (النصر)

يتعامل به المسلمون ؟ قال لى^(١) مرة بعض الأمراء وقد حكيت له كثره^(٢) ما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقطع الأجناد^(٣) وكذلك من بعده من خلفاء الصحابة رضى الله عنهم ، وخلفاء بنى أمية ، وما كان عدد عساكرهم التى تضيق الأرض دونها . فقال : إذا كان عسكرهم هذا الفدر العظيم ، وإقطاعاتهم هذه الإقطاعات ، فمن أين كانوا يجدون المال الذى يكفيهم ؟ والبلاد البلاد ما تغيرت . فقلت : من هذه الأطرزة والحلى المحرم والخيول المسومة . قال : كيف ؟^(٤) قلت : ما كانوا يعملون هذا الحلى ولا يشترون الفرس بمائة ألف درهم^(٥) والمملوك بخمسين ألفاً ، ولا ينتهون فى الخيلاء إلى معشار ما انتهيت إليه . فقال : صدقت . ولقد سمعت أن واحداً منهم خرج مرة إلى الصيد فافتض هو وبماليكه من بنات البر ما يزيد على سبعين بنتاً حراماً . فإذا فعل واحد منهم هذا الفعل ، وتنوع فى الفسق بالغلمان والخمر والبرطيل ونحو ذلك ، ثم سلبه الله النعمة ، وسلط عليه أقلّ الأعداء فى أيسر وقت لا يتعجب ؛ بل يذوق بأس الله إذا نزل بساحته . ومن منكراتهم ركوبهم والجنايب^(٦) تُقاد بين أيديهم مُسَرَّجة غير مركوبة^(٧) ، وهم مع ذلك يجدون المحتاج ماشياً ولا يُركبونه ، وإنما يمشون بالجنايب للترثن لا الحاجة . روى أبو داود^(٨) من حديث سعيد^(٩) ابن أبى هند عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تكون إبل للشياطين ، وبيوت للشياطين » . فأما إبل الشياطين

(١) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ر ، ط سقط هذه اللفظة .

(٢) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ر (كثيراً مما كان) .

(٣) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ز ، ل (يقطع الأجناد) .

(٤) كذا فى كل النسخ ما عدا ط ففيها (وكيف) .

(٥) كذا فى ط . وفى باقى النسخ لم تدب كلمة (درهم) .

(٦) جمع جنبة ، وهى الدابة تقاد إلى جنب الراكب .

(٧) كذا فى كل النسخ ما عدا ل ففيها (غير مركوبهم) .

(٨) ورد هذا فى سنن أبى داود فى أبواب الجهاد .

(٩) كذا فى كل النسخ ، عدا ف فقد سقط منها لفظ (سعيد) .

فقد^(١) رأيته : يخرج أحدكم بنجيبات^(٢) معه قد أسعها ، فلا^(٣) يعلو بعيراً منها ، وير بأخيه قد^(٤) انقطع فلا يحملة . وأما بيوت الشياطين فلم أرها . قال سعيد : لا أراها إلا هذه الأقفاص التي تُستر بالديباج . قلت : الأقفاص المستورة بالديباج كالمحفّة والمخائر^(٥) وغيرها مما يتعاناها أهل الثروة . وهذا فيمن قاد الجنائب بالحِيَل . أما من يقودها ليحمل ضعيفاً يراه^(٦) في الطريق فهو حسن . وكذلك إذا قادها في الجهاد خشية أن فرسه تعجز . ومنها أن الجنديّ يقاتل ويخاطر بنفسه فيقتل في الحرب كافراً ، فلا يُعطونه سَلْبَهُ ؛ والنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاه إياه حيث قال : « من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » . فيمنعونه ما أعطاه سيد الأولين والآخرين صلى الله تعالى عليه وسلم ويفترون^(٧) بذلك عزائم الجند ؛ فإن الجنديّ إذا عرف أنه يخاطر بنفسه فلا ينصف^(٨) فترت عزيمته . وحقّ عليهم أن يعطوه سَلْبَ المقتول . وهو ثياب القتيل ودرعه وسلاحه ومركوبه وسرجه ولجامه . وكذا سواره ومنطقته وخاتمه وما معه من النفقة ، ومن جنّيب يقاد معه على الصحيح . وإنما يَسْتَحَقُّ السلب مَنْ ركب الخطر لكفاية شر كافر في حال الحرب . فلو رمى من حصن ، أو من الصف ، أو قتل نائماً ، أو أسيراً ، أو قتله بعد انهزام الكفار ، فلا سلب له . ولو لم يقتله ولكن أسره أو قطع يديه أو رجله استحق سَلْبُهُ على الجديد ؛ وخالف فيه الشيخ الإمام .

-
- (١) كذا في ط . وفي ف (رأيته) وفي د (قد رأيته) .
 - (٢) كذا في النسخ ما عدا ط ففيها (بيخيات) وهي جمع بختية ، وهي ضرب من الإبل .
 - (٣) كذا في النسخ ما عدا ف ففيها (ولا يعلو) .
 - (٤) في السنن : انقطع به .
 - (٥) واحدها محارة ، وقد استعملها المولودون في هودج صغير . وهي في الأصل ضرب من الصدف . وانظر شفاء العليل .
 - (٦) كذا في د ، ط . وفي ف (رآه) .
 - (٧) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (يفترون) .
 - (٨) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (ينصف) .

المشال الرابع والثلاثون

الأجناس

فمن ^(١) حقّ الله سبحانه وتعالى عليهم وشكر نعمته اللطيف بالفلاحين فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جندياً والجندي فلاحاً . فإذا كان لا يشكر نعمة الله تعالى على ^(٢) أن رفعه على درجة الفلاح فلا أقلّ من أن يكفّي الفلاح شرّ وظلمه . وعليهم ^(٣) مصابرة العدو إذا التقى الجمعان . ولا ينهزم ^(٤) الجمع إلا عن أكثر من مثليه بماله وقّع ؛ كانهزام مائة عن مائتين وخمسين . وأمّا انهزامه عن مثليه كعسرة عن عشرين فلا يجوز ، إلا أن ينصرف متحرّفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة يستنجد بها . وإذا طلب الكافر المبارزة استحب لمن جرّب نفسه الخروج إليه بإذن أمير الجيش . وعليهم تأدية الأمانة فيما حازوه من الغنائم ، وامتثال أمر الأمير فيما لم ^(٥) يخالف الشرع ، والتعاون والتناصر واجتماع الكلمة .

المشال الخامس والثلاثون

أمراء العرب في هذا الزمان

وهم ^(٦) الذين يظعنون ويزلون . وقد أنعم الله تعالى عليهم بالأرزاق الوافرة ، والإقطاعات الهائلة ، ليرفعوا أذاهم عن المسلمين . ومن قبائحهم أنه إذا قطع السلطان إقطاع واحداً منهم تسلط ^(٧) على قطع الطرقات وأذية من لم

(١) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (ومن) حق الله .

(٢) كذا في النسخ ما عدا ف فقد سقطت منها لفظة (على) .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (وعليه) .

(٤) كذا في ف ، د ، وفي ر وهامش ل (ولا يهزم) وفي ل (فلا ينهزم) .

(٥) كذا في ف ، د ، ط ، وفي ل (فيما لا يخالف) .

(٦) هذا مفسر لعرب الأندلس كما لا يخفى .

(٧) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (تسلطوا) .

يؤذه ، وأخذ مال من لم يظلمه ، ولا يتوقفون في سفك الدماء لأجل هذا الغرض . وبذلك يقابلهم الله عز وجل . فلو أنهم صبروا واتقوا الله لكان خيراً لهم . ومن أعظمهم جرماً عرب الحجاز وعبيد عربها ، ربما^(١) اعتقد بعضهم حِلَّ أموال الحجاج ، وسفك دم امرئ مسلم حاج على درهم . ولا يخفى ما في ذلك من الجرأة على الله تعالى . وكثير من العرب لا يتزوجون المرأة بعقد شرعي ؛ وإنما يأخذونها باليد ، وربما كانت في عصمة واحد فنزل^(٢) عليها أمير غيره ، واستأذن أباه وأخذها من زوجها . فهات قل لي : أي ولد حلال يلتج من هذه ؟ لا جرم أنهم لا يلدون إلا فاجراً . ومن قبائحهم أنهم لا يورثون البنات ، ولا يمنعون الزنى في الجوارى ، بل جواريمهم يتظاهرون بالزنى مع عبيدهم . وكل ذلك من الموبقات العظام .

المشال السادس والثلاثون

القاضي

وقد استوعبت كتب الفقه ما يتعين له وعليه . وخص جماعة من الأئمة كتاب القضاء بالتصنيف . ونرى أن نخص هذا المكان بالتنبيه على الهدية فنقول : قبول الهدايا من أقبح ما يرتكبه القضاة ، فليسند^(٣) بابها بالكلية . وقد علم أن مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه لا يجوز له أن يقبل الهدية ممن لم تكن له عادة أن يهاديه قبل ولايته القضاء ، ولا ممن كانت له عادة مادامت له حكومة . والمذاهب في المسألة معروفة . وأنا أعتقد أنه يحرم على القاضي قبول هدية من يهدي للقاضي في العرف ليستميل خاطره لقضاء أربه . وذلك

(١) كذا في د ، ط ، ز . وفي ل (وربما) . وقد سقطت هذه اللفظة من ف .

(٢) كذا في ز وهامش ل . وفي باقي النسخ (فينزل) .

(٣) كذا في ف ، ط ، ل . وفي ز ، د وهامش ل (فليسند) .

يشمل كل من هو دون القاضى . ومن هو مثله بمن قد^(١) يحتاج إلى القاضى ، وكثيراً بمن هو فوقه . ويخرج بعض من هو فوق القاضى ، كالمملك الدين يصل إلى القاضى إنعامهم ، ولا يصدقون بذلك استماله خاطره لقضاء حوائجهم عنده . فإن حوائجهم عنده إن كان بمن يراعيهم لا تحتاج إلى الهدايا^(٢) ؛ لما لهم من الجاه . وإلا فلا تفيد الهدية ؛ فأقول : يحرم قبول هدية القسم الأول : كانت له عادة قبل القضاء أم لم تكن ، كانت له حكومة أم لم تكن . ويجوز قبول هدية القسم الثانى بشرطين : أحدهما أن يجد القاضى من نفسه أن حاله لم يتغير فى التصميم على الحق ، وأنه قبل الهدية كهو بعدها . وهذا يتأتى فى هدايا المملك ، ولا يتأتى فى غيرهم . والثانى أن تجرى عادة ذلك المملك بفعل هذا مع من هو فى منصب هذا القاضى ، وإنما خصصت فصل الهدية بباب القضاء ، وإن كانت تشمل كل ولى أمر ؛ لأنها من القاضى أقرب .

ومن محاسن الشيخ الإمام رحمه الله تعالى كتاب « فصل المقال ، فى هدايا العمال ، اشتمل على فوائد نفيسة ؛ فلينظره من شاء . ومما يتعين على القاضى تفهيم المملك الحكم الشرعى فيما يُنبئ إليه من الوقائع ، ومناضلته عنده عنها ، وإفهامه أن ذلك هو الدين الذى إن حاد عنه هلك ، وإن اعتمده نجا ، وأن ينظر فى أمر الأوقاف والمستحقين ، من المشتغلين والمحتاجين وغيرهم . وهذا يخص قاضى الشافعية فى بلادنا والبلاد^(٣) الشامية ؛ لأنه^(٤) كبير القضاة ، وله النظر العام فى الأوقاف وغيرها ؛ فهو بذلك أَمْس . وبما هوَنت بعض القضاة فيه الأمر الحكم بالصحة ؛ فتراهم يقدمون عليه بمجرد ثبوت العقد والمملك والحياسة . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يشدد التنكير فى ذلك ، ويذكر للصحة

(١) كذا فى النسخ ما عدا ف وقد سقطت هذه اللفظة .

(٢) كذا فى النسخ ما عدا ف ففيها (الهدية) .

(٣) كذا فى ر وهامش ل . وفى نافي الشيخ (فى بلادنا البلاد الإسلامية) .

(٤) كذا فى النسخ ما عدا ف ففيها (فله) .

المطلقة عنده اثنتين وعشرين شرطاً : كون المبيع — مثلاً — طاهراً ، منتفعاً به ، مقدوراً على تسليمه ، مملوكاً للعاقدة أو لمن يقع العقد له ، مرئياً رؤية لا تتقدم على العقد بزمان يمكن التغير فيه ، معلوماً . وكل واحد من البائع والمشتري كونه ^(١) بالغاً ، عاقلاً ، رشيداً ، مختاراً ، غير محجور عليه في تلك السلعة المبيعة ، وكون الثمن المعين مستجمعاً شروط ^(٢) المبيع . وأما الذي في الذمة فالعلم بقدره ، ووصفه ، وكون العقد بإيجاب وقبول لا يطول الفصل بينهما ، ولا يقترن به شرط مفسد ، وأن ينقضى الخيار والحال على ذلك . والدعوى ، والإنكار ، وقيام البينة بما ليس بظاهر وجوده من هذه الأشياء ، وسؤال الحكم ^(٣) وحضور المحكوم عليه أو وكيله أو المنصوب عنه . قال فهذه عشرون شرطاً . قال : والإعذار ^(٤) مختلف فيه . ووصيتي لكل قاض ألا يحكم إلا به ، ولا يحكم بعلمه ، بل بالبينة . وفي اشتراط العلم ^(٥) بالملك الخلاف المعروف فيما لو باع مال ^(٦) أبيه عن ظن حيانه فبان ميتاً ؛ فإن شرطناه فهي اثنان وعشرون شرطاً للصحة المطلقة . قال : وأما الصحة بالنسبة إلى المتداعيين في شيء يتداعيانه ؛ كما إذا ادعى أحدهما أنه غير مرئى ، وكان الحاكم لا يرى اشتراط الرؤية ، فيحكم عليه بالصحة مع عدم الرؤية ؛ لأنه مذهبه ولم يحصل النزاع إلا فيه فهذا حكم بصحة مقيدة لا بصحة مطلقة . فلا يمنع حاكماً آخر من الحكم بفساده من جهة أخرى . وأطال الشيخ الإمام الكلام في الصحة

(١) بدل من (كل واحد من البائع والمشتري) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (لشروط) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل . وفي ر (وسؤال الحاكم) وكذا في هامش ل ، ط .

(٤) الإعذار أن يبعث القاضي إلى المدعى عليه الذي لم يحضر مجلس القاضي رسولاً ينادى على بابه ثلاث مرات في اليوم : يا فلان ، احضر مجلس الحكم وإلا نصب عنك وكيلاً وقبلت البينة عليك ، ويكرر هذا ثلاثة أيام . وقد استغنى عن الإعذار في هذه الأيام بإعلان المدعى عليه بالحضور ثلاث مرات في ثلاثة أيام بالطريقة العادية على يد أحد المحضرين .

(٥) كذا في النسخ ماعداً ط ففيها . (وفي اشتراط الحكم بالعلم) .

(٦) كذا في النسخ ماعداً ط ففيها (ملك أبيه) .

المطلقة فيما عدده من الشروط في كتابه المسمى « وقت الصلحة »^(١) في الحكم بالصلحة، وهو كتاب لم يتممه . ومن كلام الشيخ الإمام رحمه الله في وصية أخرى للقضاة قال فيها بعد أن ساق حديث : (القضاء ثلاثة : واحد في الجنة ؛ واثنان في النار ؛ قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة ، وقاض قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ، وقاض قضى بغير الحق فهو في النار .) مانصه — ونقلته من خطه — : تنبه أيها القاضي لما أنت فيه من الأخطار ، وطب نفسا إذا حكمت بحق تعلم الله تعالى ، وإلا فلا ، واعلم أن الحلال بين ، وهو الذي تجده منصوصاً عليه في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو مجعاً عليه ، أو عليه دليل حيدٌ غير ذلك من سائر الأدلة الراجعة إلى الكتاب والسنة ، بحيث يشرح صدرك لأنه حكم الله تعالى . فهذا حكمك به عبادة تثاب عليه ؛ ويلبغى لك أن تقصد به وجه الله تعالى ، فلا يكون حكمك به لمخلوق ، ولا لغرض من أغراض الدنيا . فبذلك تكمل العبادة فيه ، وتنال الأجر من خالقك . وإن حكمت به لغرض من أغراض الدنيا صح الحكم ، ولكن لا يكون لك فيه أجر . وما سوى هذا فهو على درجات : إحداها أن تحكم بذلك من غير قصد القربة ، ولا غرض من الأغراض الدنيوية ، فهذا خير من القسم [الثاني]^(٢) الذي قبله ، الذي قصد به غرض دنيوي ، ولكنه يظهر أيضا أنه لا أجر فيه ؛ لعدم قصد القربة . واعلم أننا لا نشترط وجود قصد القربة عند الحكم ؛ بل نكتفي^(٣) به في أصل ولاية القضاء ، لأنه قد يشقّ استحضاره في كل حكم ، فنكتفي^(٤) به عند الدخول في أوله ، كما اكتفي بنية المجاهد في أول خروجه . الرتبة^(٥) الثالثة أن يكون الحكم مختلفاً فيه ، وحصل ما يجوز

(١) كذا في ف ، وفي ل ، ر (وقت الفسحة) وفي د (وقت الصلحة) وفي ط (بوقت الصلحة)

(٢) هذا الخط في ل ، وسقط في نسخة الأصول .

(٣) كذا في د ، ل ، وفي ط ، ز (نكتفي) وفي ف من غير نقط .

(٤) كذا في كل النسخ من عدال فقها (نكتفي) .

(٥) كذا في ف ، د ، ط ، ل ، وفي ر وهامش (المربة) .

الإقدام على الحكم به من الأدلة الشرعية مع احتمال يمنع من انشراح الصدر له الانشراح الكلى ، فهذا جائز ، والأجر فيه دون القسم المجمع عليه ؛ لأن المصلحة في المجمع عليه أتم ، فالعبادة فيه أكمل ، وإن كان لا تقصير في هذا .

الرتبة الرابعة : أن تحصل شبهة تمنع من غلبة الظن بأن ذلك حكم الله تعالى ، فلا يحل الحكم . الرتبة الخامسة : أن يعتقد أنه خلاف حكم الله تعالى ، فلا يحل له الحكم ، وإن كان بعض العلماء قال به . الرتبة السادسة : أن يكون مجعاً على أنه ليس بحكم الله تعالى ، فلا يحل الحكم . وهذه المراتب الثلاث عدم الحل فيها مرتب ترتيباً لا يخفى . واعلم أن المرتبة الخامسة والسادسة ما أظن أحداً يقدم عليهما إن شاء الله تعالى ، والمرتبة الرابعة قد تكون عند قيام الشك ومخالفة^(١) الاحتمال . قد^(٢) نسل لك نفسك أو الشيطان أو أحد من الناس الإقدام على الحكم لغرض من الأغراض ، ويسهل عليك لأنك لم تجزم بالتحريم ، فأياك أن تقدم على الحكم ، فتدخل في قوله : وقاض^(٣) قضى بالحق وهو لا يعلم ، فإذا كان الذى قضى بالحق وهو لا يعلم فى النار فالذى قضى وهو لا يعلم والمقضى به متردد بين الحق والباطل كيف يكون حاله ؟ وفى هذه المرتبة تجد كثيراً من إخوان السوء يسولون لك الحكم ، فأياك ثم إياك ، واستحضر بقلبك غداً يوم القيامة إذا انتصب الجبار لفصل القضاء ، وجىء بالثيبين والشهداء ، وجىء بك يامسكين ، وأنت كالقمحة ، بل كالذرة بين أرجل الناس بل أقل من ذلك ، وفى ذلك الموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى أنت نائبه ، وقد بلغك شريعته ، وجبريل الذى نزل بها عليه ، ورسول الله تعالى وأنبيأوه وملأئكنه والمصدقون والشهداء كالسرج المضيئة فى ذلك المشهد بين يدي الله تعالى ، وسألك الله تعالى بغير واسطة بينك وبينه :

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا د ، ل وفهما (محاجة) .

(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا د ففهما (وقد) .

(٣) كذا فى ل ، ز . وفى باقى النسخ (ماض قضى) .

لم حكمت في هذا الأمر ؟ ومن بلغك عنى هذا ؟ ونظرت يمينا وشمالا فلم تجد هنالك سلطانا ولا أميرا ولا كبيرا ممن سؤل لك ذلك الحكيم ، ورأيت نفسك غريبا حقيرا وحيدا ، ونظرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقدم في ذلك المشهد العظيم الذى ترجو شفاعته ، وقد حكمت بغير شريعته ، كيف يبقى وجهك معه ١٩ أو كيف يبقى حالك عنده ١٩ وسائر الأنبياء والرسل والملائكة وأهل ذلك الموقف من الصالحين ينظرون إليك والله تعالى ينظرك هل ينفعك ذلك الوقت أحد من أهل الدنيا أو مال أو جاه أو غير ذلك ؟ كلا والله لا ينفع^(١) فانظر يا مسكين هذا الموقف ، فما علمت أنه ينجيك لا تستحي بسببه فيه ، فافعله ؛ وما سوى ذلك كن منه على حذره ، ولو طلبه منك أكبر ملوك الأرض بمائها ذهباً . وإن قيل لك : قد يكون توقفك تركا للحكم الواجب ، فقل : إنما يكون واجبا إذا ظهر ، وعند الشك لا ، وإذا دار الأمر بين الترك مع الشك والإقدام مع الشك ، كان الترك أسهل ، لأنه أخف وأقل جرأة^(٢) فهذا الذى تيسر ذكره مما أوصيتك^(٣) به أيها القاضى .

المثال السابع والثلاثون

كاتب القاضى

ومن حقه أن يعرف مدلولات الألفاظ العرفية واللغوية . وأن يكون حسن الفهم عن اللفظين من عوام الواقفين والمقرئين وغيرهم ، وأن يلبه كل لفظ على ما لعله يشك في إرادته له . ولقد ضاع كثير من أوقاتنا^(٤) في مدلولات ألفاظ الواقفين ضياعا مدشوه الشرطيون . وقد كثر من الشرطيون

(١) هكذا في ف ، د ، د ، وهامش ل ، ر . وفى ل (لا ينفعك) .

(٢) كذا في ف ، د ، ط وهامش ل . وفى ل (جزاء) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفى ط (أوصيتك) .

(٤) ل : أوقاما .

أن يكتبوا في بيع القرية مثلاً : خلا ما فيها من مسجد لله تعالى ومقبرة وملك لأربابه ، ووقف ؛ يذكرون ذلك بعد تحديد القرية ، ولا يحددون هذا المستثنى ، فيورث ذلك الجهل بالمبيع . قال الشيخ الإمام : إن كانت تلك المواضع معروفة للمتعاقدين صحّ البيع ؛ وإلاّ فيحتمل أن يفسد ؛ لأن جهالتها تقتضى جهالة الباقي المعقود عليه . ويحتمل أن يقال : الجملة معلومة ولا^(١) يضرّ جهالة القدر المستثنى : قال : ولم أر فيه نقلاً . وأما كتابة الشروط والصدّاق في الحرير فمختلف في جوازه . وأقوى النوى رحمه الله تعالى بتحريمه وعزاه إلى جماعات من أصحابنا ؛ ولكن الأظهر حلّه ؛ لانه لمصلحة النساء . وقد كان الشيخ الإمام أولاً امتنع من كتابة الصدّاق^(٢) على الحرير ، ثم رأيت يكتب عليه . وهذا آخر الأمرين منه . والتردد في المسألة شبيه باختلاف الأصحاب^(٣) في ألواح الصبيان .

المشال الثامن والثلاثون

حاجب القاضى

ومن حقّه الاستئذان على ذوى الحاجات^(٤) ، ورفع الأمور إلى القاضى حسبما ذكره الفقهاء .

-
- (١) كذا في ف . وفي د ، ط (فلا يضر) وفي ل (ولا يضر) وفي ر (فلا يضر) .
 (٢) كذا في ط . وفي ف ، د ، ل (امتنع من الكتابة على صدّاق الحرير) .
 (٣) للشافعية في مس ألواح الصبيان التي كتب فيها قرآن قولان : قول بالجواز ، وقول بالحرمة حملاً على المصحف . وهذا الخلاف هو الذى يعنيه المؤام .
 ووجه الشبه بين الموطئين أن وثيقة الصدّاق لمصلحة النساء ، ونولى كتابتها الرجال ، فمن افقهاء . من نظر إلى شأن النساء ميهاً يجوز أن يكتب على الحرير ، ومنهم من نظر إلى الباسر فحرم ذلك . وكذلك ألواح الصبيان هي معدة للصبيان الذين يحمل لهم المس دون طهارة ، فحرم بعضهم نظراً لذلك مس الرجال لها مع الحدث ، ومنع بعضهم ذلك .
 (٤) كذا في د ، ف ، ط . وفي ل ، ز (الحوائج) .

المثال التاسع والثلاثون

نقيب القاضى

ومن حقه تنبيه القاضى على الشهود ، وتنبيه الشهود على القاضى .

المثال الأربعون

أمناء القاضى

وعليهم التحفظ فى أموال الأيتام والغائبين . والصحيح عندنا تبعاً للشيخ الإمام أنه لا يجوز للقاضى إقراض مال اليتيم . وعلى الأمناء إذا أمر القاضى بصرف زكاة اليتيم تأديتها لمن يعينها له مئة ميسرة ، ولا يجوز إخراجها قبل الحول . ومن أحوج أم اليتيم أن تتردد إلى بابه ^(١) لأخذ نفقة اليتيم [من ماله ^(٢)] فقد ظلم ظلماً عظيماً .

المثال الحادى والأربعون

وكلاء ^(٣) دار القاضى

وقد مدحهم قوم فقالوا : هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق ، وذمهم آخرون فقالوا : هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم . والحق عندنا أن من أراد منهم وجه الله تعالى محمود ، وإن تناول أجرته ؛ ومن أراد الخصام وإبطال الحقوق منه وم . ومن حقهم التفهم عن الموكل ، ومعرفة

(١) كذا فى النسخ ما عدا . . . (إل ليايه) .

(٢) كذا فى النسخ . . . (من ماله) .

(٣) هم الكفوون فى هذا العصر بالخاص ، ومن عظم شأنهم ، وعلت مكانهم فى أيامنا .

الواقعة ، والحق في أى الطرفين ، فلا يتوكل على المحب^(١) معندراً بأنه وكيل ، ولا يبدى من الحيجة إلا ما يعرفه حقاً ، أو يفوله له الموكل وهو يجهل الحال فيعتمد عليه ، فإن عليه باطلا وأدلى به فهو في جهنم .

المثال الثانى والأربعون

الشهود^(٢)

وهم^(٣) قوام غالب المعاش والمبادلات . وقد ذكر الفقهاء ما لهم ، وما عليهم ، فاستوعبوا ، وذمهم قوم وقالوا : إن سفيان الثورى قال : الناس عدول إلا العدول^(٤) ؛ وإن عبد الله بن المبارك قال : هم السفلة ؛ وأنشدوا :
قوم إذا غضبوا كانت رماحهم بثّ الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين إلا أن حكمهم على السجلات والأملاك والدور
وقال آخر :

إياك أحقاد الشهود فإنما أحكامهم تجرى على الحكم
قوم إذا خافوا عداوة قادر سفكوا الدماء بأسنة الأقلام
وقال آخر :

احذر حوانيت الشهود د الأخرين الأرذالينا
قوم لثام يسرقون ويخلفون ويكذبون
وكل هذا عندنا غلو ، وإفراط ، وتجاوز . ومن سلك منهم ما أمر به

(١) كذا في النسخ ما عدل ففيها (على الحق) .

(٢) كان اليهود في العهد الماضى قوماً يتعرفون أحوال الناس ويشهدون في القضايا ، وقد نصروا أنفسهم لذلك حصار ذلك حرقهم ، وكانت لهم حوايت كما اثانفة الحاميين في هذه الأيام . مكاتب وقد عدلت حرفة الشهادة في هذا العصر .

(٣) في ل : (بهم) .

(٤) هم اليهود لأنه يعدر فيهم العدالة ، واحدهم عدل .

واجتنب ما بهى عنه محمود مأجور ؛ غير أنه قد غلب على أكثرهم التسرع إلى التحمل ، وذلك مذموم . وأخذ الأجرة على الأداء وهو حرام . وقسمة ما يتحصل لهم في الحانوت ، وذلك منهم شركة أبدان ، وهى غير جائزة فعليهم النظر في ذلك كله ، ومراقبة الحق سبحانه وتعالى . وأما شهود القيمة^(١) فعلى خطر عظيم .

المشال الثالث والأربعون

ناظر الوقف ونحوه من المباشرين

من حقّه العماره والتنمية ، وقول الأصحاب : إنّ ولى اليتيم لا تجب عليه المبالغة في الاستئمان ، وإنما الواجب أن يستنمى قدر مالا تأكل النفقة والمؤون المال صحيح . ولكن الزيادة من شكر النعمة . ومما تعمّ به البلوى مدرسة غير محصور عدد فقهاء ، فنزل القاضى أو الناظر فيها أشخاصاً وقرّر لهم من المعلوم ما يستوعب قدر الارتفاع^(٢) ، فهل يجوز تنزيل زائد؟ قال ابن الرفعة : لا يجوز ، قال الشيخ الإمام : وهو الذى استقرّ عليه رأى ، بشرط أن يكون في مدرسة قرّر للفقيه مثلاً قدر معين . أمّا لو قرّر عشرة فقهاء مثلاً ولم يُنصّ في معاليهم على قدر ولا جزء معين من أصل الوقف — وهو غالب ما يقع في المدارس التى ليست بمحصورة — فلا يمتنع . ومنه ناظر وقف يؤجر حاوتاً أو نحوه خراباً بشرط أن يعمره المستأجر بماله ، ويكون ما أنفقّه محسوباً من أجرته . وهذه الإجارة باطلة ؛ لأنه عند الإجارة غير منتفع به . أمّا إن كان الحانوت منتفعاً به فأجره بأجرة معلومة ، ثم أذن للمستأجر

(١) في نسخة هامس ل : القيمة . ونهاية القيمة تكون عند نفوس ما يبايع فيه الشركاء بوصلا للنفس ، وسوى هذا في اصطلاح المحققين الخبراء .

(٢) يريد ربيع الوقف وما يتحصل من عده . ويقال له في هذه الأيام : الإيراد .

في صرفها إلى العماره جاز ، صرّح به الرافعي في أوائل الإجارة . ولا يجوز إجارة الخّمّ بشرط أن تكون مدة تعطّله بسبب عماره أو نحوها محسوبة على المستأجر لا على المؤجر .

المثال الرابع والأربعون

وكيل بيت المال

فمن حقّه ألاّ يبيع من أملاك بيت المال ما المصلحة في بقاءه ، ولا يبيع إلاّ بغبطة ظاهرة . أو حاجة ؛ كما في البيع على اليتامى . وكثر في زماننا من وكلاء بيت المال من يبيع من الشارع ما يفضل عن حاجة المسلمين ؛ وقد أفتى ابن الرفعة والشيخ الإمام الوالد رحمهما الله بأن ذلك حرام . وفقهاء العصر يترددون في انعزال وكيل بيت المال بانعزال الإمام الأعظم أو موته ، وكان الشيخ الإمام يرى أنه لا ينعزل بذلك .

المثال الخامس والأربعون

المحتسب

وعليه النظر في القوت ، وكشف غمّة المسلمين فيما تدعو إليه حاجتهم من ذلك ، والاحتراز في المشروب ؛ فطالما^(١) أوهم الخنّار أنه فقّاع^(٢) أو أقسمائوي^(٣) ، والطعام^(٤) ؛ فطالما أوهم الطباخ أن لحم الكلاب لحم ضأن .

(١) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (فرما) .

(٢) الفقاعى أو الفقاع : شراب يتخذ من أصناف الخلاوات ، يرفع في رأسه ريد وفقاع ، من هذا اسمه . وهو ما يعرف في هذه الأنام بالمشرباب . وانظر ، طالع البدور ص ٨٨ ج ٢ .

(٣) أقسمائوي ، ويقال : أقسماء : بيعع الريبب . قال في سناء الغليل : وأطبه معرب أسما .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ط (والأكل) .

فليتنق الله ربه . ولا يكن ^(١) سبياً في إدخال جوف المسلمين ^(٢) ما كرهه الله لهم من الخبائث . ويحرم عليه التسعير في كل وقت على الصحيح ، وقيل : يجوز في زمان العلاء ، وقيل : يجوز إذا لم يكن مجلوباً ، بل كان مزروعاً ^(٣) في البلد ، وكان عند الشتاء ^(٤) وإذا سَعَرَ الإمام انقادت ^(٥) الرعية لحكمه ، ومن خالفه استحقَّ التعزير . ومن مهمات المحتسب - لاسيما في بلاد الشام - أمران ارتبطا به . أحدهما النقص من الذهب والفضة المضرة بين ، ولا يخفى أن في زغالهما هلاك أموال البشر ؛ فعليه اعتبار العيار بمحك النظر ، والتثبت في سكة المسلمين . وثانيهما المياه . فعليه الاحتراز في سياقتها ^(٦) . وقد جرت عادة أناس في الشام أن يشتري بعضهم قدراً معلوماً من ماء نهر ثوري أو باناس ^(٧) مثلاً ، ويتحليل لصحته بأن يورد العقد على مقره بماله فيه من حق الماء ، وهو كذا ^(٨) إصبعاً ثم يسوقه ، ويحمله على مياه الناس برضا طائفة يسيرة ^(٩) منهم . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يشدد التنكير في هذا . وله فيه تصليف سماه « الكلام على أنهار دمشق » . والحاصل أن الخلق في أنهار دمشق سواء يقدم الأعلى منهم فالأعلى . ولا يجوز بيع شيء من الماء ولا مقره ، ولا يفيد رضا قوم ولا كلهم ؛ لأنهم لا يملكون إلا الانتفاع ، بل ولا رضا أهل الشام بجملتهم ^(١٠) لأن رضاهم لا يكون رضا من بعدهم ممن يحدث من الخلق .

- (١) كذا في ف . وفي د ، ل (ولا يكون) وفي ط ولا يهمل شيئاً يدخل جوف المؤمنين .
- (٢) كذا في ف . وفي د (المؤمنين) .
- (٣) كذا في ف . وفي د ، ط يزرع .
- (٤) كذا في ط ، ف . وسقطت هذه الجملة وكان عند الشتاء في د .
- (٥) كذا في ف . وفي د ، ط انقاد .
- (٦) كذا في ف . وفي ط (ساقها) وفي نسخة في هامش ل (ساقيتها) .
- (٧) ثوري وباناس من أنهار دمشق .
- (٨) كذا في ف . وفي د (كذا كذا) .
- (٩) في ل (بشره) .
- (١٠) كذا في د ، ط . ولم يذكر في ف كلمة (بجملتهم) .

المثال السادس والأربعون

العلماء

وهم فرق كثيرة : منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والمتكلم ، والنحوي وغيرهم ، وتتشعب كل فرقة من هؤلاء شعوباً وقبائل . ويجمع الكل أنه حق عليهم إرشاد المتعلمين ، وإفتاء المستفتين ، ونصح الطالبين ، وإظهار العلم للسائلين ؛ فمن كتم علماً ألجته الله بلجام من نار ، وألاً يقصدوا بالعلم الرئاء والمهااة والسمعة ، ولا جعله سبيلاً إلى الدنيا ؛ فإن الدنيا أقل من ذلك . قال : الفضيل ^(١) رحمه الله : إني لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنيا افتقر ، وعالماً تلعب به الدنيا . وأنشد بعضهم :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب ^(٢)

فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخساستها ، وكدورتها وانصرامها ، وعظم الآخرة وصفاءها ودوامها ، وأن يعلم أنهما متضادتان ، وأنهما ضرَّتَان ؛ متى أرضيت واحدة أسخطت الأخرى ، وكفنا ميزان ؛ متى رجحت إحداهما خفَّت الأخرى ، وكالمشرق ^(٣) والمغرب ؛ متى هربت من أحدهما بعدت عن الآخر ، وكمدحين أحدهما مملوئ فبقدر ما نصب منه في الآخر تفرغ ^(٤) من هذا فمن لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامزاج لذاتها بالمعوم فاسد العقل ؛ فإن المشاهدة والتجربة ترشد العقلاء إلى ذلك ، فكيف يكون في العلماء من لا عقل له ! ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر لا إيمان له ، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ! ومن لا يعلم أنهما ضرَّتَان والجمع بينهما بعيد فهو

(١) هو ابن عباس ، الراعي المشهور . وكانت وفاته سنة ١٨٧ هـ . وانظر النجوم الباهرة .

(٢) في ل بعد هذا البيت : وأعجب من هدم من باع دينه . أي : يسواه فهو من ذن أخرب .

(٣) في ل : (والمشرق) .

(٤) كذا في ف . وفي ط (بمرع من الأول) وفي د (ينزع من هذا) .

جاهل . ومن علم هذا كله ، ثم آثر الحياة الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان ؛ قد أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعدُّ من العلماء من هذه درجته . ووَاحِقٌ ^(١) الحقُّ إلى لا عجب من عالم يجعل علمه سبيلاً إلى حطام الدنيا ، وهو يرى كثيراً من الجهَّال وصلوا من الدنيا إلى ما لا ينتهى هو إليه ! فإذا كانت الدنيا تُنال مع الجهل فما بالنا نشترها بأنفس الأشياء وهو العلم ! فيلَبِغِي أن يقصد بالعلم وجه الله تعالى ، والترقى إلى جوار الملائكة الأعلى .

والسلام في العلماء وما ينبغي لهم بطول ولكننا نُنبِّه على مهمات ؛ فمن هؤلاء من يطلب العلم في الدنيا والتردُّد إلى أبواب السلاطين والأمراء كما ذكرناه ، وحبُّ المناصب والجاه ، فيؤدى ذلك إلى أن قلبه يُظلم بهذه الأكدار ، ويزول صفاؤه بهذه الأمور التي تُظلم القلوب ، وتُبعد عن علام الغيوب ، وإلى أنه يشتغل بهم وبها ^(٢) عن الازدياد في العلم ؛ فكم رأينا فقيها تردَّد إلى أبواب الملوك فذهب فقهه ، ونسى ما كان يعلمه ، وإلى فساد عقيدة الأمراء في العلماء فإنهم يستحقرون المتردد إليهم ، ولا يزالون يعظمون الفقيه حتى يسألهم في حوائجه . ويشول ^(٣) ذلك إلى أنهم يظنون في أهل العلم سوء ولا يطيعونهم فيما يفتون به ، وينقصون ^(٤) العلم وأهله ؛ وذلك فساد عظيم ، وفيه هلاك العالم .

وإذا قال لك فقيه : إن الردُّد إلى أبواب السلاطين لإعزاز الحق ولنصرة الدين ، ولغرض من الأغراض الصحيحة ، فقل له : إن صحَّ ما تقول — وأنت أخبر بنفسك — فأنت على خطر عظيم ؛ لأنَّك قد انغمست في الدنيا ، وأنت تدعى أنك تقصد بها الآخرة . وإن ثبت هذا فما نأمن عليك أن تنجرَّ مع الدنيا . ولذلك كان سفيان الثوري رحمه الله يقول : إن دعوك لتقرأ عليهم

(١) كذا في ف ، ط . وفي د (وحق) .

(٢) في ل (وجهها) .

(٣) كذا في ف ، ص . وفي د سقط لفظ (ويشول ذلك) .

(٤) في نسخة في هامس ل (ينقصون) .

« قل هو الله أحد » فلا تمض ، ولا تقرأها . وبالجمله أنت أخبر بنفسك ، فابحث عنها . أنشدنا الحافظ أبو العباس بن المظفر^(١) الأشعري بقراءتي عليه قال : أنشدنا الحسن^(٢) بن علي بن أبي بكر محمد بن الخلال بقراءتي عليه^(٣) قال : أنشدنا جعفر الهمداني سماعا قال : أنشدنا أبو محمد^(٤) عبد الله بن عبد الرحمن ابن يحيى العثماني الديباجي الإمام قال : كتب إلى العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري^(٥) من مكة وأجازني ح^(٦) وكتب^(٧) إلى أحمد بن علي الحنبلي وزينب^(٨) بنت السكّال وفاطمة^(٩) بنت أبي عمر عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ أبي طاهر^(١٠) السّلّفي عن الزمخشري قال : أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي قال : أنشدنا أبو سعد المحسن بن محمد الجشمي قال : أنشدنا الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن قال : أنشدنا القاضي أبو الحسن علي^(١١) بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه :

يقولون لي : فيك انقباض . وإلّا رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما

-
- (١) كذا في ف ، ل ، د . وفي ز (أبو العباس المظفر) .
(٢) في ف (أنشدنا الحسن علي بن أبي بكر محمد بن) وفي ل ، ط (أنشدنا الحسن بن أبي بكر بن محمد بن الخلال) وفي ز (الحسن أبي بكر الخلال) وفي د (أنشدنا الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال) وكانت وفاة ابن الخلال سنة ٧٠٢ هـ كما في الشذرات ص ٤ ح ٦ والدرر السكّانة .
(٣) كذا في ز ، د . وقد سقط لفظ (عليه) من باقي النسخ .
(٤) كذا في ف ، ز ، ط . وفي ل (أبو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن) .
(٥) كانت وفاة الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ .
(٦) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (وأجازني حينئذ) . و (ح) عند المحدثين رمز لتحويل الإسناد . أي إن المؤام إلى الزمخشري طريقين ساقهما هكذا .
(٧) كذا في كل النسخ ما عدا ز ففيها (كتب) .
(٨) هي المرأة الصالحة المقدسية ، توفيت سنة ٧٤٠ هـ من الشذرات ص ١٢٦ ج ٦ .
(٩) توفيت فاطمة سنة ٧٤٧ هـ الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٥ .
(١٠) كذا في د ، ف ، ل . وفي ر (الحافظ بن طاهر) وفي ط (الحافظ بن أبي طاهر) وكاتب وفاة الحافظ السابق سنة ٥٧٦ هـ وانظر ابن خلكان وحسن المحاضرة .
(١١) هو صاحب الوساطة بين النبي* وحصومه ، له رجة واسعة في البنية ، وترجم له ابن خلكان ، وكانت وفاته سنة ٣٦٦ هـ وقد أورد المؤام هذا الحديث كله في طبقاته ص ٣٠٨ ج ٢ .

وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقيت أرضاه مُنعمًا
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت أقلب كفي إثره متندما
ولم أقض حقَّ العلم إن كان كلما بدا طمع صيرُّته لي سلما
إذا قيل : هذا منهل قلت : قد أرى ولكن نفس الحرّ تحتل الظما
ولم أبتذل في خدمته العلم مهجتي لأخدم من لاقيت ، لكن لأُخدما
أشقى^(١) به غرسا وأجنيبه ذلّة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صاهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أذلوه فهان ، ودنسوا محياه بالاطماع حتى تبجها

فلقد^(٢) صدو هذا القائل : لو عظموا العلم لعظمهم . وأنا أفرا قوله : لعظما
بفتح العين فإن العلم إذا عظم يعظم^(٣) وهو في نفسه عظيم ؛ ولهذا^(٤) أقول :
ولكن أهانوه فهانوا ؛ ولكن الرواية فهان ولعظم بضم العين ، والآحسن
ما أشرت إليه . وقد نحا شيخ الإسلام^(٥) تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله
تعالى نحو هذه الآيات فقال :

يقولون لي : هلا نهضت إلى العلا فما لذّ عيشُ الصابر المتقنع
وهلا شددت العيس حتى تخلّها^(٦) بمصر إلى ظل الجناب المرفّع
ففيها من الأعيان من فيض كفه إذا شاء روى سيله كل بُلّقع

(١) في ل . (أ أسقى) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف وفيها (فقد) .

(٣) كذا في ز . وفي ف (إذا عظم لعظم) وفي د ، ل ، ط (لعظم) .

(٤) كذا في ل ، ط . وفي باقي النسخ (وبهذا) .

(٥) هو محمد بن علي القشيري ، قبل عه : إنه العالم المبعوث على رأس سبع المائة على ما في الحديث . نشأ في فوس وتنفه بها وذاع صيته ثم رحل إلى القاهرة وسمي مجده ، قيل : كان السلطان لاجين نزل له عن سريره وبغل بده ، ومدد إلى المصاء بالدبار المصرية ، وكانت وفاته سنة ٧٠٢ هـ وله رجاء : بـرسه في طاعت الشافعية في أول الجزء السادس ، ورحله أيضاً في الدرر الكامنة .

(٦) شوب أن يكون من الإحلال ، أي حتى يملأها ، وتعود أن يكون من الحسل ، أي تحمل رسالنا ، وهو أصيب بقوله : شددت .

وفيها قضاة ليس يخفى عليهم
وفيها شيوخ الدين والفضل والآلى
وفيها ، وفيها ، والمهابة ذلة
فقلت : نعم أسعى إذا شئت أن أرى
وأسعى إذا مالذ لي طول موقفي
وأسعى إذا كان النفاق طريقتي
وأسعى إذا لم يبق في بقيّة
فكم بين أرباب الصدور مجالسا^(٢)
وكم بين أرباب العلوم وأهلها
مناظرة تحمي^(٣) النهوس فننتهي^(٤)
إلى^(٥) الدفه المزرى بمنصب أهله
فإمّا توقي^(٦) مسلك الدين والتمق
وإمّا نلقى غصّة الفرج

ومنهم من يضيع كثيراً من وقته في طلب القضاء وغيره من المناصب
فإن كان مراده الفوت فالقوت يحىء بدون ذلك ، وإن كان مراده الدنيا فقد
كان في اشتغاله بصناعة الأجناد والدواوين وغيرهم من العادة ما لعله أنجح
في مقصده ؛ فإن الدنيا في أيدي أولئك أكثر ومن هذه الطائفة من يقول :
أكرهت على القضاء : وأنا لم أر إلى الآن من أكره على القضاء إلا كراه

(١) في طبقات النافعية ص ٩ ج ٦ : (دس) وكأله نحر ينف .

(٢) في نسخة في هامش ل (مجالس) .

(٣) أى يجعلها حامية متعده من الغضب .

(٤) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (فنانى) .

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (من الدفه) .

(٦) أى اجتناب مسلك الدين . أى هو بين أمرين : ألا يسعى بأمر الدين ويجوز فيها بحجوس ،
غير مال عاقبه ذلك ، وإمّا أن ، إلى ههنا وليس الأسس والعبه على امتزاج الآثام في المساربات
والجدل .

الحقبة^(١) . وقد ضرب جماعة من السلف على أن يلوا القضاء فأبوا ، وسُمر باب أبي علي بن خيران^(٢) مدة . وما ذاك إلا لأهم يخشون ألا يقيموا فيه الحق لفساد الزمان ، وإلا فالقضاء إذا أمكن فيه نصر الحق من أعظم العربات ؛ ولكن أين نصر الحق وهم لا يدخلون فيه إلا بالسعى ، وربما بذلوا عليه الذهب ! ومذهب كثير من العلماء أن من يبذل الذهب على القضاء لا تصح أحكامه . ولا يخفى أنه إذا فسق^(٣) لم يكن نافذ الأحكام . وكأني بأحق من الفقهاء ، يقول : تعين على طلب القضاء ، وأنا لا يخفى على ما قاله الفقهاء فيمن تعين عليه ، ولكن من ذا الذي تعين عليه ؟ فقائل هذا الكلام إما ممن لبست عليه نفسه ، واستزله الشيطان من حيث لا يدري ، أو ممن يريد التلبس على الناس ، فهو إبليس من الأبالسة ، نعوذ بالله منه ؛ وما فعلت هذه الطائفة ولا كان ثمره عليها إلا أن جعلت العلم حطام الدنيا ، ثم أخذت تدأجى في دين الله تعالى ، وتلبس على الخلق ، وتأكل الدنيا بالدين ، فقبجها الله تعالى من طائفة ! . أخبرتنا شقراء بنت يعقوب بن إسماعيل بن عبد الله ابن عمر بن قاضي اليمن قراءة عليها وأنا أسمع قالت : أخبرنا جدي إسماعيل وأخوه إسحاق أخبرنا عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ أنا أبي شيخ الشيوخ أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد بن أحمد النيسابوري الصوفي أنا الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي النيسابوري السكوفي سنه تسعين وأربعمائة قال : سمعت القاضي أبا مسعود — يعني صالح بن أحمد بن القاسم بن يوسف من مشايخي — يقول : سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن صالح^(٤) الثمار يقول : سمعت أبا بكر

(١) كذا في ف . وفي د (المرعى) بدل الحقبة .

(٢) هو الحسين بن صالح بن خيران . أحد أركان النيسابورية ، عرض عليه القضاء في بغداد فامنع . وكانت وفاته سنة ٣٢٠ هـ ، وفصة امتناعه عن القضاء ، وسوطه في الطغاب الأولى ص ٢١٣ ج ٢ .

(٣) في ل زياده : (بدل الذهب) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط : (الصروي) وفي ر (سمعت أبا الحسن علي بن أحمد البصري الصوفي صديداً . قول : سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن صالح الثمار) .

محمد بن يحيى العدوى يقول : سمعت عبد السميع بن سليمان يقول : سمعت
عبد الله^(١) بن المبارك يقول وقد بلغه عن ابن^(٢) عُلَيْهَ رَحِمَهُمَا اللهُ أَنَّهُ قَدْ
وَلَّى الصَّدَقَاتِ بِالْبَصْرَةِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيَا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
أَحْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْدِينِ
فَصُرْتُ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَ مَا كُنْتُ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ
أَيْنَ رَوَايَاتِكَ فِيمَا مَضَى عَنْ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينَ
أَيْنَ رَوَايَاتِكَ فِي سِرْدِهَا لَنُرِكَ^(٣) أَبْوَابُ السَّلَاطِينِ
إِنْ قُلْتُ : أَكْرَهْتُ فُذًا بَاطِلًا زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ
قَالَ : فَلَمَّا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَاتِ ابْنَ عُلَيْهِ بَكَى وَاسْتَعْفَى وَأَشْأَى يَقُولُ :
أَفْ لَدُنْيَا أَبْتُ تَوَاتَيْنِي إِلَّا بِنَقْضِ^(٤) لَهَا عُرَى دِينِي
عَيْنِي لِحَبَّتِي ضَمِيرٍ مَقْلَتَهَا تَطْلُبُ مَا سَاءَ مَا لَتَرْضِينِي
وَأَنْشُدُ بَعْضَهُمْ فِي قَاضِيَيْنِ عَزَلَ أَحَدُهُمَا وَوَلَّى الْآخَرَ :

عِنْدِي حَدِيثٌ طَرِيفٌ بِمَثَلِهِ يُتَغَفَى
فِي قَاضِيَيْنِ يَعْزَى هَذَا وَهَذَا يُهَى
هَذَا يَقُولُ : أَكْرَهُوْا^(٥) وَذَا يَقُولُ : اسْتَرحْنَا
وَيَكْذِبَانِ جَمِيعًا وَمَنْ يَصْدَقُ مِنْهُمَا

(١) هو الورع القى ، كان من أثبت الناس في السنة توفي سنة ١٨١ هـ . وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ص ١٥٢ ج ١٠ .

(٢) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم ، وعليه أمه . وهو محدث البصرة وعالمها ، توفي سنة ١٩٣ هـ وله ترجمة واسعة في تاريخ بغداد ص ٣٢٩ ج ٦ .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط (في ترك) .

(٤) في ل (بنقص) .

(٥) كذا في ف ، د ، ل ، ط . وفي ر (جبرما) و (اكرهوا) بمذهب الهذلي للضرورة

الشعرية .

فإذا بلا^(١) الله تعالى أهل هذه الخرقه^(٢) بولاية الجهال عليهم ، ووصول وظائف القضاء ومناصب الدين لغير أهلها ، أليس ذلك عدلا من الله تعالى ! ومهمهم المؤرخون . وهم على شفا جرف هار ؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس ، وربما نقلوا مجرد ما يبلعهم من صادق أو كاذب ؛ فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما قد يحمله على العص من . وربما كان الباعث له على الضعة من أهوام مخالفة العقيدة ، واعتقاد أنهم على ضلال ، فيقع فيهم ، أو يقصر في الشناء عليهم لذلك ؛ وكثيراً ما يتفق هذا لشيخنا الذهبي رحمه الله في حق الأشاعرة . والذهبي أستاذنا — والحق أحق أن يتبع . لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد عليه في الضعة من الأشاعرة . وقد أطلعنا في تقرير هذا الفصل في الطبقات^(٣) الكبرى ، وحكيما في ترجمه أحمد بن صالح المصري ما ذكره الشيخ الإمام في شروط المؤرخ ، ومن كلام أبي عمر بن عبد البر وغيره ما يزداد به الإنسان بصيرة . ومن ذلك فقهاء عصر واحد ؛ فلا يلغى سماع كلام بعضهم في بعض . وقد عقد ابن عبد البر باباً في أن كلام العلماء بعضهم في بعض لا يقبل ، وإن كان كل منهم بمفرده ثقة حجة . ومنهم من تأخذه في الفروع الحجة لبعض المذاهب ، ويركب الصعّب والدّلّول في العصبية وهذا من أسوأ أخلاقه . ولقد رأيت في عوائف المذاهب من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض إلى غير ذلك مما يستقبح ذكره . وباويع هؤلاء ! أين هم من الله تعالى ! ولو كان الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى حيين لشددا النكير على هذه الطائفة . وليت شعري لم لا تركوا أمر الفروع التي العلماء فيها على قولين ،

(١) كذا في ل . د . د . وفي ط . ر . (أبلى) .

(٢) كذا في د . وفي . (الخرقة) .

(٣) ج ١ ص ١٨٧ .

من قائل : كل مجتهد مصيب ، وقائل : المصيب واحد ، ولكن المخطيء يؤجر ، واشتغلوا بالرد على أهل البدع والأهواء ، وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة — والله الحمد — في العقائد^(١) يد واحدة كلهم على رأى أهل السنة والجماعة ، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله ، لا يجيدونها إلا رعاغ من الحنفية والشافعية . لحقوا بأهل الاعتزال ، ورعاغ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم ، وبرأ الله المالكية فلم نر مالكيًا إلا أشعريًا^(٢) عقيدة . وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ، ورضوها عقيدة . وقد ختمنا كتابنا جمع الجوامع بعقيدة ذكرنا أن سلف الأمة عليها . وهي وعقيدة الطحاوي . وعقيدة أبي القاسم القشيري والعقيدة المسماة بالمرشدة مشتركات في أصول أهل السنة والجماعة . فقل لهؤلاء المتعصبين في الفروع : ويحكم ذروا التعصب ، ودعوا عنكم هذه الأهوية^(٣) ، ودافعوا عن دين الإسلام ، وشمروا عن ساق الاجتهاد في حسم مادة من يسب الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويقذف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، التي نزل القرآن ببراءتها ، وغضب الرب تعالى لها ، حتى كادت السماء تقع على الأرض ، ومن يطعن في القرآن وصفات الرحمن . فالجهاد في هؤلاء واجب : فهلا شغلتم أنفسكم به يا أيها الناس بينكم اليهود والنصارى قد مكثوا بقاع البلاد ، فمن الذى انتصب منكم للبحث معهم ، والاعتناء بإرشادهم . بل هؤلاء أهل الذمة في البلاد الإسلامية ، تركوهم هملا تستخدمونهم ، وتستطيعونهم ، ولا نرى منكم فقيهاً يجالس مع ذمى ساعة واحدة ، يبحث معه في أصول الدين ؛ لعل

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (آراؤهم في العقائد واحدة) وفي ط (في العقائد عقيدتهم واحدة) .

(٢) في ل (أشعري العقيدة) .

(٣) كذا في الأصول ، وهو خطأ ، والصواب : الأهواء ، جمع هوى بمعنى الميل إلى الشهوات والأغراض الحسية . وأما الأهوية فجمع الهواء الذى يتنفس ، ولا يراد هنا .

الله تعالى يهديه على يديه . وكان من فروض الكفايات ومهمات الدين أن تصرفوا بعض هممكم^(١) إلى هذا النوع . فمن القبائح أن بلادنا ملأى^(٢) من علماء الإسلام ، ولا نرى فيها ذمياً دعاه إلى الإسلام مناظرةً عالم من علمائنا ، بل إما يُسلم من يُسلم^(٣) إما لأمر من الله تعالى ، لا مدخل لأحد فيه ، أو لغرض دنيوي . ثم ليت من يُسلم من هؤلاء يرى فقيهاً يمسكه^(٤) ، ويحدثه ، ويعرفه دين الإسلام ؛ ليشرح صدره لما دخل فيه ؛ بل — والله — يتركونه هملاً لا يُدرى ما باطنه : هل هو كما يُظهر من الإسلام ، أو كما كان عليه من الكفر ؟ لأنهم لم يُروه من الآيات ، والبراهين ما يشرح صدره . فيا أيها العلماء . في مثل هذا فاجتهدوا ، وتعصوا . وأما تعصّبكم في فروع الدين ، وحملكم الناس على مذهب واحد فهو الذي لا يقبله الله منكم ، ولا يحملكم عليه إلا محض التعصّب والتحاسد . ولو أن أبا حنيفة والشافعي ومالك وأحمد أحياء يُرزقون لشددوا النكير عليكم ، وتبرءوا منكم فيما تفعلون . فلعمري الله لا أحصى من رأته يشمر عن ساعد الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يُسمى ، أو حنفي يلبس ذكره ، ولا يتوضأ ، أو مالكي يصلي ولا يبسم ، أو حنبلي يقدم الجمعة على الزوال ؛ وهو يرى من العوام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ، يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضرب العنق ، ولا ينكرون عليه ؛ بل لو دخل الواحد منهم بيته لرأى كثيراً من نسائه يترك^(٥) الصلاة ، وهو ساكت عنهن . فيا الله والمسلمين^(٦) ! أهذا فقيه على الحقيقة ! قبح الله مثل هذا الفقيه . ثم ما بالكم تنكرون مثل هذه الفروع ولا تنكرون

(١) كذا في ف ، د ، ز . وفي له وط (متمم) .

(٢) في ل (ملأ) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (أسلم) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ر ففيها (يسأله) .

(٥) كذا في ف . وفي ل (يترك) وفي باقي النسخ (يتركون) .

(٦) كذا في د ، ل . وفي ف ، ز (والمسلمين) وفي ط (للمسلمين) .

المكوس والمحرمات المجمع عليها ولا تأخذكم الغيرة لله تعالى فيها ١ وإما تأخذكم الغيرة للشافعي ، وأبي حنيفة ، والمدارس المزخرقة . فيؤدّي ذلك إلى افتراق كلتكم ، وتسلب الجهال عليكم ، وسقوط هيبتكم عند العامة ، وقول السفهاء في أعراضكم مالا يلبغى ، فتهلكون السفهاء بكلامهم فيكم ؛ لأن لحومكم مسمومة على كل حال ؛ لأنكم علماء ، وتهلكون أنفسكم بما ترتكبونه من العظائم . ومنهم طائفة تبتعت طريقة أبي نصر^(١) الفارابي ، وأبي علي ابن سينا^(٢) وغيرهما من الفلاسفة الذين نشئوا في هذه الأمة ، واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم ، وسَمّوها الحكمة الإسلامية ، ولقّبوا أنفسهم حكماء الإسلام ، وهم أحق بأن يسمّوا سفهاء جهلاء من أن يسمّوا حكماء ؛ إذ هم أعداء أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، والمحرّفون لكلم الشريعة عن مواضعه . عكفوا على دراسة تُرّهات هؤلاء الأقوام وسَمّوها الحكمة ، واستجملوا من غري عنها . ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآناً ، ولا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعمر الله إنّ هؤلاء لأضرّ على عوام المسلمين من اليهود والنصارى ؛ لأنهم يلبسون لباس المسلمين ، ويدّعون^(٣) أنّهم من علمائهم ، فيقتدى العامي بهم ، وهم لا يعتقدون شيئاً من دين الإسلام ، بل يهدمون قواعده ، وينقضون عراه عروة عروة .

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا لصون دماءهم ألا تسالاً^(٤)
فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى
فلحذر الحذر منهم . وقد أفتى جماعة من أئمتنا^(٥) ومشايخنا ومشايخ

(١) كانت وفاته سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) كانت وفاته سنة ٤٢٨ هـ .

(٣) كذا في ف ، ز ، وفي ل ، د ، ط (يزعمون) .

(٤) المصدر المنسبك المني ، وهو (عدم الإسالة) بدل من (صون دماءهم) أو أن (لا)

زائدة ، أي لصون دماءهم من أن نسال .

(٥) كذا في ل ، ط ، وفي ف ، د ، ر (جماعه أئمتنا) .

مشيختنا بتحريم الاشتغال في^(١) الفلسفة . وأما المسطق فقد ذكرنا كلام الأئمة والشيخ الإمام فيه في أوائل شرح مختصر ابن الحاجب والذي نقوله نحن : إنه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه ، ويمتلئ جوفه من عظمة هذا النبي الكريم وشرعته^(٢) ويحفظ الكتاب العزيز ، وشيئاً كثيراً جداً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة المحدثين ، ويعرف من فروع الفقه ما يسمى به فقيهاً ، مفتياً مشاراً إليه من أهل مذهبه إذا وقعت حادثة^(٣) فقهية أن^(٤) ينظر في الفلسفة . وأما من وصل إلى هذا المقام فله النظر فيها للرد على أهلها ، ولكن بشرطين : أحدهما أن يشق من نفسه بأنه وصل إلى درجة لا تزعزعها رياح الأباطيل ، وشبه الأضاليل وأهواء الملاحدة . والثاني ألا يمزج كلام الحكماء بكلام علماء الإسلام ؛ فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الحكماء بكلام المتكلمين ، وأدى الحال إلى طعن المشبهة وغيرهم من رعاة الخلق في أصحابنا ؛ وما كان ذلك إلا في زماننا وقبله بيسير ، منذ نشأ نصير الدين^(٥) الطوسي ومن تبعه لا حيّاهم الله .

فإن قلت : فقد خاض حجة^(٦) الإسلام الغزالي والإمام نخر الدين الرازي^(٧) في علوم الفلسفة ودونوها ، وخلطوها بكلام المتكلمين فهلاً تنكر عليهما ! قلت : إن هذين إمامان جليلان ولم يخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين ، وضربت الأمثال باسمهما في معرفة علم الكلام على طريقة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم . فيأياك أن تسمع

(١) كذا في النسخ . والمعروف (الاشتغال بالفلسفة) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (وشرعته) .

(٣) كذا في النسخ كلها ما عدا ف فقهها (واقعه) .

(٤) المصدر في هذه العبارة فاعل (حرام) في صدر الجملة .

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (صبر الطوسي) . انظر ترجمته في الصفحة الآتية .

(٦) كات وفاة حجة الإسلام سنة ٥٠٥ هـ .

(٧) كات وفاة نخر الدين الرازي سنة ٦٠٦ هـ .

شيئاً غير ذلك ، فتضلّ ضلالاً مبيناً . فهذان إمامان عظيمان وكان حقاً عليهما نصر المؤمنين وإعزاز هذا الدين بدفع تُرَّهات^(١) أولئك المبطلين . فمن وصل إلى مقامهما لا ملام^(٢) عليه بالنظر في السكتب الفلسفية ، بل هو مثاب مأجور وأما طائفة في زماننا هذا وقبلة ييسر عكفت على هذه الحكمة المفتنة^(٣) من حين نشأت لا تدري شيئاً سواها ، اشتبه عليها أقوال كفّارها بأقوال علماء الإسلام ، وتصرّفت فيها^(٤) بعقل خسيف^(٥) لم يقيم^(٦) بكتاب وسنة ولم يرضى له نور برهان من النبوءات ، ثم تعتقد أنها على شيء فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضلة وقد اعتبرت — ولا يبدشك مثل خبير — فلم أجد أضرّ على أهل عصرنا وأفسد لعقائدهم من نظرهم^(٧) في السكتب الكلامية التي أنشأها المتأخرون بعد نصير الدين الطوسي^(٨) وغيرهم . ولو اقتصروا على مصنفات القاضي أبي بكر^(٩) الباقلاني ، والأستاذ أبي إسحق^(١٠) الإسفرائيني وإمام^(١١)

-
- (١) في ل (برهان) وما أثبتناه أجود ، فإن هذه الفرق الضالة لا برهان لهم . والبرهان هو الدليل اليقيني القاطع .
- (٢) كذا في ف وهامش ل . وفي د (لا بلام بالمطر) .
- (٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (المفتنة)
- (٤) كذا في د ، ط . وفي ف (ونصرفت بنها) .
- (٥) خسيف كذا في كل النسخ . وفي هامش ل (بعمل سخيّف) ويريد بالعقل الخسيف : الذي لا نور له ، يقال خسيف عين فلان : فقأها ، فهي خسيفة .
- (٦) كذا في د ، ط . وفي ف ، ز (لم يتم بكتاب وسنة) وفي ل (لم يتم بكتاب الله وسنته) .
- (٧) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (من المطار) .
- (٨) هو محمد بن محمد بن الحسن ، الإمام المشهور في العمليات والرباصيات . توفي في بغداد في سنة ٦٧٢ هـ . وانظر تاريخ أبي الفداء .
- (٩) في ل : أبي بكر بن الباقلاني . وهو أحد الأعلام الذين لهم الفضل في تهذيب مذهب الأشعرى . وكانت وفاته في بغداد سنة ٤٠٣ هـ وانظر ابن خلكان .
- (١٠) هو إبراهيم بن محمد أحد الأركان في فقه الشافعية ، وفي علم الكلام . توفي سنة ٤١٨ هـ وانظر ابن خلكان .
- (١١) هو عبد الملك بن النيسابوري أبي محمد . أعلم المؤرخين من أصحاب الداعية . توفي سنة ٤٧٨ هـ كما في الوفيات .

الحرمين أبي المعالي الجويني وهذه الطبقة لما جرى إلا الخير . ورأى فيمن أعرض عن الكتاب والسنة واشتغل بمقالات ابن سينا ومن نحأ نحوه ، وترك قول المسلمين : قال أبو بكر ، وقال عمر رضى الله تعالى عنهما وقال الشافعي ، وقال أبو حنيفة ، وقال الأشعري ، وقال القاضي أبو بكر ، إلى قوله : قال الشيخ الرئيس يعنى ابن سينا ، وقال خواجا^(١) نصير ، ونحو ذلك ، أن يضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق ، ويُنادى عليه : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة : واشتغل بأباطيل المبتدعين .

أوما يستحي من يتخذ أقوال ابن سينا وتعظيمه شعاراً — من الله تعالى إذا قرأ قوله تعالى : « يحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه » ويذكر إنكار ابن سينا لحشر الأجساد ، وجمع العظام .

ومهم — أعنى هؤلاء — فرقة ضمت إلى هذا القدر من الحكمة النظر في كتاب الكشف للمحشري في التفسير ، وقالت : نحن متشرعون وعارفون بتفسير كتاب الله تعالى . واعلم أن الكشف كتاب عظيم في بابه ، ومصنفه إمام في فنه^(٢) إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته ، يضع من قدر النبوة كثيراً ويسىء أدبه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما في كتابه الكشف^(٣) من ذلك كله . ولقد كان الشيخ الإمام يقرئه ، فلما^(٤) انتهى إلى الكلام^(٥) على قوله تعالى في سورة التكاور^(٦) (إنه لقول رسول كريم) الآية

(١) هو نصير الدين الطوسي ، السابق .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (وقته) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (كتاب الكشف) وفي ط (كشط ما في الكشف) .

(٤) كذا في ف ، ل . وفي ز ، ط (إذا انتهى) .

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (إلى كلامه) .

(٦) جرى المحشري في سورة التكاور عند قوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم ذي العرش مكين ، محتاج ثم أهين ، وما صاحكم بمعجون » على تفصيل جبريل عليه السلام على الرسول عليه الصلاة والسلام ، بناء على مذهبه الاعتزالي . وقد أسرف في قوله : « وناهيك بهذا دليلاً على جلاله مكان جبريل عليه السلام وفصله على الملائكة ، وما إية منرائته لمخله أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم =

أعرض عنه صفحا ، وكتب ورقة حسنة سَمَّاهَا « سبب الاكفاف » ، عن إقراء الكشاف ، وقال فيها : قد رأيت كلامه على قوله تعالى : عفا الله عنك ، وكلامه في سورة التحريم^(١) في الزلة^(٢) وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم . مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة . فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برز في جميع العلوم ، وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار : معقولا ومنقولا ، في حق هذا الكتاب الذي اتخذت الأعاجم قراءته^(٣) دَيْدَنَهَا . والقول عندنا فيه أنه لا ينبغي أن يُسمح بالنظر فيه إلا لمن صار على منهاج السنة لا تزحزحه شبهات القدرية .

ومنها فرقة تَرَقَّتْ^(٤) عن هذه الفرقة وقالت : لا بد من ضم علم الحديث إلى التفسير ، فكان قصارها النظر في « مشارق الأنوار » للصَّاغَانِي^(٥) . فإن تَرَفَّعت

== إذا وارت بين الذين فرس بينهما ، وفايت بين قوله : « إله لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين » وبين قوله « وما صاحبكم بمجنون » ، وهذا على تفسير « رسول كريم » بجبريل ، والآية تخمل غير ذلك . وعلى كل حال فقد كان يسع الزمخشري ألا يفتي قلمه هذا الجعي على مقام الرسالة السامى .

(١) ورد في أسباب نزول سورة التحريم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد حرم على نفسه جاريته مارية القبطية ، وفي بعض الروايات أنه حرم العسل ، فنزل قوله تعالى « يأبها الذي لم يحرم ما أحل الله لك » فكان من الزمخشري في هذا الوطن أن زلت قدمه ، فعمل فعل النبي عليه الصلاة والسلام زلة منه « لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ؛ لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل للحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله . فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة » وقد تعقبه صاحب الانتصاف بأن يحرم الحلال ضربان : اعتقاد حرمة ، وهذا لا يكون من مؤمن ، فضلا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والامتناع منه لبعض الأسباب . وهذا لا سىء فيه ؛ وهذا هو الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم . وزلت الآية تلطفا بالرسول عليه الصلاة والسلام ؛ كيلا يشق على نفسه في ترك بعض الحلال . فهذا حديث الزلة التي رل بها الزمخشري عفا الله عنه .

(٢) كذا في ف ، د وهامس ل . وفي ل ، ر (الزلة) .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط (دراسته في هذا الزمان) .

(٤) كذا في د . وفي ل ، ف ، ر (رقت) وفي ط (ترفعت) .

(٥) هو الحسن بن محمد اللغوى المشهور ، صاحب العباب ، وتكلمة الدعاج وعبرها سما ألقه في الأمانة . كات وفاته سنة ٦٥٠ هـ وانظر بنية الوعاة .

ارتقت إلى مصابيح البهوى^(١) ، وظلت أسها بهذا القدر تصل إلى درجة المحدثين . وما ذاك إلا لجهلها بالحديث فلو حفظ من ذكرناه هذين السكتابين عن ظهر قلب ، وضم إليهما من المتون مثلهما لم يكن محدثاً ، ولا يصير بذلك محدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط فإذا رامت بلوغ الغاية في الحديث — على زعمها — اشتغلت بجامع الأصول لابن الأثير^(٢) . وإن ضمت إليه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح^(٣) أو مختصره المسمى بالتقريب والتيسير للنووي^(٤) ونحو ذلك فيئذ^(٥) ينادى من انتهى إلى هذا المقام بمحدث المحدثين وبخارى العصر ، وما ناسب هذه الألفاظ الكاذبة . فإن من ذكرناه لا يُعدُّ محدثاً بهذا القدر ؛ إنما^(٦) المحدث من عرف الأسانيد^(٧) ، والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل ، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة^(٨) وسمع الكتب الستة^(٩) ومسند أحمد ابن حنبل وسنن البيهقي^(١٠) ، ودعجم الطبراني^(١١) ، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية . هذا أول درجاته . فإذا سمع ما ذكرناه ، وكتب

(١) هو الحافظ المحدث الحسين بن مسعود المعروف بابن القراء ، كان يقال له : محي السنة . كانت وفاته سنة ٥١٦ هـ . انظر المجوم الزاهرة .

(٢) هو المبارك بن محمد الخزرى ، وهو صاحب النهاية في غريب الحديث . توفي سنة ٦٠٦ هـ . انظر النجوم الزاهرة .

(٣) هو تقي الدين عثمان بن الصلاح الكردى . كانت وفاته سنة ٦٤٣ هـ . انظر المجوم الزاهرة .

(٤) هو شيخ الإسلام محيى بن شرف ، الفقيه الشافعى الحافظ الراهد . كانت وفاته سنة ٦٧٦ هـ . انظر شذرات الذهب ص ٣٥٤ ج ٥ .

(٥) فى ف ، د (وحيث) وفى ط (حيث) بدون واو والأنسب ما أثبتناه .

(٦) كذا فى ف ، د ، ز . وفى ل ، ط (وإنما) .

(٧) كذا فى كل النسخ ما عدا ف . ففيها (الأحاديث) .

(٨) كذا فى كل النسخ ما عدا د ففيها (مستكثرة من المتون) .

(٩) هى صحيح البخارى ومسلم ، وجامع الترمذى . وسنن أبى داود ، وسنن الدسائى ، وسنن ابن ماجه .

(١٠) هو الإمام العلم أبو بكر أحمد بن الحسين ، الشافعى الحافظ . وفاته سنة ٤٥٨ هـ . انظر الشذرات ص ٣٠٤ ج ٣ .

(١١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الحافظ الثقة . سببه إلى طبرية فى الشام . توفي سنة ٨٣٦٠ هـ . انظر الشذرات ص ٣٠ ج ٢ .

الطباق ، ودار على الشيوخ ، وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد كان في أول درجات المحدثين ، ثم يزيد الله من شاء ما شاء .

ومنهم فرقة ترفعت ، وقالت : نضم إلى الحديث الفقه ؛ وكان غايتها البحث في الحاوي الصغير لعبد الغفار^(١) القزويني ؛ والكتاب المذكور أعجوبة في بابه ، بالغ في الحسن أقصى الغايات ؛ إلا أن المرء لا يصير به فقيهاً ولو بلغ عنان السماء . وهذه الطائفة تضع في تفسيك ألفاظه ، وفهم معانيه^(٢) زماناً لو صرفته إلى حفظ نصوص الشافعي وكلام الأصحاب لحصلت على جانب عظيم من الفقه ، ولكن التوفيق بيد الله تعالى .

ومنهم طائفة صحيحة العقائد ، حسنة المعرفة للفروع ، إلا أنها لم ترع جانب الله حق الرعاية ، فكان عليها وبالأعلى عليها في الحقيقة ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشد^(٣) الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وعنه صلى الله عليه وسلم « أول ما^(٤) يُسعرُ يوم القيامة عالم فتندلق أقتابه^(٥) في النار فيدور فيها كما يدور الحمار رحاء فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا هذا ، ألسنت كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه ، وفي الحديث : « إن أشد^(٦) الناس حسرة^(٧) يوم القيامة رجلان : رجل علم علماً فيرى^(٨) غيره يدخل به الجنة

(١) هو الفقيه الشافعي العظيم . توفي سنة ٦٦٥ هـ وأبواب طبقات الشافعية ص ١١٨ ح ٥ .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدل ففيها (مغايرته) .

(٣) هذا الحديث ورد في الترغيب والترهيب عن الطبراني والبيهقي بلفظ « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه » .

(٤) كذا في ف ، وفي د ، ل (أول ، تسعر النار يوم القيامة رجل عالم) وفي ز (أول ما تسعر النار يوم القيامة رجل) وفي ط (أول ما يسعر النار يوم القيامة رجل عالم) .

(٥) كذا في النسخ ، عدا ز ففيها (فيندلق أسنانه) وهـ ، عدا د ففيها (فيندلق أقتابه) .

(٦) لم نلف على لفظ هذا الحديث . وفي الجامع الصغير حديث « أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طاب العلم في الدنيا فلم يملئه ، ورجل علم عال ، فانتفع به من سمعه . به دونه » وذكر أن هذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عن أس .

(٧) كذا في النسخ . عدا د ففيها (عذاباً) .

(٨) كذا في ف ، ل ، ط . وفي ر (مرأى غيره) . وفي د (مبرى وبرى غيره) .

لعمله به ، وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به ، ورجل جمع المال من غير وجهه ، وتركه لو ارثه ، فعمل به الخير ، فيرى غيره يدخل به الجنة وهو يدخل به النار) وكان الشيخ أبو إسحق^(١) الشيرازي يستعيز بالله من مثل هذا العلم حيث كان يقول : نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا ، ويلشد :

علمت ما حلل المولى وحرّمه فاعمل بعلمك إن العلم للعمل

وفي مثل هذه الطائفة يقول الشاعر^(٢) :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم !
تصف الدواء من السقام^(٣) لذى الضنى ومن الضنى — مذ كنت — أنت سقيم
ما زلت تلقح^(٤) بالرشاد عقولنا صفة^(٥) وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تقبل إن وعظت ، ويُقتدى بالقول منك ، وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأقى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فهذه الطائفة إذا واخذها الله تعالى فلا يلبغى أن تعتب وتقول : نحن^(٦)
أهل العلم : فإن صنيعها ليس بصنيع أهل العلم الذين هم أهل^(٧) العلم ، بل
هو لا كما قال الله تعالى « لا يعلمون » يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، فما قوبلوا
إلا بعدل من الله تعالى .

ومنهم طائفة لا تترك الفرائض ، ولكنها أحببت العلم والمناظرة وأن يقال :

-
- (١) هو الإمام إبراهيم بن محمد ، صاحب النبية والمهذب في فقه الشافعية . وفاته سنة ٤٧٦ هـ .
(٢) تنسب هذه الأبيات إلى أبي الأسود الدؤلي طالم بن عمرو . توفي سنة ٦٧ هـ كما في بعية الوعاة .
(٣) كذا في النسخ ما عدال ، ط ففهمسا (لدى السقام من الضنى) .
(٤) كذا في النسخ ما عدلا ط ففهمسا (وأراك تلقح) .
(٥) كذا في النسخ ما عدلا ط ففهمسا (أبدا) .
(٦) كذا في كل النسخ ما عدال . ط ففهمسا نحن من أهل العلم .
(٧) كذا في كل النسخ ما عدلا ط ففهمسا (نبيع أهل العلم بل هؤلاء) .

فلان اليوم فقيه البلد ، حباً اختلط بعظمها ولحمها ، فاستغرقت فيه أكثر أوقاتها ، واستهانت بالنوافل ، ونسيت القرآن بعد حفظه ، وشمخت بآنافها مع ذلك ، وقالت : نحن العلماء : وإذا قامت لصلاة الفريضة قامت أربعاً لا تذكر الله فيها إلا قليلاً ، مزجت ^(١) صلاتها بالفكر في باب الحيض ودقائق الجنيات . وربما جاء ليقول : إياك نعبد وإياك نستعين ، فسبق لسانه إلى ما هو مفكر فيه من جزئيات الفروع ، فمطرق ^(٢) به . ثم إذا سألت واحداً من هذه الطائفة : أصليت سنة الظهر ؟ قال لك : قال الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة [أو قلت ^(٣) له] أخشعت في صلاتك ؟ قال : ليس الخشوع من شرائط صحة الصلاة . أو قلت ^(٤) له : أنسيت القرآن ؟ قال لك : لم يقل إن نسيانه كبيرة إلا صاحب العدة ^(٥) ، وما الدليل على ذلك ؟ وأنا لم أنس الجميع ؛ فإني أحفظ الفاتحة ، وكثيراً من القرآن غيرها . فقل له : أيها الفقيه ، كلمة حق أريد بها باطل ؛ إن الشافعي لم يعن ما أردت ، ولعل كلامه تقرير لسانه له الآن ؛ ويخشى على من هذا شأنه المروق من الدين رأساً ^(٥) . أخبرنا الحافظ أبو العباس ابن المظفر بقراءتي عليه ، أنا أحمد بن هبة الله بن عساكر بقراءتي عليه ، أنا الإمام أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن عمر الصقار إجازة أخبرنا جدّي الإمام عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور بن الصقار . قال : سمعت جدّي يقول : سمعت الأستاذ أبا القاسم القشيري رحمه الله يقول : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : من استهان بأدب من آداب الإسلام

(١) كذا في النسخ ما عدا ز فيها (ومزجت) .

(٢) كذا في ف ، ل ، د ، وفي ز ، ط فينطني .

(٣) كذا في ط ولم تذكر هذه الجملة في ف ، د ، وكأن ذلك لفهمها من السياق .

(٤) كذا في معظم النسخ ، وفي نسخة على هامس ل : (العدة) . والعدة في فروع الشافعية .

لعبد الرحمن بن حسين الطبري المتوفى سنة ٥٣٠ هـ كما في طبقات الشافعية ص ٢٤٤ ج ٤ ؛ والعدة في هذه الفروع أيضاً لأبي بكر الشاشي الموفى سنة ٥٠٧ هـ .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ؛ ففيها (أصلاً) .

عوقب بحرمان السنّة ، ومن ترك سنّه عوقب بحرمان الفريضة ، ومن استهان بالفرائض قيّض الله له مبتدعا بوقع عنده باطلا فبوقع في قلبه شبهة . قلت : وبلغنا أن الإمام الغزالي أمّ مرة بأخيه أحمد في صلاة ، فقطع أخوه أحمد الاقتداء به ، فلما قضى الصلاة سأله الغزالي ، فقال : لأنك كنت متضمّخاً بدماء الحيض . ففكر الغزالي ، فذكر أنه عرّضت له في الصلاة فكرة في مسألة من مسائل الحيض . فانظر فهو لاء أهل الله الذين هم أعرف به منك أيها الفقيه ، قد عرفوك أن ما تعتمدونه يحرك إلى الكفر ، والعياذ بالله .

ومنهم فرقة سلّمت من جميع ما ذكرناه ، إلا أنها استهانت ببعض صفات الذنوب ؛ كالغيبة والاستهزاء^(١) بخلق الله تعالى ، ونحو^(٢) ذلك ، أو كان لها معصية ابتلاها الله بها ، فلم تستتر ، وقالت : علّنا يغطى معصيتنا^(٣) . وهذا جهل لا علم ؛ فالصغيرة تكبر من العالم ، فإن هو تجاهر بها ازداد أمرها . والمعصية مع العلم فرق المعصية مع الجهل من وجوه . وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بسِتْرِ الله » الحديث ؛ فالعالم أولى أن يستتر إن لم يرجع ، فإنه قدوة . ولذلك كان بعض العارفين لا يظهر لتلميذه إلا على أشرف أحواله ؛ خوفاً أن يقتدى به في سيئها ، أو يسوء ظنّه به فلا ينتفع به . فيلبغى للعالم الكف عن صغار المعاصي ، وكبارها . فإن هو لم يكف فلا أقل من التستر ؛ صيانة لمنصب العلم . وإلى هذا المعنى أشار الشيخ الجليل فتح الدين بن علي أبو منصور الدميّاطي فأنشد لنفسه :

أيها العالم إياك الزلل واحذر المفوة والخطب الجلل
هفوة العالم مستعظمة إذ بها أصبح في الخلق مثل
وعلى زلتفه عمدتهم فيها يحتج من أخطا وزل

(١) كذا في ف . ط . وفي ل . د (الاستهزاء) .

(٢) كذا في ف . وفي د (وغير ذلك) .

(٣) كذا في ف . وفي د (معصيتنا) .

لا نقل : يستر على زلتى بل بها يحصل فى العلم الخلل
 إن تكن عندك مستحقرة فهو عند الله والناس جهل
 ليس من يتبعه العالم فى كل مادف من الأمر وجل
 مثل من يدفع عنه جهله إن أنى فاحشة قيل : جهل
 انظر الأنجم : مهما سقطت من رآها وهى تهوى لم يُبَل
 فإذا الشمس بدت كاسفة وجل الخلق لها كل الوجل
 وتراءت نحوها أبصارهم فى ازعاج واضطراب ووجل
 وسرى النقص لهم من نقصها فغدت مظلمة منها السُبل
 وكذا العالم فى زلته يفتن العالم طرّاً ويضل

ومنها فرقة سلمت من ^(١) جميع ما ذكرناه ، إلا أنه غلب عليها الطعن فى
 أمة قد سلفت ، والاشتغال بعلماء قد مضوا . وغالب ما يؤتى هؤلاء من
 المخالفة فى العقائد ؛ فقل (أن ترى من ^(٢) الحنابلة) إلا ويضع من الأشاعرة .
 وهذا شيخنا الذهبى ^(٣) كان سيّد زمانه فى الحنظ مع الزرع والتقوى ، ومع
 ذلك يعمد إلى أئمة الإسلام من الأشاعرة ، فيظهر عليه من التعصب عليهم
 ما ينقر القلوب ، وإلى طائفة من المجسمة فيظهر عليه من نصرتهم ما يوجب
 سوء الظن به ؛ وما كان والله إلا تقيّاً نقيّاً ، ولكن حملة التعصب ، واعتقاده أن
 مخالفته على خطأ . وقل أن ترى أشعريّاً من الشافعية والحنفية والمالكية
 إلا ويبالغ فى الطعن على هؤلاء ، ويصرّح بتكفيرهم وإذا كان الأئمة
 المعتمدة ^(٤) كالشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد والأشعري على أن لا تكفر

(١) فى ل (عن) وهذا على تضييق (سلمت) معنى (تهرت) .

(٢) كذا فى ف . وفى ل ، ط ، د (هل أن ترى من قبل الحنابلة) وفى ر (هل من ترى
 من يميل إلى الحنابلة) .

(٣) هو الحافظ المحدث شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان . م . د . هـ ٧٤٨ هـ .

(٤) كذا فى كل النسخ ما عدل ، ففيها (المعتبرون) .

أحداً من أهل القبلة فلم هذا العصب ؟ وما لنا لا نسكت عن أقوام مصوا إلى ربهم ، ولم ندر على ماذا ماووا ؟ وإن يُبَد لنا أحد بدعته قابلهناه ، وأما الأموات فلم تنبش عظامهم ؟ هذا والله مالا ينبغي .

ومن الفقهاء فرقة متسلكة تجرى على ظواهر الشرع ، وتحسن امثال أوامر الله تعالى ، واجتناب مناهيه ^(١) : إلا أنها نهزأ بالفقراء ، وأهل النصوف ، ولا تعتقد فيهم شيئاً ، ويعيبون عليهم السماع ، وأموراً كثيرة . والسماعُ قد عُرِف اختلاف الناس فيه . وتلك الأمور قلَّ أن يفهمها من يعيها . والواجب تسليم أحوال القوم إليهم . وإنا لا نؤاخذ أحداً إلاً بجريرة ظاهرة : ومتى أمكننا تأويل كلامهم ، وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك ؛ لا سيما من عرفناه منهم بالخير ، ولزوم الطريقة . ثم إن بدرت لفظة من غلطة ، أو سقطت ، فإنها عندنا لا تهدم ما مضى . وهذه الطائفة من الفقهاء ، التي تنكر على المتصوفة ، مثلها مثل الطائفة من الترك ، التي تنكر على الفقهاء . وقد جرّبنا فلم نجد فقيهاً ينكر على الصوفية ، إلاً ويهلكه الله تعالى ، وتكون عاقبته وخيمة ، ولا وجدنا تركياً يهزأ بالفقهاء إلاً ويهلكه الله تعالى ، وتكون عاقبته شديدة . فسييل هذه الطائفة التوبة إلى الله تعالى ، وحسن الظن بخلق الله تعالى ؛ لا سيما من انقطع إلى الله ، واعتكف على عبادته ، ورفض الدنيا وراء ظهره . هذا علاج داء هذه الطائفة ، وما أظنهم يبرءون ؛ فإنني جرّبت فوجدت القلوب منقسمة إلى قابل للصالح وطريق الفقر ^(٢) وذلك تراء منقاداً لطريق الفقراء معتقداً من غير تعليم — وغير قابلة ، ولا تراها تنقاد ؛ وإن انقادت في الظاهر لم يفدها الانقياد ؛ لأن هؤلاء القوم لا يعاملون بالظواهر ولا يفيد معهم إلا الباطن ومحض الصفاء ؛ وهم أهل الله تعالى ، وخاصته نفعتنا الله بهم . وأكثر من يقع فيهم لا يفلح .

(١) في ل (نوايه) .

(٢) كذا في كل الأصول ما عدل ، فيها (الفقراء) .

ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث ، وحملت دأبها السماع على المشايخ ، ومعرفة العالى من المسموع ، والنازل . وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة ؛ إلا أن كثيراً منهم يُجهِد نفسه في تهجى الأسماء والمتون ، وكثرة السماع من غير فهم لما يقرؤه ، ولا تتعلّق فكرته بأكثر من أنى حصلت جزء ابن عرفة عن سبعين شيخاً ، جزء الأنصارى عن كذا كذا شيخاً ، جزء ابن الفيل ، جزء البطاقة ، نسخة أبى مُسهر^(١) . وأنحاء ذلك . وإنما كان السلف يسمعون فيعون^(٢) فيرحلون فيقرءون فيحفظون^(٣) فيعلمون^(٤) . ورأيت من كلام شيخنا الذهبي في وصيته لبعض المحدثين في^(٥) هذه الطائفة : لاحظ واحد من هؤلاء إلا أن يسمع ليروى^(٦) فقط ، فليُعاقَبَنَّ بنقيض قصده ، وليشهرنه الله تعالى بعد أن ستره مرات ، وليبقي مضغة في الألسن ، وعبرة بين المحدثين ، ثم كيّطبعنَّ الله على قلبه . ثم قال : فهل يكون طالب من طلاب السنّة يتهاون بالصّلوات ، أو يتعانى تلك القاذورات ! وأنحس^(٧) منه محدث يكذب في حديثه ، ويختلق الفُشَار^(٨) . فإن ترقّت همته الفتية^(٩) إلى الكذب في النقل والتزوير في الطباق ، فقد استراح . وإن تعانى سرقة الأجزاء أو كشط الأوقاف فهذا لصٌ بسمت^(١٠) محدث . فإن كمل نفسه بتلوط أو قياده^(١١) .

(١) كذا في النسخ ما عدل ففيها (بمسهر) .

(٢) كذا في النسخ . وفي ل (يسمعون فيفهمون : ورحلون فيفسرون ومحفظون) .

(٣) كذا في د . وفي ف : (ويحفظون) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (فيعلمون) .

(٥) كذا في النسخ . والمناسب (من) .

(٦) كذا في النسخ كلها ما عدا ط ففيها (فيروى) .

(٧) كذا في د ، وط . وفي ل ، ف ، ز (أنحس) .

(٨) هو الهذيان . وهذه الكلمة لم ترد في كلام العرب .

(٩) كذا في ف . وفي د ، ل (المقيمة) وفي ط (المهيأة) وفي ز (المعنة) .

(١٠) كذا في ف ، د ، ل وفي ز (بسمة) وفي ط (لس محدث) .

(١١) كذا في النسخ كلها ما عدا ز ففيها (بتلوط اعتاده) .

فقد تمت له الإفادة . وإن استعمل من العلوم قسطاً ، فقد ازداد مهارةً وخَبَاطاً .
إلى أن قال : فهل في مثل هذا الضرب حير إلا كثر الله منهم . انتهى . ولبعضهم :
إن الذي يروى ولكنه يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تنبع^(١) أمواها^(٢) تسقى الأراضى وهى لا تشرب
وقال بعض الظرفاء فى الواحد من هذه الطائفة : إنه قليل المعرفة والخبرة
يمشى ومعه أوراق ومجبرة ؛ معه^(٣) أجزاء يدور بها على شيخ وعجوز ،
لا يعرف ما يجوز ثماً^(٤) لا يجوز . وقال^(٥) :

ومحدث قد صار غاية علمه أجزاء يرويها عن الدمياطى
وفلانة تروى حديثاً عالياً وفلان يروى ذاك عن أسباط
والفرق بين عزيرهم وعزيرهم^(٦) وافصح عن الحياط والحناط^(٧)
وأبو فلان ما اسمه ومن الذى بين الأمام ملفف بسناط^(٨)؟
وعلم دين الله نادت جهرة : هذا زمان فيه طى بساطى

ومن العلماء طائفة استغرق حب النحو واللغة قلبها ، وملا فكرها ، فأدّاها
إلى التعمّر فى الألفاظ ، وملازمة حوشى اللغة ، بحيث خاطب^(٩) به من لا يفهمه .
ونحن لا ننكر أن الفصاحة فن مطلوب ، واستعمال غريب اللغة عزيز .

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فيها (تنبع) .

(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا د فيها (أفواها) .

(٣) كذا فى د ، ف ، وفى ط (ومعه) .

(٤) كذا فى ف ، د ، ز ، وفى ط (يجوز وما لا يجوز) .

(٥) كذا فى د ، وفى هامش ل (وقيل فى ذلك) .

(٦) كذا فى د ، وفى ف (عزيرهم وغزيرهم) وفى ل (عزيرهم وعزيرهم) وفى ز (عزيرهم
وعزيرهم) وفى ط (عزيرهم وغزيرهم) بفتح الغين من غزيرهم .

(٧) كذا فى ف ، ل . وفى ز (الحياط والحياط) وفى ط (الحياط والحياط) وفى د
(الحياط والحياطى) .

(٨) كذا فى ز ، د ، ف ، وفى ل ، ط (سباط) .

(٩) كذا فى ف ، د ، وفى ط (خاطبت) ، وقوله خاطب أى الفرد منها .

حسنًا ولكن^(١) إمع أهله ومن يفهمه ؛ كما حكى أن أبا عمرو بن العلاء قصد طالب ليقرأ عليه فصادفه بكلاء^(٢) البصرة ، وهو مع العامة يتكلم بكلامهم ؛ لا يُفرق بينه وبينهم . فنقص من عينه . ثم لما نجح شغل أبي عمرو بما هو فيه تبعه الرجل إلى أن دخل الجامع ، فأخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان فعظم في عينه ، وعلم أنه كلَّم كل طائفة بما يناسبها من الألفاظ . وهذا^(٣) هو الصواب ؛ فإن كل أحد يُكلَّم على قدر فهمه ، ومن اجتنب اللحن ، وارتكب العالى من اللغة والغريب منها ، وتكلم بذلك مع كل أحد عن قصد فهو ناقض العقل . وربما أُتِيَ بعض هذه الطائفة من ملازمة هذا الفن ؛ بحيث اختلط بلحمهم ودمهم ، فسبق لسانهم إليه ، وإن كانوا يخاطبون من لا يفهمه ؛ كما أخبرنا أحمد بن علي الجزري^(٤) إذنا ، عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ أبي طاهر السلفي ، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا عبد الكريم ابن محمد المحاملي ، أنا إسماعيل بن سعد المعدل ، ثنا محمد بن أحمد بن قطر^(٥) السمسار ، قال : قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الوراق : ازدحموا على عيسى^(٦) بن عمر النحوي ، وقد سقط عن حمارة ، وغشي عليه . فلما أفاق ، وأخذ في الاستواء للجلوس ، قال : ما لكم تكأ كأتهم عليّ ، ولا تكأ كؤكم على ذي جنة ، افرقعوا عني . تكأ كأتهم : تجهعتم . وافرقعوا : تنجّوا ببلغة أهل اليمن . فهذا الرجل كان إماماً في اللغة ، وكانت هذه الحالة منه لا تقتضي أنه يقصد هذه الألفاظ ، بل هي دأبه ، فسبق لسانه إليها ، وحكى أنه لما ولي

(١) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ لم يذكر لفظ (ولكن) .

(٢) الكلاء : مرفأ السفن وموضع بالبصرة -- القاموس .

(٣) كذا في ف . وفي باقي النسخ (فهذا) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ط فقيها (الحريري) .

(٥) كذا في ف ، ل ، ط . وفي ز ، د (قطن) .

(٦) هو الإمام في النحو ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ؛ وكان يقرر في كلامه .

يوسف بن عمر العراقي أخذ عيسى بن عمر النحوي فطالبه^(١) بوديعة ذكر أن ابن هبيرة الوزير أودعه إياها ، فأمر بضربه ، فقال ، والسياط تأخذه : والله إن كانت إلا أثياباً^(٢) في أسيفاط^(٣) ، قبضها عشاروك . ولعيسى بن عمر من هذا النمط كثير . وحكى أن علي بن الهيثم^(٤) كان لما غلب عليه من ذلك تأتبه العامة أفواجاً لسماع كلامه ، وأنه مرّ به مرّة فارسي قد ركب حماراً^(٥) خلفه جحش ، ويده عذق قد ذهب بُسرُه إلا قليلاً ، يقود به بقرة يتبعها عجّل لها ، فناداه علي بن الهيثم : يا صاحب البَيْدَانَةِ القمراء ، يتلوها تواب بيده شملول ، يطّي به خَزُومَة يقفوها عَجَّول ، أتقايض بعجولك جُحْجُجاً زهما ؟ قال : فالتفت إليه الفارسي ، وقال : يا بابا فارسي هم ندانم . البيدانة : الأتان ، والقمراء : البيضاء الوجه ، والتّولب : ولد الحمار ، والشملول : العذق ويطي : يدعو ، والخزومة : البقرة الوحشية ، والجُحْجُج : الكبش ، والزهم السمين . فهذا علي بن الهيثم إن لم يكن قصد المؤانسة لبعض الحاضرين ، ولم تكن ندرت^(٦) منه هذه الألفاظ عن غير قصد ، فهو خَسِيف^(٧) العقل . ولا ينكر أنهم يأتون بالألفاظ الغريبة^(٨) لكثرة استعمالهم لها ، وغلبتها على ألسنتهم ؛ ظناً منهم أن كل أحد يعرفها ، وإلا فكيف يذكرونها في وقت لا يظهر فيه لاستعمالها سبب غير ذلك ؛ كما سقناه ، وكما يحكى أن أبا علقمة الواسطي عرض له مرض شديد ، فأناه أعين الطبيب ، فسأله عن سبب^(٩)

(١) كذا في د ، ط . وفي ف لم تذكر لفظة (فطالبه) .

(٢) أثياب تصغير أثواب ، وأسيفاط تصغير أسفاط جمع سيفط ، وهو الظرف للشيء كالجوالق والغنة .

(٣) كذا في ط ، ل . وفي د ، ف (أن عيسى بن عمر) وكان علي بن الهيثم من الكتاب كتب في ديوان المأمون وغيره . وكان كثير الاستعمال لعويس اللغة . وانظر بغية الوعاة .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (حمارة خلفها جحش) .

(٥) كذا في ط ، ل . وفي ف (بدون نعط) وفي د (بدرت) .

(٦) في ل (سخيف) .

(٧) كذا في ط . وفي ف ، د بدون لفظة (الغريبة) .

(٨) كذا في ف ، ط . وفي د (عن علته) .

علمته ، فقال : أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطسئت طسأة ، فأصابني وجمع بين الوابلة إلى ذاية العنق ، فما زال يتمم أي ويتنمى ، حتى خالط الخلب ، وتأملت له الشراسيف . فقال له أعين الطبيب : خذ شرفقا وشرفقا ؛ فزهرقه ، ودقده . فقال أبو علقمة : أعدلى ؛ فإنى ما فهمت . فقال الطبيب : قبح الله تعالى أقلنا إلهاما لصاحبه . الجوازل : فراخ الحمام ، الواحد جَوَزَل ، والطسأة : الهَيْضَة ، والوابلة : طرف الكتف ، وهو رأس العضد . وذَايَة العنق : فقارها ، ويتمم أي . يتمدد ، ويتنمى : يتزايد ، والخلب بالكسر : حجاب القلب ، ويقال : مضغة فوق الكبد . والشراسيف : غضاريف متصلة بالأضلاع . وحكى ابن دريد^(١) أن الأصمعي ذكر^(٢) أن رجلا مشجوجا جاء إلى صاحب الشرطة فشكا إليه^(٣) أن امرأ شجّه . فأمر بإحضاره فلما حضر سئل ، فأنكر . فقال المشجوج : لى أعرابى بالسوق يشهد لى . فلما حضر الأعرابى سئل ، فقال : بينا أنا على كَوْدَن يُضْمَزْنى ، إذ مررت بوصيد دار ، فإذا أنا بهذا الأخيشب ، يدع هذا دعّا متراسفا ، فعلاه بمسأته ، فقهر ثم بدّره بمثلها فقطر ، ثم أدبر ، وبرأسه جديع يُشج نجيعا^(٤) على كتفه فقال صاحب الشرطة : شجّى وأعفى من سماع شهادة هذا الأعرابى [قوله^(٥)] : الكَوْدَن : البرذون . يضمزنى : يحركى . الوَصِيد : الباب . الدُع : الدفع المسأة : العصا ، الأخيشب : تصغير الأخشب ، وهو الغليظ . قهقر : رجع القهقرى . قطره : ألقاه على أحد قُطْرِيه ، وهما جانباه الشجّ الصب . النجيج : الدم . الكَتِيد : ما بين السكاهل إلى الظهر ، وهو بُعِيد مغرز العنق^(٦) .

(١) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ر (ابن دريد) .

(٢) كذا فى ف ، د . وفى ط (قال) .

(٣) كذا فى ط . وفى ف ، د (مشكا أن امرا) بدون نقطه (لايه) .

(٤) فى د (يسبح نجيعا على كتفه) . وفى ل (شج نجيعا على كتفه) .

(٥) كذا فى ط وقد سقطت فى باقى النسخ .

(٦) رك مسير الحديد ، وهو مصغر جديع أى جرح وشق .

وذكر الزبير بن بكار أن بعض المتفكرين كتب إلى وكيل له بناحية البصرة : احمِل إلينا من الخوزج^(١) والكنعد الممقورين^(٢) والأوز الممهوج^(٣) ولحم مها البيد ما يصلح للتشهير^(٤) والقديد . فكتب إليه وكيله : إن لم تكف عن هذا الكلام بارت قريبك : فإن الفلاحين ينسبون من ينطق بهذه الألفاظ إلى الجنون .

الكنعد : ضرب من سمك البحر ، والسرارة : اليبس . وحكى أن لصاً أراد فتح باب نحوى ، فأحست به الجارية ، فقالت لسيدها ، فاطلع عليه ، وناداه : أيها الطارق ، ما الذى أولعك بنا ؟ ! إن أردت المال فعليك بابن الجصاص ، وفلان وفلان ، أقواماً^(٥) ذوى مال . وإن أردت الجاه فعليك بالقضاة . وإن أردت الكتابة فعليك بفلان ، وفلان ، أقواماً يكتبون . وإن أردت اللغة والنحو فعليك بى . وإن كنت تبغى القرى فليج الدار ، وادخل الميخدع ، وأصيب من الزاد ما يمسك حشاشة رَمَقك . فرفع اللص رأسه ، وقال : لو كانت الجنة دارك ما دخلتها . وحكى أن طبيباً دخل إلى نحوى مريض ، فقال : ما كان أكلك أمس ؟ فقال أكلت لحم عَطُط وساقة^(٦) خِرْتَق ، وجؤجؤ حَيْقَطَان^(٧) اقتنصه بازى . فلما كان فى الدجى أصبت منه معمة^(٨) فى الحشا ، وقرقرة فى المعى ، فمال الطبيب للحاضرين : هذه خفة ارتفعت إلى الدماغ ، فأصلحوا الغذاء له قبل أن يُجن^(٩) . العَطُط . الجدى ، الخِرْتَق :

(١) كذا فى ط ، ف ، د ، ز . وفى ل (الحورة) ويبدو أن هذا محرف عن الجرى أو الجربث وهو ضرب من السمك .

(٢) كذا فى ل ، ف . وفى ط المهورين ؛ وفى د المهورس . والممقور : الممقوع فى الحل .

(٣) هو المسترخى البطن .

(٤) كذا فى ل . وفى ف ، د : (للتشهير) وفى ط (للسرور) .

(٥) منصوب بفعل محذوف .

(٦) كذا فى ل ، ط . وفى ف : (ساقة) . وفى د (سافة) بدون نقط .

(٧) فى ل : حَيْقَطَان . والصواب : أثبتناه .

(٨) كذا فى د ، ل ، ط . وفى ف (معمة) .

(٩) كذا فى ف ، د . وفى ط (محف) .

ولد الأرنب ، الجؤجؤ : الصدر . الحَيِّقُطَان : بالطاء المهملة : الدُرَّاج الذكر .
 وحكى أبو القاسم الراغب ، قال : ابتاع تلميذ ليعقوب بن إسحق
 الكِنْدِيَّ جارية ، فاعتاصت^(١) عليه ، فشكا حالها إلى يعقوب فقال له : جئني
 بها . قال فلما حضرت عنده قال لها : يا هذه^(٢) اللغوبة : ما هذه الاختيارات^(٣)
 الدالات على الجهالات ؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات ، من الموقوفات على
 طالبي المودات ، مؤذونات بعدم المعقولات ! فقالت الجارية حيّاها الله وبيّاها :
 أما علمت أن هذه العشونات^(٤) المنتشرات على صدور ذوى الرقاعات محتاجات
 إلى المواصي الحالقات ! فقال يعقوب : لله درّها ! لقد قسمت الكلام تقسيماً .
 واعلم أن الحكايات في هذا الباب تخرج عن حد الحصر ، وتقتضي الخروج
 من الجِدِّ إلى ضرب من الهزل والحاصل أن ما كان الحامل عليه غلبة^(٥)
 هذه الصناعة مذموم من جهة أن ذا الصناعة كان يذبح أن يقوم قلبه^(٦) ودينه
 قبل أن يقوم ألفاظه . فاللحن في اللفظ ولا اللحن في الدين . وقد غلب على
 كل ذوى فنّ فنّهم ، بحيث سأل بعضهم أبا طاهر الزيادي^(٧) وهو في النزاع عن
 ضمان الدرك^(٨) . وحكاية أبي زرعة فبمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل
 الجنة شهيرة ، وأنه سئل وهو في النزاع عن هذا الحديث فسأقه بإسناده إلى أن
 وصل إلى لا إله إلا الله ، ومات قبل أن يقول : دخل الجنة . فلقد^(٩) نفعه

-
- (١) كذا في د . وفي هامش ل (فاغتاضت) وفي غيرها (فاغتاضت) .
 (٢) كذا في ف . وفي د (قال لها يالعونة) بإسقاط هذه ، وفي ط (يالعونة) بإسقاط هذه أيضاً .
 (٣) كذا في ف . وفي د (الاختيارات) وفي ط (الإخبارات) .
 (٤) كذا في محاضرات الراغب . وفي ف ، د العشوبات ومراد بالعشونات والقشوبات الشعر
 في البدن وإن كان العشون في الأصل لشعر اللحية .
 (٥) كذا في ف ، د . وفي ط سقطت لفظة (غلبة) .
 (٦) كذا في د ، ز ، ط . وفي ف نفسه .
 (٧) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ص ٨٢ ج ٣ ، والقصة فيها أنه سئل عن ضمان الدرك وهو
 في النزاع ، فقال : إن قبض الثمن فيصبح ، وإلا فلا يصبح . قال : لأنه بعد قبض الثمن يكون ضمان
 ما وجب . قال ابن السكّي عقب هذا : وهذا هو الصحيح في المذهب .
 (٨) هو أن يضم الثمن للمشتري مثلاً إذا خرج مقابله مستحقاً أو معيماً ورد .
 (٩) كذا في د ، ط . وفي ف بسقوط لفظ (فلقد) .

الله تعالى بعلم الحديث وحكى أن دباغاً كان آخر كلامه بعد أن رُدَّ عليه لفظ الشهادة مراراً ، كلاماً يتداوله الدباغون ؛ وبعض الأمراء كان آخر كلامه : هاتوا القباء الفلاني ؛ ومن أكثر من شيء ظهر على فلتات لسانه ، وكل إناء بالذى فيه ينضح . سمعت صاحبنا الشيخ تاج الدين^(١) المراكشي رحمه الله تعالى ، يحكى عن الشيخ ركن الدين بن القوبع^(٢) أن شحاذاً سأله وهو في الطريق ، فأجابه : يفتح الله . فقال : يا شيخ قد فتح الله تعالى عليك ، إذا جادت الدنيا عليك فجد بها . فوقف ابن القوبع ، فقال : ولم قلت : إنها جادت علي ! وإن سللنا أنها جادت فلم قلت : إنه يجب علي^(٣) الجود بها ! وإن سللنا أنه يجب فلم قلت : إني ما جدت ، وما انحصرت القسمة فيك . فهذا ابن القوبع غلبت عليه المناظرة ، فاستعملها مع حرفوش لا يدري ما يقال له . وكذلك حكى لنا بعض مشايخنا عن الشيخ العلامة صفي الدين^(٤) الهندي إمام المتكلمين في عصره أنه جاءه حبل زيت ، فأمسكه المكاسون في الطريق على المكس ، فكتب إليهم كتاباً يتعجب من ذكره ، مشتملاً على أنواع الجدل والسب والتقسيم . وأما ما كان الحامل عليه مجرد التقعر في اللفظ فهو رُعونة . وقد كتب الإمام أبو عمرو^(٥) بن دحية إلى السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر يهنئه بعافيته من مرض أصابه كتاباً كله من هذا النمط . ومنهم من شغل نفسه بالألفاظ ، وأعرض عن

-
- (١) هو محمد بن إبراهيم ، توفي سنة ٧٥٢ هـ وانظر ترجمته في طبقات انشافية ص ٢٣٣ ج ٥ .
(٢) هو محمد بن عبد الرحمن التوسي المالكي . حضر البلاد المصرية وأقام بها واشتغل عليه خلق كثير . وله ترجمة واسعة في الدرر الكامنة ص ١٨١ ج ٤ . ومن كلام ابن حجر : « والقوبع على الألسنة بضم القاف . ونقل ابن رافع عنه أنه قال : إنه بفتح القاف ، وذكر عن بعض المغاربة أن القوبع طائر » نعوذ : وهو كذلك في القاموس .
(٣) كذا في ط ، د ، وفي ف (يجب الجود على بها) .
(٤) هو محمد بن عبد الرحيم ، المسمك على مذهب الأسعري . توفي بدمشق سنة ٧١٥ هـ . وانظر ترجمته في طبقات الشافعية ص ٢٤٠ ج ٥ .
(٥) هو عثمان بن الحسن السبتي . ولي مشيخة الكاملية بعد أخيه . وكانت وفاته سنة ٦٣٤ هـ وانظر الشذرات ص ١٦٨ ج ٥ .

معانيها، بحيث انتهى به الحال إلى ضرب غريب من الخطأ. قال أبو حيَّان التوحيدى:
إياك أن تقيس اللغة؛ فإنى^(١) رأيت نبيها من الناس وقد سئل عن قوم، فقال:
هم خروج. فقيل: ما تريد بهذا؟ فقال قد خرجوا. فكانه أراد: خارجون.
فقيل: هذا ما سمع. قال: كما قال الله تعالى: «إذ هم عليها قعود»، أى قاعدون
فَضَحِكَ به. وسئل أبو الفرج البغدادي: هل يقال لعارف اللغة: لغوى بفتح
اللام أو ضمها؟ فقال: بفتحها: أما سمعتم قوله تعالى^(٢) «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
فَضَحِكُوا مِنْهُ». وأعرب بعضهم قوله تعالى: «قِيَمًا» من قوله: «ولم يجعل له
عوجاً قِيَمًا، صفةً لعوجاً، وهذه غفلة. كيف يكون الْمُعَوَّجُ قِيَمًا! وإنما «قِيَمًا»
حال من محذوف. أى أنزله قِيَمًا أو من الكتاب. وذكر آخرون أن قوله:
«أَنْ نَفْعَلْ» من قوله تعالى «يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا
أو أن نفعَل في أموالنا ما نشاء» معطوف على أن نترك. وذلك باطل؛ لأنه لم
يأمرهم أن يفعلوا ما يشاءون، وإنما هو عطف على ما هو معمول للترك.
والمعنى: أن نترك أن نفعَل. وقال بعضهم في قوله تعالى «يحسبهم الجاهل
أغنياء من التعفف» إن «من» متعلقة بأغنياء، وهو فاسد، لأنه متى ظنهم ظاناً
أغنياء من التعفف علم أنهم فقراء من المال، فلا يكون جاهلاً بجاهلهم، وإنما
هى متعلقة بحسب وهى للتعليل. وقال بعضهم في قول الشاعر:

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

هذا لحن: فأين فعلاً لما؟ وعلام نصب الله؟ ولأى شيء فتح^(٣) الدال
من عبد؟ وجوابه: أنه لم يتأمل، أما عبد فترخيم عبدة. وأما الله فنصب على
الإغراء. وأما فعلاً لما: سقاؤنا مرفوع بفعل محذوف فسر به بقوله: وهى

(١) كذا في ف. وفي د (فلقد رأيت).

(٢) كذا في ف. وفي د زيادة (لموسى عليه السلام).

(٣) المعروف في كتب النحو أن (عبد) مكسور الدال وهو مضاف إلى لفظ الحلالة. وهذا البيت أورده الأشموني في الإضافة، ولم يذكر فتح الدال كما ذكر المؤلف.

أى ضعف . والجواب محذوف تقديره : قلت ، بدليل قوله : أقول . وقوله :
شَمُ فعل أمر من قولك شَمَّت البرق إذا نظرت إليه . والمعنى أقول لما سقط
سقاؤنا ، ونحن بوادى عبد شمس ، قلت لعبدة احذر الله شَم البرق . وقريب
من هذا البيت قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما لقيته ونحن على جنب الظُّبا والقناطر
القنا : الرماح . وطر : فعل أمر من الطيران . ونظير هذين البيتين
فى الإلغاز :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا برّديه ، تصادفيه سخينا
يقال كيف تبرده ، فتصادفه سخينا ! وهذه غفلة ؛ والأصل : بل رِدِّيه .
ثم كتب جملة واحدة لأجل الإلغاز . وقول الشاعر :

لما رأيت أبا يزيد مقاتلا أدع القتال وأشهد الهيجاء
يقال : أين جواب لما ؟ وبم انتصب أدع ؟ وهذه غفلة ؛ فالأصل :
لن ما ، أدغمت النون فى الميم للتقارب ، ووصلا فى الخط ، وحقهما أن يكتبا
منفصلين . وأما انتصابُ أدع فبَلَنُ ، وما الظرفية وصلتها ظرف له ، فاصل
بينه وبين ان للضرورة . فيسأل حينئذ : كيف يجتمع قوله : لن أدع القتال
مع قوله : ان أشهد الهيجاء ، والهيجاء مُشتَجَر الحرب ؟ والجواب أن أشهد
ليس معطوفا على أدع بل نصبه بأن مضمرة وأن والفعل عَطْف على القتال ،
أى ان أدع القتال وشهود الهيجاء ؛ على حد قول الشاعر :

ولبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ إلى من لبس الشُّفوف
وقول الشاعر :

ويح من لام عاشقا فى هواه ! إن لومَ المحب كالإغراء
يقال : كيف ارتفع الإغراء بعد كاف التشبيه ؟ والجواب : أن الكاف
ضمير المخاطب ، متصلة بالمحب ، والألف واللام فى المحب بمعنى الذى أحب ،

والأغراء خبر إن . والمعنى إن لوم المحبك هو الإغراء ، وحق الكاف أن
توصل في الخط بالمحب ، ولكن فصلت للأغز . وقول الشاعر :

يا صاحب ملك الفؤاد عشية زار الحبيب بها خليل نأى
لما بدا لم أدر : بدر دُجَّة أم وجه من أهواه طرفي رأى

يقال كيف جرَّ صاحب وهو منادى مفرد ؟ وجوابه أنه يا صاحب مرخم ،
و « ين » فعل أمر من بان يبين إذا فارق ، وكتبت هكذا على نحو صاحب لأجل
الإلغاز . ويقال : علام نصب بدر من قوله : بدر دجنة ، وما قبل الاستفهام
لا يعمل فيه ؟ وجوابه أنه منصوب براء . والمعنى : لم أدر ^(١) طرفي رأى
بدر دجنة أم وجه من أهواه . وقول الشاعر :

لا تقنطنَ وكن في الله محتسبا فيينا أنت ذا ^(٢) يأس أنى الفرجا

الفرج مفعول ، العامل فيه اسم الفاعل وهو محتسب . والمعنى : وكن في
الله محتسبا الفرج ، فيينا أنت ذا ^(٢) يأس أنى . وقال العباس بن مرداس :
ومن قبلُ آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبلَ محمداً

قال لى مرة طالب نحوى : كيف نصب محمدأ وهو مضاف إليه ؟ فقلت
له : قبل أن أجيبك أسألك : هل صلى المسلمون قط لمحمد صلى الله عليه وسلم
أو لربه تعالى ؟ فقال : بل لربه تعالى . فقلت : ففكر : فإن أحداً لم يصل قط
للنبي صلى الله عليه وسلم لا قبل الأوثان ولا بعدها . والجواب أن آمنا في
البيت معناه : صدقنا ، ومحمدأ مفعول آمنا ، أى ومن قبل صدقنا محمدأ ، وقد كان
قومنا يصلون للأوثان قبل ؛ وقبل مقطوعة عن الإضافة بنيت ^(٣) على الفتح ،

(١) كذا في الأصول . وقد يكون الأصل : أطرفى . أو ورد هذا بحذف همزة الاستفهام

مع نينها .

(٢) كذا بالنصب ، ولا وجه له . وقد يكون الأصل : ذو يأس .

(٣) كذا . والمعروف في النحو أن هذه فتحة نصب لا بناء ، وأن المضاف إليه حذف مع

نية لفظه ومعناه .

وهي لغة ؛ واللغة العالية بناؤها على الضم . وقيل : أراد النكرة ، أى قبلا ، ثم حذف التنوين مضطراً . وقال الآخر :

فرعون مالى وهامان الالى زعموا أنى بخلت بما يعطيه قاروما
(فر) فعل أمر من وقر له العطية : ومنه عطاء موفور . وعونة : امرأة رتحها ، فقال : عون . والمعنى : أعط عونة مالى . وأما وها فدعاء من وهى ، يهى إذا ضعف . ومان^(١) جمع مائة : البطن وهى أسفل الشرة . يقول ضعف مان الذين زعموا أنى بخلت . وقارون : المفعول الثانى ليعطيه ، والاول : الهاء العائدة إلى ما الموصولة وفاعل يعطيه مضمير للعلم به كأنه قال : يعطيه الله قارون . واعلم أن هذا بحر لا ساحل له وقد نظمت^(٢) أبياتا فى أنواع من العلوم منها :

من قال : إن الزنى والشرب مصلحة ولم يقل : هو ذنب غير مغتفر ؟
من قال : سفك دماء المسلمين على الصلاة أوجبته الرحمن فى الزبر ؟^(٣)
من قال : إن نكاح الام يقرب من تقوى الإله مقالا غير مبتكر ؟^(٤)
من كان والدها ابنا فى الأنام لها وذلك غير عجيب عند ذى النظر ؟
من الفتاة لها زوجان ما برحا تزوجت ثالثاً حلاً بلا نكر ؟
من أبصرت فى دمشق عينه صنما مصوراً وهو منحوت من الحجر ؟
إن جاع يأكل وإن يشرب تضلع من ماء نمر زلال ثم منهمر^(٥)
ولو أخذنا فى الإكثار من هذا وشرحه لخرجنا عما نحن بصدد . والغرض أن هذه الطائفة راعت الألفاظ ، فأتييت من قبل المعانى ، كما راعت طائفة المعانى ، فأتييت من قبل الألفاظ . ألا ترى إلى قول بعضهم فى « ثمود » فما أبقي ، إن (ثمود) مفعول مقدّم ، وهذا خطأ ؛ فإن لما النافية الصدر

(١) ومان ومائة مخففاً مأن ومائة كما يقال راس فى رأس ، وهو لمبدال قياسى .

(٢) كذا فى نسخة فى هامش ل . وفى سائر الأصول : نظمت .

(٣) كذا فى ف ، ل ، ز . وفى د ، ط (الزمر) .

(٤) كذا فى النسخ ما عدا د وهى (متكرر) .

(٥) أورد المؤلف فى الضعفات سبع هذه الأبيات وزاد عليها فى ص ٢٢٩ ج د .

ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها . وقال بعضهم في « قليلا ما يؤمنون » إن ما بمعنى مَنْ ، ولو كان كذلك لرفع قليل على أنه خبر . والأمثلة في هذا أكثر من الأول . ومنهم من تعمق في الأدب ، فصار أكثر كلامه مسجوعا ، ثم انتهى الحال به إلى أن وقع في الكنيف فجاءوه بكثافين . فكلّله أحدهما لينظر : أهو حيٌّ ؟ فقال : اطلب إلى حبلا دقيقا ، وشدّاني شدا وثيقا ، واجذباني جذبا رقيقا . فقال أحدهما : أنا والله لا أنقذه ؛ فإنه في الخرا إلى الحلق ، ولا يدع الفضول . حكاهما صاحب البصائر^(١) .

ومنهم من غلب عليه معرفة الأوزان ، حتى حُكي أن امرأة جاءت إلى عروضيّ بقال ؛ فقالت : أريد بذى القطعة زيتاً وبذى البيضة حنّا^(٢) فشغله كلامها عن مبايعتها ، وأخذ يقطعه ، ويقول : وبذى القطعة زيتاً . فاعلاتن فاعلاتن . فقالت المرأة : أمّه الفاعلة . وسبّته ، وانصرفت . فهذه تنبيهات على ما يستقبح ويُستهجن من علماء هذا الزمان . والغرض بها أنه ينبغي لكل ذي فنّ أن يتخذ سبيلا إلى النجاة ، ومرتقا إلى الزلّنى عند الله تعالى لا صنعة يتهوّس بها [بل مرقاة^(٣)] يتوصل بها إلى الملأ الأعلى . وحيث غمنا العلماء فلنخص أرباب الوظائف بالذكر .

المثال السابع والأربعون

المفتى

وقد خصّ جماعة كتاب أدب الفتيا بالتصنيف ، وذكر الفقهاء مالا طائل في إعادته ؛ لكننا نلبه على ما أكثر في بعض المفتين فنقول :

(١) كذا في ف . وفي د (الذخائر) .

(٢) و ل (جينا) .

(٣) أثبت هذه الزيادة في ف . و خلت منها نسخة د .

منهم من يسهّل أمر الشرع ، ويتناهى^(١) إلى أن يُفتى ببعض ما لا يعتقده من المذاهب ، ويرخص لبعض الأمراء ما لم يرخص فيه لعموم الخلق بعض العلماء ؛ فيقول مثلاً لمن سأله عن انتقاص الوضوء بمس الذكر : لا ينتقض عند أبي حنيفة ، وعن لعب الشطرنج ، وأكل لحوم الخيل : حلال عند الشافعي ، وعن مجاوزة الحد في التعزيرات : جائز عند مالك ، وعن بيع الوقف إذا خرب وتعطلت منفعته ، ولم يكن له ما يعمر به : حلال عند أحمد بن حنبل ، وهكذا . فليت شعري : بأي مذهب أفتى هذا المفتي ؟! وعلى أي طريقة جرى ؟! وبأي إمام يتعلق ؟! فلقد ركب لنفسه بمجموع هذه الأمور مذهباً لم يقله أحد . فإن قلت : أليس ذهب بعضهم إلى جواز تتبع الرخص ؟ قلت : ذلك على ضعفه لا يوجب إغراء السّفلة بدين الله تعالى ، وتخصيص الأمراء دون غيرهم . وقائل هذه المقالة يخصّصُ بها من يشاء ، ولا يعتقدها أيضاً ؛ فإنّه لو اعتقدها لم يخصّ بها . وهذا من علامات الاستهانة بدين الله تعالى ؛ نعوذ بالله من الخذلان . وما هذا المفتي إلا ضالّ ، خارق لحجاب الهيبة ، مسقط لأبهة الشرع ، مفسد^(٢) لنظام الدين . أنشدت لبعض سفهاء الشعراء :

الشافعيّ من الأئمة قائل :	اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال — وهو مصدّق	في كل ما يروى من الأحكام — :
شرب المشكّ والمربّع جائز	فاشرب على أمن من الآثام
وأباح مالك الفِقّاح ^(٣) تكررّما	في ظهر جارية وظهر غلام
والخبر أحمد حل جلد عُخميرة	وبذاك يستغنى عن الأرحام ^(٤)
فاشرب ولطوازن وقامروا حتيج	في كل مسألة بقول إمام

(١) كذا في د . وفي ف (يباهي) .

(٢) كذا في د . وفي ف : مسقط .

(٣) هو لصابة الفحّة ، وهي الدر . وهذا كناية عن اللواط .

(٤) حل جلد عُخميرة أي أحل . وجلد عُخميرة كناية عن الاستهانة باليد .

فقلت : رأي في مثل هذا الشاعر أن يُضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق . فقبحه الله تعالى وأخزاه ! لقد اجتراً على أئمة المسلمين ، وهداة المؤمنين . وقد اقترى على مالك فيما عزاه إليه ، وعلى الكل في تسمية الشطرنج قماراً ، وإطلاق الزنا واللواط والشرب على ما سمّاه ؛ ومن هذه حاله يقول — والعياذ بالله تعالى — إلى الزندقة . ولعل الأصل في هذا قول أبي نواس :

أباح العراقيّ النبيذ وشربه وقال : حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي : الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سأخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لافارق الوازر الوزر
ومعنى هذا أن أبا حنيفة — وهو العراقي — أباح النبيذ إذا لم يسكر ، وحرّم المسكر مطلقاً : نبيذاً كان أو خمرًا ، والخمر مطلقاً : مسكراً كان أو غير مسكر ، وأن الشافعيّ — وهو الحجازي — قال : الشرابان واحد : النبيذ والخمر فيحرم قليل كل منهما وكثيره ، فركّب هو من بين قوليهما قولاً ثالثاً ، لكنه رافع للجمع عليه ؛ وهو وفاق الشافعي على أن الشرايين واحد ، لكن لا في الحرمة بل في الحل . فهو مع أبي حنيفة في تحليل النبيذ غير المسكر ، ومع الشافعي في أن المسكر والخمر مثل النبيذ ، ومخالف له في حرمة المثلث : فيقول : مثله ، لكن في الحل ؛ والشافعي رضى الله تعالى عنه يقول : مثله لكن في الحرمة . فهذا أبو نواس لم يقصد إلا نوعاً من المجنون الذي لم يخلُ عنه الأدباء : ولكن المجنون في هذا الباب قبيح جداً ؛ لأنّه تلاعب بدين الله تعالى .

ومنهم طائفة تصلّبت في أمر دينها ؛ فجزاها الله تعالى خيراً : تنكر المنكر وتشدّد فيه ، وتأخذ بالأغلظ ، وتتوقى مظانّ التهم : غير أنها تبالغ ، فلا تذكر لضعفة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب ، فيؤدى ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم .

فمن حق هذه الطائفة الملائمة ، وتسهيل ما في تسهيله فائدة لمثل هؤلاء

إلى الخير إذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقا ؛ كما أن من حقها التشديد فيما ترى أن في تسهيله ما يؤدي إلى ارتكاب شيء من محرمات الله تعالى . فقد روى أن سائلا جاء إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فسأله : هل للقاتل توبة ؟ فقال : لا توبة له . وسأله آخر ، فقال : له توبة . فسئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن ذلك . فقال : أما الأول فرأيت في عينيه إرادة القتل ، فمنعته . وأما الثانى فجاء مستكينا قد قتل فلم أقنطه . قلت : ومن ثم قال الصيمرى : إن سأله سائل ، فقال : إن قتلتُ عبدى فهل علىَّ قصاص ؟ فواسع أن يقول : إن قتلته قتلناك ؛ فعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قتل عبده قتلناه ، ولأن القتل له معان^(١) . وهذا كله إذا لم يترتب على إطلاقه مفسدة . ومنهم من يتسرع إلى الفتيا معتمدا على ظواهر الألفاظ ، غير متأمل فيها ؛ فيوقع الخلق في جهل عظيم ، ويقع هو في ألم^(٢) كبير ، ربما أداه ذلك إلى إراقة الدماء بغير حق . وأنا أذكر أمثلة مما تصلح للامعاز ، منسبها بها على أخواتها^(٣) . فمنها ما حكى أن شخصا أحب الاجتماع بالمؤمنين ، فاعباه السعى في ذلك ، ولم يصل إليه . فقام في ملأ من الناس ، وقال : أيها الناس ، اثبتوا^(٤) على : فليست بسائل . اعلّموا أن عندي ما ليس عند الله ، ولى ما ليس لله ، ومعنى ما لم يخلق الله ، وإلى أحب الفتنه ، وأكره الحق ، وأقول : إن اليهود قالت حقا ، وإن النصارى قالت حقا ، ومعنى زرع يلبث بغير بذر ، وسراج يضىء بغير نار ، وأنا أحمد النبي ، وأنا ربكم ، أرفعكم وأضعكم . فقاموا إليه ، وكادوا يأتون على نفسه ، وقالوا : لا كفر فوق هذا الكفر ، وصاروا به^(٥) إلى المؤمنين . فلما مثل بين يديه قال له : ما الذى قلت ؟

(١) كذا في د . وفى ف معنيان .

(٢) كذا في ف . وفى د (فى إم) .

(٣) كذا في ف . وفى ط (على أخواتها) .

(٤) كذا في ف . وفى ط (ألبوا) .

(٥) كذا في ط . وفى ف سقطت النقطه (ن) .

قال : لى حاجة إلى أمير المؤمنين ، ولم أصل إليه ، وعرفت أنى إن أقل هذ
أمثل بين يديه . وأعاد القول ، ثم أخذ يتأول ، فقال له : أما قولى : عندى
ما ليس عند الله ، فعندى الظلم والجور . وأما قولى : لى ما ليس لله ، فإن لى
صاحبة وولدا ، وليس لله تعالى صاحبة ولا ولد . وقولى : ومعى ما لم يخلق
الله : القرآن . والفتنة : المال والولد . والحق الموت . والزرع بغير نذر : شعر
الرأس . والسراج المضى . بلا نار : العينان . والحق الذى قالته اليهود
والنصارى : ما أشار الله إليه بقوله « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء »
وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ، أما قولى : وأنا أحمد النبی فالنبي
منصوب على المفعولية ، بأحمد ، وأحمد فعل ، فأنا أحمد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وأشكره . وأنا ربكم : صاحبكم ، أرفع ذلك الكم ، وأضعه . فاستحسن
المأمون ذلك منه ، وقضى حاجته ، وأصغى إلى كلامه . قلت : وهذا الإطلاق
الذى أطلقه هذا الملغز^(١) مستهجن مستقيم ؛ ولا يجوز عندى ذكره مطلقا ؛
لما فيه من إيهام الكفر . ولكن بتقدير إطلاقه لا ينبغى الإقدام على التكفير
من غير تأمل وتفحص .

المثال الثامن والأربعون

المدرس

وحق عليه أن يُحسن إلقاء الدرس ، وتفهيمة للحاضرين . ثم إن كانوا
مبتدئين فلا يلتقى عليهم^(٢) ما لا يناسبهم من المشكلات ، بل يدرّبهم ويأخذهم
بالأهون فالأهون ، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق . وإن كانوا منتهين
فلا يلتقى عليهم^(٣) الواضحات ، بل يدخل بهم فى مشكلات الفقه ، ويخوض بهم

(١) كذا في ف . وفي د (الكفر)

(٢) كذا في ف . وفي ط (إله)

عَبَّاهُ الزَّاهِر . وَمَنْ أَقْبَحَ الْمُنْكَرَاتِ مَدْرَسٌ يَحْفَظُ سَطْرِينَ أَوْ^(١) ثَلَاثَةَ
مِنْ كِتَابٍ ، وَيَجْلِسُ يَلْقِيهَا ثُمَّ يَنْهَضُ ؛ فَهَذَا إِنْ كَانَ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى هَذَا الْقَدْرِ
فَهُوَ غَيْرُ صَالِحٍ لِلتَّدْرِيسِ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ تَنَاوُلُ مَعْلُومِهِ ، وَقَدْ عَطَّلَ الْجِهَةَ ؛ لِأَنَّهُ
لَا مَعْلُومَ لَهَا . وَيَلْبَغِي أَلَّا يَسْتَحِقَّ الْفَقْهَاءَ^(٢) الْمَنْزُولُونَ^(٣) مَعْلُومًا ؛ لِأَنَّ
مَدْرَسَتَهُمْ شَاغِرَةٌ عَنْ مَدْرَسٍ . وَإِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ
يَسْهَلُ وَيَتَأَوَّلُ فَهُوَ أَيْضًا قَبِيحٌ ؛ فَإِنْ هَذَا يَطَّرِقُ الْعَوَامَّ إِلَى رَوْمِ هَذِهِ
الْمَنَاصِبِ ؛ فَقُلْ أَنْ يَوْجِدَ عَامً لَا يَقْدِرُ عَلَى حِفْظِ سَطْرِينَ . وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ
صَانُوهُ ، وَأَعْطَى الْمَدْرَسَ مِنْهُمْ التَّدْرِيسَ حَقَّهُ : فَجَلَسَ ، وَأَلْقَى جُمْلَةً صَالِحَةً
مِنَ الْعِلْمِ ، وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا كَلَامَ مُحَقِّقٍ عَارِفٍ ، وَسَأَلَ وَسُئِلَ ، وَاعْتَرَضَ
وَأَجَابَ ، وَأَطَالَ وَأَطَابَ : بِحَيْثُ إِذَا حَضَرَهُ أَحَدُ الْعَوَامِّ أَوْ الْمُبْتَدِئِينَ
أَوْ الْمُتَوَسِّطِينَ فَهَمُّ مِنْ نَفْسِهِ الْقُصُورُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ ،
وَعَرَفَ أَنَّ الْعَادَةَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَدْرَسٌ إِلَّا هَكَذَا وَالشَّرْعُ^(٤) كَذَلِكَ
لَمْ تَطْمَحْ نَفْسُهُ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ ، وَلَمْ تَطْمَحِ الْعَوَامُّ بِأَخْذِ وَظَائِفِ^(٥)
الْعُلَمَاءِ . فَإِذَا رَأَيْنَا الْعُلَمَاءَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الدُّرُوسِ ، وَلَا يَعْطُونَهَا حَقَّهَا
وَيَبْطَلُونَ^(٦) كَثِيرًا مِنْ أَيَّامِ الْعِمَالَةِ ، وَإِذَا حَضَرُوا اقْتَصَرُوا عَلَى مَسْأَلَةٍ
أَوْ مَسْأَلَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ وَلَا تَفْهِيمٍ ، ثُمَّ رَأَيْنَاهُمْ يَظْلِقُونَ مِنْ تَسْلُطٍ مِنْ
لَا يَصْلُحُ عَلَى التَّدْرِيسِ^(٧) ، وَيُعْيَبُونَ^(٨) الزَّمَانَ وَأَوْلِيَاءَ الْأُمُورِ ، فَالرَّأْيُ أَنَّ
يُقَالُ لَهُمْ : أَنْتُمْ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ؛ بِمَا صَنَعْتُمْ ؛ فَالْجَنَازَةُ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ وَمِنْ الْمَهْمَاتِ

(١) كَذَا فِي ط . وَفِي فِ بَدُونَ (أَوْ) .

(٢) بِرِيدُ الطَّلَابِ الْمُرْتَبِينَ فِي الْمَدْرَسَةِ .

(٣) كَذَا فِي ل . وَفِي غَيْرِهَا (الْمَذْكُورُونَ) أَوْ الْمَنْزُولُونَ : الْمَعْبُودُونَ .

(٤) بِرِيدُ عِلْمِ الْفَقْهِ . وَقَدْ يَكُونُ (الشَّرْحُ) .

(٥) فِي نَسْخَةٍ فِي هَامِشِ ل (مَرَاتِبِ) .

(٦) كَذَا فِي د ، ل . وَفِي فِ (يَبْطَلُونَ) .

(٧) كَذَا فِي د ، ل . وَفِي فِ (عَلَى الْمَدَارِسِ) وَهَذَا مَعْلُقٌ بِتَوَلُّهِ (تَسْلُطِ) .

(٨) فِي ل (مَعْبُودُونَ) .

مدارس وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقهة ، والمدرس من الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة ، فيلقى المدرس في هذه المدرسة تفسيراً أو حديثاً أو نحواً أو أصولاً أو غير ذلك ، إما لقصوره عن الفقه ، أو لغرض آخر . وعندى أن الذمة لا تبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء إلا بإلقاء الفقه . فإن كان هذا المدرس لا يلقى الفقه رأساً فهو آكل حرام . وكذلك نقول في مدرسة التفسير إذا ألقى مدرسها غير تفسير ، ومدرسة النحو إذا ألقى مدرسها غير نحو . والأحوط في هذا كله الإلقاء من الفن الذي بنيت له المدرسة : فإن الواقف لو أراد غير ذلك لسمى ذلك الفن . وإن كان يلقى الفقه مثلاً في مدرسة الفقهاء غالباً ، ولكنه ينوع في بعض الأيام : فيذكر تفسيراً أو حديثاً أو غيره من العلوم الشرعية لقصد التنويع على الطلبة وبعث عزائمهم ، فلا بأس ؛ غير أن الأحوط خلافه . وهذا كله بشرط أن يكون المسمى بالمدرسة أهل نوع خاص ؛ كما مثلنا في مدرسة وقف علي مدرس شافعي أو حنفي مثلاً ، وفقهاء ومتفقهة من أهل ذلك المذهب ، وألاً يكون شرط في المدرس معرفة غير ذلك الفن . فإن شرط فيه فنونا كما في مدارس كثيرة في ديار مصر ، وفي بلاد الشام وغيرها يقفها الواقف على طائفة مذهب معين ، ويشترط في المدرس أن يعرف مثلاً من العلوم كذا وكذا ؛ كالتفسير والحديث وغيرهما : وما^(١) هذا شأنه رأي فيه أن ينوع المدرس فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه معرفتها ؛ فإنه لولا إرادة ذكرها لما اشترطت فيه . وكان يمكن أن يقال : إنها اشترطت فيه ليسكون أكمل في استعداده للأجوبة عن الاعتراضات التي لعلها تعترضه^(٢) . ولكن الأحوط ما ذكرناه .

(١) كذا . وكأن الأصل (ثا) ليكون هو وما بعده جواب الشرط .

(٢) كذا في ط . وفي ف (تعرضه) وفي نسخة في هامس ل (تعرض له) .

المثال التاسع والأربعون

المعيد^(١)

المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس : من تفهيم بعض الطلبة ، ونفعهم ، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة . وإلا فهو والفقير سواء : فما يكون قد شكر الله تعالى على وظيفة الإعادة .

المثال الخمسون

المفيد

عليه أن يعتمد ما يحصل به في الدرس فائدة : من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك . وإلا ضاع لفظ الإفادة وخصوصيتها^(٢) . وكان أخذه العوض في مقابلتها حراما .

المثال الحادي والخمسون

المنتهى من الفقهاء

عليه من البحث والمناظرة فوق ما على من دونه . فإن هو سكت وتناول معلوم المنتهى لكونه في نفسه أعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله تعالى حق شكرها .

المثال الثاني والخمسون

فقهاء المدرسة^(٣)

وعليهم التفهم على قدر أفهامهم ، والمواظبة إلا بعذر شرعي . ومن أقبح

(١) إن وظيفة المعيد المتقدمة هي واسمها من طم الدراسة الإسلامية ، يؤيد أن نظم التعلم الإسلامية كانت في أوج من الاتقان والنزق

(٢) في ل (خصوصها) .

(٣) في ل : (المدرسة) -- يضم الدال -- ، تريد الفقهاء ، أطال ، كما سي ذلك .

ما يرتكبونه ، تحدث^(١) بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة ، فلامهم يقرءون القرآن ، ولاهم يسلمون^(٢) من اللغو في الكلام . فإن انضم إلى ذلك أن قراءة الجزء شرط الوقف عليهم ، وأن حديثهم في الغيبة فقد جمعوا محرمات . ومنهم من لا يصغى للباح ، وربما فتح كتابا ينظر فيه ، ولا ينظر لما يقوله المدرس ؛ بل يجلس بعيداً عنه بحيث لا يسمعه . وهذا لا يستحق شيئاً من المعلوم ، ولا يفيد أنه يطالع في كتاب وهو في الدرس ؛ فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما شرط عليه الحضور .

المثال الثالث والخمسون

قارىء العشر

وينبغي أن يقدم قراءة العشر . فيكون قبل الدرس ، وعقيب فراغ الربعة إذا كان الدرس فيه ربعة تدور ؛ كما هو الغالب وأن يقرأ آية مناسبة للحال .

المثال الرابع والخمسون

الملشد

وينبغي أن يذكر من الأشعار ما هو واضح اللفظ ، صحيح المعنى مشتملاً على مدائح^(٣) سيدنا ومولانا وحبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى ذكر الله تعالى وآلائه وعظمته ، وخشية مَقْتِه وغضبه ، وذكر الموت وما بعده ؛ وكل ذلك حسن^(٤) . وأهمه مدح النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه الذي يفهم من إطلاق لفظ الملشد . وإن اقتصر الملشد على ذكر أبيات^(٥) غزلية أو حماسية فقد أساء ؛ لاسيما إذا كان في مجامع العلم .

(١) كذا في ف . وفي د (بحث) .

(٢) كذا في ف ، د ، ر . وفي ل . ط (يسلمون) .

(٣) كذا في د . وفي ف (مدح) .

(٤) كذا في ط . وفي ف (ألفاظ) .

المثال الخامس والخمسون

كاتب الغيبة على الفقهاء

عليه اعتماد الحق ، وألا يكتب على كل من لم^(١) يحضر ، ولكن يستفصح عن سبب تخلفه . فإن كان له عذر بينه ، وإن هو كتب على غير بصيرة فقد ظلمه حقه . وإن سمح بمجرّد حطّام يأخذه من الفقيه فهو على شفيع جهنّم .

المثال السادس^(٢) والخمسون

القرّاء الذين يقرءون القرآن بالألحان

وعليهم إعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أنزل ، من غير مطمطة^(٣) ولا عجرفة^(٤) ؛ بل بلفظ بين . وقد اشتملت كتب القرّاء على الغرض من ذلك . ولو وقف على من يقرأ ، وجرت العادة في ذلك البلد بترك الإقراء يوم الجمعة مثلاً ، قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى : لا يعتبر بالعادة ، وعليه الجلوس يوم الجمعة . قلت : وهذا إن احتمل طريان العادة على زمن الوقف فواضح ، وأمّا إن تحقّق وجودها وقت تلفّظ الواقف ففيه نظر واحتمال . وما يكره عليهم ، وعلى المنشدين أيضاً أنّهم يأتون إلى دور الأمراء وقت حكمهم ، فيأتون في أخريات الناس وهم لا يلتفت إليهم . ويقرأ أحدهم عشرأ ، أو مدحاً في النبيّ صلى الله عليه وسلم بين يدي أمير أو ديوان أبكم لا يفهم ما يقال ، وهو مع ذلك مشغول بحكمه وما هو فيه . وكان المتعّين على من منحه الله تعالى القرآن أو مدح نبيّه صلى الله عليه وسلم أن ينزههما عن هذا المقام ، رأيت ملشداً حضر إلى مُخَيِّم بعض الأمراء ، والخلق تزدهم ، وهو

(١) كذا في ف . وفي ط (من لا يحضر) .

(٢) هذا المثال عن ل . وقد سقط في غيرها .

(٣) المطمطة : الطاء في اللّاحم . يريد الإسراف في مد الحروف كما يفعل القرآن بالألحان .

(٤) يريد السرعة في القراءة ، وعدم إعطاء الحروف حفاها .

يلشد ويذكر صفات سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقوم لا ينصتون له ، ولا فيهم من يدرى ما يقول ؛ فحصل بذلك من الألم ما (كاد يصهر^(١)) قلبي .

ومن شكر نعمة الله تعالى على ذوى الأصوات الحسنة من القراء والمشددين ألا يستعملوا أصواتهم فى الغناء المحرّم ، وبجاس الخور والمنكرات وليجتنبوا مقت الرب وغضبه ، تبارك وتعالى .

المثال السابع والخمسون

خازن الكتب

وحق عليه الاحتفاظ بها ، وترميم شعثها ، وحبكها عند احتياجها للحبك ، والضئنة بها على من ليس من أهلها ، وبذلها للمحتاج إليها ، وأن يقدم فى العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء . وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته ؛ وهو شرط صحيح معتبر ؛ فليس للخازن أن يعير إلا برهن ؛ صرح به القفال فى الفتاوى ، والشيخ الإمام فى تكملة شرح المذهب ؛ وذكر أنه ليس هو الرهن الشرعى .

المثال الثامن والخمسون

شيخ الرواية

وعليه أن يُسمع المحدثين ، ويستمع لما يقرءونه عليه ، لفظة لفظة ، بحيث يصح سماعهم . وليصبر عليهم ؛ فإنهم وفد الله تعالى . ومتى وجد جزء حديث أو كتاب تفرد شيخ بروايته كان فرض عين عليه أن يسمعه .

(١) فى الأصل (كان يصار بقلبي) .

المشال التاسع والخمسون

كاتب غيبة السامعين

وعليه ضبط أسماء الحاضرين والسامعين ، وتأمل من يسمع ومن لا يسمع ،
والأ يكون كاذبا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : إنَّ فلانا سمع ولم يسمع .
فإن هو تساهل في ذلك فليتبوأ مقعده من النار .

المشال الستون

الخطيب

عليه^(١) أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفْساً من أهل الجمعة .
فلو خطب سراً بحيث لم يُسمع غيره لم تصح على الصحيح . ولو رفع صوته
قدر ما يبلغهم ، ولكن كانوا كلهم أو بعضهم صمّاً فامتنع سماعه للصم^(٢)
فالأصح لا يصح أيضاً . وأما الالتفات في الخطبة ، والدقُّ على درج المنبر
في صعوده ، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس ، والمجازفة في وصف
السلطين عند الدعاء لهم ، والمبالغة في الإسراع في الخطبة الثانية ، فكل
ذلك مكروه . ولا بأس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه ؛ فإن صلاحه صلاح
المسلمين . ولا يطيل الخطبة على الناس ؛ فإن وراءه الشيخ والضعيف
والصغير وذا الحاجة . ولا يأتي بالفاظ قلقة يصعب^(٣) فهمها على غير الخاصة ،
بل يذكر الواضح من الألفاظ . ولا يتكلف السجع إلى غير ذلك مما ذكره
الفقهاء .

(١) كذا في النسخ ماعدا ر ففيها (وعليه) .

(٢) كذا في كل النسخ ماعدا ل ففيها (للصم) .

(٣) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (يسر) .

المثال الحادى والستون

الواعظ

وعليه نحو ما على الخطيب . فليذكر بآيام الله ، وليخف القوم فى الله تعالى ، وينبئهم بأخبار السلف الصالحين ، وما كانوا عليه . وأهم ما ينبغى له وللخطيب أن يتلو على نفسه قوله تعالى : أتأمرون الناس بالبر وتلسون أنفسكم ، ويتذكر قول الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
واعلم أن الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب : فكل خطيب وواعظ لا يكون عليه سيمى الصلاح قل أن ينفع الله به .

المثال الثانى والستون

القاص

وهو من يجلس فى الطرقات يذكر شيئاً من الآيات ، والأحاديث ، وأخبار السلف .

وينبغى له ألا يذكر إلا ما يفهمه العامة ، ويشتركون فيه : من الزعيم فى الصلاة ، والصوم ، وإخراج الزكاة والصدقة ، ونحو ذلك ، ولا يذكر عليهم شيئاً من أصول الدين ، وفنون العقائد وأحاديث الصفات : فإن ذلك يحرمهم إلى ما لا ينبغى .

المثال الثالث والستون

قارىء الكرسى

وهو من يجلس على كرسى يقرأ على العامة شيئاً من الرقائق ، والحديث ، والنفيس : فيشارك هو والقاص فى ذلك ، ويفترقان فى أن القاص يقرأ من

صدره وحفظه ، ويقف ، وربما جلس ولكن جلوسه ووقوفه في الطرقات .
وأما قارىء الكرسي فيجلس على كرسي في جامع أو مسجد أو مدرسة
أو خانقاه^(١) ولا يقرأ إلا من كتاب^(٢) .

ويلبغى له أيضاً مثل ما يلبغى للقاص : من قراءة ماتفهمه العامة ،
ولا يخشى عليها منه . ولا بأس بقراءة إحياء علوم الدين للغزالي ، وكتاب
رياض الصالحين ، والأذكار للنووي ، وكتاب سلاح المؤمن في الأدعية لابن
الإمام . وكتاب شفاء السقام ، في زيارة خير الأنام ، للشيخ الإمام الوالد .
وكتبُ ابن الجوزي في البوعظ لا بأس بها . ولا يخفى ما يحذر منه هؤلاء من
كتب أصول الديانات ونحوها .

المشال الرابع والستون

الإمام

ومن حقه النصح للمؤمنين^(٣) : بأن يُخَصِّص في صلاته ، ويجار في دعائه ،
ويضرع^(٤) في ابتهاله ، ويحسن طهارته وقراءته ، ويحضر إلى المسجد
أول الوقت ؛ فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة ، وإلا انتظر الجمع ما لم يُفجَّش
الانتظار . وبالجملة ينبغي أن يأتي بصلاته على أكمل ما يطيقه من الأحوال .
وبما تعمُّ به البلوى إمام مسجد يستنيب في الإمامة بلا عذر . وقد أفتى الشيخ
عز الدين بأنه لا يستحق معلوما ؛ لأنه لم يباشر ، ولا يستحق نائبه ؛ لأنه غير

(١) الخانقاه : متعبد الصوفية . وجمعها الخوانق . وهي كلمة فارسية .

(٢) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ر (إلا من كتب) .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (للمؤمنين) .

(٤) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (يتضرع) .

متول ، ووافقه النووي رحمه الله ؛ لكن توقف فيه الوالد رحمه الله كما ذكر^(١) في باب المساقاة من شرح المنهاج .

أما جمع المرء بين إمامة مسجدين فالذي أراه أنه لا يجوز ؛ لأنه مطالب في كل واحد منهما بأن يصلي أوّل الوقت ، وتقديمه أحد المسجدين على الآخر تحكّم ، ولا ضرورة إلى ذلك . وذلك كتوليّه تدريسين بشرط حضور كل منهما في وقت معيّن يلزم من حضوره في هذا إهمال ذلك^(٢) فلا يجوز أيضاً .

المشال الخامس والستون

المؤذن

عليه^(٣) معرفة الوقت ، وإبلاغ الصوت . ويؤذن للصبح من نصف الليل وعند دخول^(٤) الوقت . ولذلك يسنّ للصّبح مؤذنان .

المشال السادس والستون

المؤقت

ولا بدّ من معرفته علم الميقات ، فليحقّق فنّ الهيئّة ، وجهة القبلة على الخصوص . وقد كثر في هذه الطائفة المنجمون والكهّان نعوذ بالله منهم ؛ قال النبي صل الله عليه وسلم : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » أخرجه مسلم ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من

(١) كذا في كل المسجحات ما عدا د فيها (ذكرنا) .

(٢) كذا في ر . وفي ط (مدرستين شرط حضور كل واحدة منها في وقت معيّن يلزم من حضوره في هذه إهمال تلك) .

(٣) كذا في كل المسجحات ما عدا د فيها (وعنده) .

(٤) كذا في ر . وفي ط . وفي د . ل (وجوب) .

اقتبس علماً من النجوم اقتبس شُعْبَةً من السحر زاد ما زاد ، رواه أبو داود بإسناد صحيح . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أن النجوم فنّ من السحر . ونحن نرى أن نتكلم على حقيقة السحر ، والكهانة ، والنجوم ، والسيمياء مختصراً ، فالكلّ من واد واحد ، ويطلق على جميعها اسم السحر ، فنقول :

حاصل معنى السحر في اللغة يرجع إلى معنى الإزالة وصرف الشيء عن وجهه بطريق خفيّ . ويطلق في عرف المتكلمين على أمور :

أحدها : السعى بين الناس بالنميمة .

وثانيها : تعلّق القلب كما يقول بعض المتنبّلين^(١) لمن في عقله خفة : إنه يعرف الاسم الأعظم أو إن الجنّ تطيعه ، فينفعل له ضعيف العقل ، وربما أدّاه انفعاله إلى مرض أو نحوه ، أو مطاوعة ذلك المتنبّل فيما يقصده .

وثالثها : الاستعانة بخواصّ الأدوية والمفردات ؛ كاجتذاب المغناطيس للحديد ونحو ذلك ، فيعتقد الرائي أن ذلك بفعل الساحر ؛ فقد حُكي أن كنيسة ببلاد الروم تُعمل في جدرانها الأربعة وسقفها وأرضها ستّة حجارة من المغناطيس متساوية في القدر ، وجعل في هوائها صليب من حديد بمقدار ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستّة : بحيث لا يغلب حجر منها بقيتها في الجذب ، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تمسكه ظاهراً ، فافتتن به قوم من النصارى .

ورابعها : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على اللّسب الهندسية تارة ، وعلى ضرورة الخلاء أخرى ، كدوران الساعات وجرّ الأثقال ولها أسباب يقينية من اطلاع عليها قدر على عمل مثلها .

(١) كذا في ب ، د ، ر . وول ، ط (الباي) .

وخامسها : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهى الشعبذة المخيلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه .

وسادسها : الاستعانة بالجنّ على ما يريده بالرُقى والعزائم والتسخيرات .
وسابعها : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية التى إذا تجرّدت وتوجهت نحو شيء أثّرت فيه . وأقرب شاهد له فى الشريعة الإصابة بالعين . وقد أثبتّه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنه حق ، وثبت عن جماعة أنهم يقتلون النفس بالهمة .

وثامنها : الاستعانة على ذلك بالكواكب والتأثيرات التى يُحدثها الله تعالى عندها ، وهو سحر الصابئة الذين بعث الله إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلا لمقاتلهم^(١) ورادّا عليهم .

وتاسعها : السيمياء ، وهو أن يُركّب الساحر شيئاً من خواص [أرضية^(٢)] أو صنعة كأدهان خاصة أو مائعات خاصة ، أو كلمات خاصة ، توجب تخيلات^(٣) خاصة وإدراك الحواس مأكولاً أو مشروباً ، ونحو ذلك . ولا حقيقة له ؛ كما حكى الأوزاعى رحمه الله عن اليهودى الذى لحقه فى السفر ، وأنه أخذ ضفدعاً فسحرها حتى صارت خنزيراً ، فباعه من قوم من النصارى ؛ فلما صاروا به إلى بيوتهم عاد ضفدعاً ، فلاحقوا اليهودى وهو مع الأوزاعى ؛ فلما قربوا^(٤) منه رأوا رأسه قد سقط ، ففزعوا وولّوا هاربين ؛ وبقي الرأس يقول للأوزاعى^(٥) : يا أبا عمر هل غابوا ؟ إلى أن بعدوا عنه ، فصار الرأس فى الجسد فهذه الأمور كلها باطلة عندنا . وأحقّها باسم النجوم استخدام الكواكب ،

(١) كذا فى د ، ز ، ل . وفى ف (مفاهيم) . وفى ط (لمفاهيم) .

(٢) كذا فى د ، ط . وفى باقى النسخ لم يثبت هذا اللفظ .

(٣) كذا فى ف ، ل ، ر . وفى د ، ط (تخيلات) .

(٤) كذا فى د ، ل ، ر ، ط . وفى ف (سقط هذا اللفظ) .

(٥) كذا فى النسخ ما عدا ف فقد سقط منها هذا اللفظ .

ولا يسمى ذلك سحراً بالحقيقة ، وإنما يسمى تنجياً ، ويسمى صاحبه منجماً وفيه يقول أبو فراس بن حمدان :

دع النجوم لعراف يعيش بها وانهض بعزم قوى أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

وقال أبو تمام في في المعتصمية^(١) :

أين الراوية أم^(٢) أين النجوم وما صاعوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثاً ملفقة ليست بلسنغ إذا عُدَّت ولا غَرَب^(٣)

وقال آخر :

لا تركن إلى مقال منجم وكل الأمور إلى القضاء وسلم
واعلم بأنك إن جعلت الكوكب تدبير حادثة فليست بمسلم
وأحقها باسم السحر ما كان بالخواص التي يحدث عندها فعل حقيقي ؛ كمرض ، ومحبة ، وبغض ، وتفريق بين زوجين . ودون هذه المرتبة أن يكون تخيلاً لا حقيقة له . وهو سحر أيضاً ؛ إلا أنه دون الأول . وذلك علم السيمياء . وأما الشعبة نفيالات^(٤) مبنية على خفة اليد ، والاختذ بالبصر ؛ فهي دون السيمياء . وأما استخدام الجان فلا يسمى سحراً بالحقيقة^(٥) وأما تجرد النفوس فليس من السحر الحقيقي في شيء ، بل ربما تجردت لخير ، وربما تجردت لشر

(١) يريد القصيدة التي قالها في مدح المعتصم حين فتح عمورية ، ومطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

(٢) كذا في ف ، ز . وفي ل (أو) .

(٣) النبع والغرب : ضربان من الشجر . والنبع من جيد الشجر ، والغرب من رديئه ؛ يريد أنها ليست من حسن الحديث ولا قبحة ، كما يقال : لا خير ولا خل .

(٤) كذا في ف ، د ، ط وفي ل (نفيالات) .

(٥) في ل هذه الريادة (وقد استقرت أحوال أهل العلوم وعلم الكيمياء ، والرمل والطب والحرب وآلات اللهو ، والفنون ، وذوى الخط الحس ، ومن يعرف ثلاث حرف فصاعداً ، فقل من يكون منهم إلا أرشلاً (كذا) بخلاف مسألة الله الوفيق لما يحب وترضى) ولم ينبها في من الكتاب لضعف علامتها بالساق . ولأننا لم نهد إلى مدح كلمة (أرشلاً) وقد يكون (رحاً) .

وقد حكى أن السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين لما غزا الهند انتهى إلى قلعة منيعة عصت عليه مدة . فخرج إليه بعض أهلها ، وقال : إنك لا تقدر عليها ؛ إلا أن تصنع ما أقول لك . قال قل^(١) . قال : إذا كان وقت مطلع الشمس مُر الجيش^(٢) بضرب الطبول ضرباً واحداً من عجا ، وازحف على القلعة أنت والجيشُ يدا واحدة . ففعل ؛ فافتتح القلعة . ثم سأله عن السبب . فقال : إن أصحاب هذه القلعة أصحاب همم وتوجُّهات ، وقد صرفوا همَّهم إلى دفعك عنها ، ولا يشوِّش على نفوسهم ويفرقها شيء كالطبول المزعجة ، وغلبات^(٣) العسكر . فلما فعلت ذلك تفرقت همُّهم وشغلوا عن التوجُّه ، فلدت مقصدك .

المثال السابع والستون

الصوفية

حيَّاهم الله ويَّاهم^(٤) ، وجمَّعنا في الجنة نحن وإياهم .
وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم ؛ لكثرة المتلبسين بها ؛ بحيث قال الشيخ أبو محمد^(٥) الجويني : لا يصح الوقف عليهم ؛ لأنه لا حد لهم يعرف ؛ والصحيح صحته ، وأنهم المُعْرِضُونَ عن الدنيا ، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة ؛ ومن ثمَّ قال الجُنَيْد^(٦) : التصوف

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها ؛ (هات) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي باي النسخ (مر الجيوش) وقد سقطت القاء في جواب الشرط .

(٣) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط (جليات) .

(٤) كذا في د . وفي ف (وسعاهم) .

(٥) هو عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي ، ركن الإسلام ، والد إمام الحرمين . توفي ببساور

سنة ٤٣٠ هـ — عن طبقات الشافعية .

(٦) هو ابن محمد شيخ طائفة الصوفية . توفي سنة ٢٩٠ هـ وانظر البجورم البراهرة .

استعمال كل خُلُق سنيّ ، وترك كل خُلُق دنيّ ؛ وقال أبو بكر الشَّيْبَلِيُّ^(١) :
التصوف ضبط حواسِّك ، ومراعاة أنفاسك ، وقال ذو النون^(٢) : الصوفي
من إذا فُطِقَ أبان- نطقه عن الحقائق ، وإذا سكّت نطقته عنه الجوارح بقطع
العلائق ؛ وقال عليّ^(٣) بن بُنْدَار : التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً ؛
وقال أبو عليّ^(٤) الروذْبَارِيُّ : الصوفي من لبس الصوف على الصفا ، وأذاق
الهوى طعم الجفا ، ولزم طريق المصطفى ، وكانت الدنيا منه على القفا . وكان
الشيخ الإمام يقول : الصوفي من لزم الصدق مع الحق ، والخُلُق^(٥) مع
الخُلُق ، ويُشَدُّ :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قديماً ، وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتيّ صافي فصوفي ، حتى لقب الصوفي
وهذه عبارات متقاربة . والحاصل أنّهم أهل الله وخاصّته ، الذين
ترجّى^(٦) الرحمة بذكرهم ، ويُستَنَزَلُ الغيث بدعائهم ؛ فرضى الله عنهم وعنا
بهم ! وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم . قال الأستاذ أبو القاسم
القشيري رحمه الله : جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضّلهم على
الكافة من عباده^(٧) بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه . جعل الله
قلوبهم معادن أسرارهم ، واختصّهم من بين الأئمة بطوالع أنوارهم ، فهم الغياث
للخلق ، والذاترون في عموم أحوالهم مع الحق . ومن أوصاف هذه الطائفة
الرأفة والرحمة والعفو ، والصفح ، وعدم المؤاخذة . وضابطهم ما ذكرناه .

(١) هو دلف بن جندر . أصله من الشَّيْبَلِيَّة ، وهي قرية بالعراق ، ومولده بسامرا . صاحب
الجبند ، وتوفي سنة ٣٢٤ .

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم المصري ؛ من أئمة الصوف . مات بمصر سنة ٢٤٥ هـ وانظر النجوم

(٣) من أئمة الصوفية ، صاحب الجبند ، وانظر طبقات الشعراني .

(٤) هو محمد بن أحمد بن القاسم الصوفي ، سكن مصر . وله نصايف حسان في الصوف .
مات سنة ٣٢٣ هـ عن معجم البلدان في (روذبار) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (الحق) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (ترجى) .

(٧) هذه الريادة (من عباده) أثبت في . وسقط في ف .

وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجُنَيْد رحمه الله : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة . وقال : الطريق مسدود على خلق الله تعالى ؛ إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — ومن حقهم تربية المريد إذا لاحت عليه لوائح الخير ، وإمداده بالخاطر والدعاء . يحكى عن بعض المشايخ أن تلميذه حضر إليه وهو جالس في جماعة ، وقد ارتفع النهار ، ففترس الشيخ أنه كان في الليلة الذاهبة قد ارتكب معصية ، فنظر إليه نظر مُغَضَّب ، ولم يمكنه الإفصاح له بمحضر من الجماعة : فنظر التلميذ إلى الشيخ نظرة^(١) منكر فقام الشيخ ، وجاء^(٢) ، وقبل يد التلميذ ، ولم يفهم الجماعة شيئاً . فسئل الشيخ بعد ذلك ؛ فقال : إنه البارحة وقع في الزنى ، فنظرت إليه نظر مغضّب لذلك ، فنظر إلىّ نظر عاتب ، يقول : لو كان خاطرك معي ، وإمدادك مصاحبي ، لما وقع مني^(٣) ذلك . فأنت المقصّر . فقبلت يده لصدقه ؛ فإن التقصير مني . ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يُطلعهم الله تعالى عليه من المغيبات ، ويخصّهم به من الكرامات ، على الإذن : وهم لا يجيزون إظهارها بلا فائدة ، ولا يظهرونها إلا عن إذن لفائدة ، دليّة : من تربية أو بشارة أو نذارة ؛ كما قال الصديق رضى الله تعالى عنه لعائشة رضى الله تعالى عنها — وقد كان نَحَلَهَا^(٤) جادّ^(٥) عشرين وسقاً من ماله بالغابة^(٦) فحضرتة الوفاة ، وأراد استرجاع الهبة ، وتطبيب قلبها مع ذلك — : والله يا بنية ما من الناس أحد أحبّ إلىّ غنىّ بعدى منك ، ولا أعزّ علىّ فقراً بعدى منك ، وإني كنت نَحَلْتُكَ جادّ عشرين وسقاً ، فلو كنت حُزْتِه كان لك . وإنما هو اليوم

(١) كذا في ف ، د ، وفي ط (نظر) .

(٢) كذا في النسخ ما عدا ر ولم يذكر فيها هذا اللفظ .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ف فقها (وقع سيء من ذلك) .

(٤) أي منحها وأعطاهما .

(٥) أي وهب لها خلا كان نَحَلَ منه ويؤخذ كل سنة عشرون وسقاً من البلح .

(٦) موضع قرب المدّة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدّة . وأطر معجم البلدان

مال وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله تعالى . قالت عائشة : والله يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته ؛ إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : [ذلك ^(١)] ذو بطن بدت خارجه ، أراها جارية . فكان كذلك ^(٢) . فلم يظهر أبو بكر ذلك إلا لاستطابة قلب عائشة رضي الله تعالى عنها .

وأما قصة سارية ^(٣) فإن عمر رضي الله تعالى عنه كان أمره على جيش ، وجهّزه إلى بلاد فارس ، فاشتد الحال على عسكره بباب نهاوند ^(٤) ، وكاد المسلمون يهزمون ، وعمر رضي الله تعالى عنه بالمدينة ؛ فصعد المنبر ، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، الحكاية . فأسمع الله تعالى سارية وجنوده أجمعين — وهم بنهاوند — صوت عمر رضي الله عنه ، وعرفوه ، وقالوا : هذا صوت أمير المؤمنين ، يأمرنا بالالتجاء إلى الجبل . فلبجئوا إليه ونجوا ^(٥) .

سمعت ^(٦) الشيخ الإمام يقول : سئل على كرم الله وجهه وقد كان حاضراً في المسجد ، وعمر يخطب ويستغيث بهذا الصوت : ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين ؟ فقال على كرم الله وجهه : دعوا أمير المؤمنين ؛ فما دخل في أمر إلا وخرج منه . ثم تبين الحال بالآخرة . فتقول ^(٧) : عمر هنا — والله أعلم — لم يقصد إظهار الكرامة ، وإنما ألجأته الضرورة — وقد كشف له حال القوم — إلى إنقاذهم ^(٨) ، فناداهم ، ولعله غلب عليه الحال وغاب عن حسّه .

(١) كذا في ل . ولم تثبت هذه اللفظة في باقي النسخ .

(٢) كذا في النسخ كلها ما عدا ف . وقد سقط منها لفظ (فكان كذلك) .

(٣) هو ابن ربيع (بالتصغير) ، والمرجح أنه صحابي . انظر الإصانة لابن حجر .

(٤) من بلاد فارس . وقد فتحت سنة ٢١ هـ ولم يفهم لافرس بعدها قائمة ، ويسمى فتحها فتح الفتوح .

(٥) كذا في ل ، ز ، ط . وفي د (فنجوا) وفي ف سقطت هذه اللفظة .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (وسمعت) .

(٧) هذا جواب (أما قصة سارية) .

(٨) في ل : انتقاذهم .

وأما قصة الزلزلة — وهى أن الأرض زلزلت فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ، فضر بها بالدرّة ، وقال : ويحك قِرِّى ^(١) ألم أعدل عليك ! وكانت ترتجف ^(٢) فاستقرّت من وقتها .

وقصة ^(٣) النيل ، وكونه كان لا يجرى حتى يلقى فيه جارية عذراء كل عام ؛ فكتب نائب مصر عمرو بن العاص إلى عمر يخبره ؛ فكتب عمر بطاقة إلى النيل ، وأمر أن تلقى فى الماء ، فيها : من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر : أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ؛ وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يُجريك فاجر ياذن الله الواحد القهار . فجرى جريانا لم يعهد مثله ، أخصبت له البلاد . وكرامات عمر رضى الله تعالى عنه كثيرة . وهذه الأمور من تمكّنه فى الأرض ظاهراً وباطناً ، وكونه أمير المؤمنين على الحقيقة ، وخليفة الله تعالى فى أرضه وساكنى أرضه . وليس هذا الكتاب موضع استيعاب القول على ذلك . وإذا علمت أن خاصة الخلق هم الصوفيّة ، فاعلم أنهم ^(٤) قد تشبّه بهم أفوام ليسوا منهم ، فأوجب تشبه ^(٥) أولاء بهم سوء الظن . ولعل ذلك من الله تعالى قصداً لحفاء هذه الطائفة ، التى تؤثر الخول على الظهور .

واعلم أن الصوفية أكثرهم لا يرضى بدخول الخوانق ، ولا التعلّق بشىء من أسباب الدنيا ، ونحن نتذكر ^(٦) بهم ولا نذكرهم . ولكننا نتكلم على ذوى الأسباب منهم ؛ لأنهم لما خالطوا أهل الدنيا تطرق إليهم البحثُ على قدر مخالطتهم : فإن تجتنبها كنت سلباً لأهلها وإن تجتنبها نازعتك كلابها

(١) فى الأصول (أقرى) ولا وجه له ، فإنه بأسرها بالمرار لا بالإمرار الذى هو الإذعان .

(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا د فيها (ترجمف) .

(٣) لم يذكر خبر المبتدا — وهو قصة النيل — وكأن الخبر محذوف أى خوابه ، تقدم فى

قصة سارية —

(٤) كذا فى ل . ر . د . د . وفى ف ، ط ، هامش ل (أنه) .

(٥) كذا فى ل . ر . د . وفى ف ، د (شبيه) .

(٦) كذا فى ل . ر . د . وفى ط ، ف (تذكرهم ولا تذكرهم) .

المثال الثامن والستون

شيخ الخانقاه

وربما سمي كبير هذه الطائفة شيخ الشيوخ ؛ وربما قيل : شيخ شيوخ العارفين . وسمعت الشيخ الإمام يشدد النكير في هذه العبارة ، ويقول : شيخ شيوخ العارفين ! يرددها مراراً منكراً لها ، ويقول : لم يقنع بادعاء المعرفة ؛ حتى ادعى أنه شيخ شيوخها . وإذا عرفت هذا فنقول : حق على شيخ الخانقاه تربية المريد ، وحمل الأذى والضيم على نفسه ، واعتبار قلوب جماعته قبل قواالهم ، والكلام مع كل منهم بحسب ما يقبله بعقله ، وتحمله قواه ، ويصل إليه ذهنه ، والكفّ عن ذكر ألفاظ ليس سامعها من أهلها ؛ كالتجلى والمشاهدة ورفع الحجاب ، إذا كان السامع بعيداً عنها ؛ فإن في ذكرها له من المفساد ما لا خفاء به ، بل يأخذ المريد بالصلاة والتلاوة والذكر ، ويُربيه على التدرج . والله الله في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم ، لم يعنوا بها ظواهرها ، وإنما عنوا بها أموراً صحيحة ؛ فلا ينبغي للشيخ ذكرها لمريد لا يفهمها ؛ فإنه يُضله ؛ مثل ما يقال عن بعضهم : العلم حجاب ؛ فإنه لا يريد به ظاهر ما يفهمه المبتدئ منه ؛ ولكن له معنى لا يناسب حال المبتدئ الكشف عنه ، وغير ذلك من ألفاظ ربما جرى بعضها في حال السكر ؛ فإنها بما لا يقتدى بها ، ولا توجب القدح في قائلها ؛ بل نسلم^(١) إليه حاله ، ونقيم^(٢) عذره فيما سقط من بين شفتيه حالة الغيبة ؛ فإن الشارع لم يكلف غائب الذهن . هذا إذا فقدت أسباب التأويل لكلامه بالكلية ؛ وإن نجد^(٣) ذلك إن شاء الله تعالى في كلام أحد من المعتبرين ؛ بل قد نزّه الله تعالى ألفاظهم عن الأباطيل ، وما لهم كلمة إلاّ ولها محمل حسن .

(١) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ (سلم ويقيم) .

(٢) كذا في ل . وفي ف ، د (وإن نجد) . وفي ر (ولكن لن نجد) . وفي ط (ولم نجد) .

المثال التاسع والستون

قراء الخوانق

وأنت قد عرفت أن حقيقة الصّوفي من أعرض عن الدنيا ، وأقبل على العبادة ، فقل لفقير الخانقاه : إن دخلتها لتسُدَّ رمقك ، وتستعين على التصوف فهذا حق ، وإن أنت ^(١) دخلتها لتجعلها وظيفة تحصل بها الدنيا ؛ ولست متصفا بالإعراض عن الدنيا ، والاشتغال غالب الأوقات بالعبادة ، فأنت مبطل ، ولا تستحق في وقف الصوفية شيئاً ، وكلُّ ما تأكله منها حرام : لأن الواقف لم يقفها إلا على الصوفية ، ولست منهم في شيء . وقد كثر من جماعة اتخاذ الخوانق أسباباً ، والدلوq المارقة طرائق للدنيا ^(٢) ، فلم يتخلقوا من أخلاق القوم بغير لباس الزور . وهؤلاء المتشبهة الذين يقول فيهم الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما نقل عنه : رجل أكل ، ثموم كثير الفضول . وقال الإمام أبو المظفر بن السمعاني : نعوذ بالله من العقرب ^(٣) والفار ، ومن الصوفي إذا عرف باب الدار . وقال شيخنا أبو حيّان في هؤلاء : أكالة ، بطلّة ، سطلّة ! لا شغل ولا مشغلة . وقيل : رجل يظهر الإسلام ، ويبطن فاسد العقيدة ونهاية الإقدام ، في رجله ججم وعذبتة ^(٤) من قدام ، يكون غالداً من بلاد الأعجام . وقال بعضهم :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاءك إن غنى المغنونا
فهؤلاء القوم إذا اتخذوا الخوانق ذريعة للباس الزور ، وأكل الحشيش ، والانهماك على حطام الدنيا ، لا سترهم الله ، وفضحهم على رؤوس الأشهاد .

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ر (فإن أدخلها) وفي ط (وإن دخلها) .

(٢) كذا في ف ، ر ، ل ، د . وفي أ (طرائق إلى الدنيا) .

(٣) كذا في ف ، د ، ر . وفي ن ، ط (من العقرب والنار) .

(٤) كذا في معظم النسخ . وفي ف (عذبة) بالمهملات .

ولكن فيهم — والله الحمد^(١) — من لا يدخل الخانقاه إلا ليقطع علاقته ويشغل بربه ، ويرضى بما يتهيا منها مُعينًا له على سدّ رمقه ، وستر عورته ؛ فلله دَرُّه ! .

المثال السبعون

خادم الخانقاه

ومن حقه توفير أوقاتهم للعبادة ؛ فإنه في عبادة ما دام يعينهم على العبادة بهذه النية . فينبغي له السعى في كل ما يكون ذريعة إلى ذلك . وينبغي احتفاظه بفاضل أوقاتهم ، ووضعهم في مستحق : من مسكين أو هرّة ونحو ذلك ، ولا يرميه ؛ فليس من شيمتهم^(٢) طرح الزاد . وينبغي له تمييز^(٣) وقفهم كما ذكرناه في مباشرى الأوقاف .

المثال الحادى والسبعون

شيخ الزاوية

وغالب الزوايا في البرارى . فمن حقه تهية الطعام للواردين والمجتازين ، ومؤانستهم إذا قدموا ، بحيث تزول خجلة^(٤) الغربة عنهم . ولا بأس بإفراد مكان للوارد ؛ لئلا يستحي وقت أكله وراحته .

المثال الثانى والسبعون

أصحاب الحرف والصناعات . والتجار ، وأصحاب الأموال

على صاحب المال أداء الزكاة ، على ما عرف في الفقهيات . وما أقبح من أعطاه

(١) كذا في ف . وفى د (والله الحمد والملة) .

(٢) كذا في ف ، ل ، ر . وفى د ، ط (شيمتهم) .

(٣) كذا في ل ، د ، ر . وفى ط (تميز) . وفى ف وهامش ل (تميز) .

(٤) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفى د (خجلة الغربة) .

الله مالا ، وخوِّله ^(١) نعمة فلما دنا الحوْل عمَد إلى حيلة من مسقطات الزكاة فاعتمدها ؛ بخلا ^(٢) على الله تعالى ! وإن هذا لجدير بزوال نعمته ؛ بل حقُّ عليه إخراجها . وله دفعها إلى الإمام إذا كان عادلا ؛ وكذا إذا كان جائراً ، على ما رجَّحه الرافعي والنووي ؛ وهو الجديد . والمختار عند الشيخ الإمام خلافه ٧ ولا يسقط ^(٣) فرض الزكاة عن المالك إذا أخذها السلطان ، إلا إذا نوى المالك بذلك الزكاة ، وأخذها السلطان على الوضع أو إذا أخذ السلطان الزكاة ، ودفعها المالك ، ناوياً الزكاة ، سقطت عنه ، وإن لم يصرفها السلطان في مصارفها ؛ فقد صارت في ذمته ، إلا أن يأخذ القيمة عنها ؛ كما إذا أخذ عن الغنم الدراهم ؛ فإنَّ الزكاة لا تسقط عنَّ لا يعتقد إخراج القيمة .

المثال الثالث والسبعون

صاحب الزرع والشجر

ومن حقّه أن يتعهّدها بالسقي ؛ فإنَّ ترك ذلك مكروه ؛ لما فيه من إضاعة المال . ولذلك كره العلماء ترك عمارة الدار إلى أن تخرب . وأما أصل بناء الدور للحاجة فلا يكره . والأولى ترك الزيادة ؛ وربما قيل : تكره الزيادة على قدر الحاجة . وليعلم صاحب الزرع أنَّ الزكاة واجبة في الأقوات ، وما تكمل به الأقوات : كالحنطة والعَدَس وغيرهما . ولا تجب في شيء من الفواكه ؛ إلا في الرُّطَب والعنب . ولا تجب الزكاة في شيء من ذلك حتى يبلغ نصاباً . والنصاب خمسة أَوْ سُق : أي خمسة أحمال ، كل وَسُق تقديره ألف رطل وستائة ^(٤) رطل بأرطال بغداد .

(١) كذا في ف ، ز ، د . وفي ل (وخوله ونعمه) . وفي ط (وحوله نعمه) .

(٢) في ل (بخيلاً) .

(٣) هذه الزيادة في ل ، ط .

(٤) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفي ط (ألف رطل بأرطال بغداد) .

المثال الرابع والسبعون

الصيادون

ويجوز الاصطياد بجوارح السباع ؛ كالكلب ، سواء أكان أسود أم لا ، والفهد والنمر وغيرهما ، وبجوارح الطير ؛ كالبازي والشاهين والصقر . فما أخذته ، وجرحته ، وأدركه صاحبها ميتا ، أو في حركة المذبوح حل أكله . ويقوم إرسال الصائد وجرح الجارح في أى موضع كان مقام الذبح في المقدور عليه . ثم يستحب أن يمر السكين على حلقة ؛ ليرى . فإن لم يفعل ، وتركه حتى مات ، فهو حلال . وإن أدركه وفيه حياة مستقرة ، ولكن تعذر ذبحه من غير تقصير من الصائد ، كما إذا أخذ الآلة ، وسلّ السكين فمات قبل إمكان ذبحه فهو حلال أيضاً ؛ للعذر . وإن كان بغير عذر كما إذا نشبت^(١) السكين في غمدها ، فلم يتمكن من إخراجها حتى مات فهو حرام ، على الصحيح ؛ لأن حقه^(٢) أن يستصحب غمداً يواتيه . ولا بد من قصد الصائد . فلو كان في يده سكين فسقط فأنجرح به صيد ومات لحرام ، خلافاً لآبي إسحاق المرؤزي^(٣) ولو أرسل سهماً في الهواء ، فصادف صيداً فقتله ، لم يحل على الأصح ؛ لأنه لم يقصد الصيد . ولو رأى جماعة من الغزلان فأعجبته منها واحد ، فرمى سهماً نحوه ، فأصاب غيره من الطباء ، فهو حلال ؛ وقيل حرام ؛ لأنه قصد غيره ؛ وقيل : إن أصاب ظيئاً من تلك الطباء التي رآها فهو حلال ، وإن أصاب ظيئاً لم يقع عليه بصره ، فهو حرام . ولو رمى إلى خنزير ، فلم يصادفه ، بل صادف غزالاً فهو حرام ، على الصحيح .

(١) كذا في ف ، ل ، د . وفي ط (نشبت) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (لأن من حقه) زيادة من .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز ، د . وفي ط (" شهر رورى ") .

المثال الخامس والسبعون

شاذّ العائر^(١)

ومن حقه اللطف والرفق بالبتّائين ، وألّا يستعمل أحداً فوق طاقته ، ولا يُجيعه ؛ بل يمكنه من الأكل ، أو يُطعمه بحسب ما يقع الشرط عليه^(٢) . وعليه أن يُطلق سراحه أوقات الصلوات ؛ فإنها لا تدخل تحت الأجرة . وما يعتمد به بعضهم من تسخير البتّائين ، وإجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم ، واستعمالهم فوق طاقتهم من أقبح الحرمات^(٣) ، وأشنع الجراءات^(٤) على الله تعالى في خلقه . وأقبح من ذلك أنهم يعتمدونه في بناء المساجد والمدارس ؛ فليت شعري بأية^(٥) قربة يتقربون ! .

المثال السادس والسبعون

البتّاء

ومن حقه ألا يزخرف بالذهب ؛ لأنه يحرم تمويه السقوف والجدران به ، وإن لم يحصل منه شيء بالعرض على النار ؛ وأكثر من يبني لا يسلم من ذلك .

المثال السابع والسبعون

الطينان^(٦)

ومن حقه ألا يُطين مكاناً قبل الكشف عنه : هل فيه شيء من الحيوانات أو لا ؛ فأنت ترى كثيراً من الطينانين يعجلون في وضع الطين على الجدار^(٧) ؛

(١) كذا في د ، ط . وفي ف (مشد) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (عليه الشرط) .

(٣) كذا في ف ، د . وفي ط (المحرمات) .

(٤) كذا في ف ، وفي باقي النسخ (الجراءة) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (بأي) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (المطين) .

(٧) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (الجدران) .

وربما صادف ما لا يحل قتله لغير ما كلة من عصفور ونحوه ، فقتله ، واندمج في الطين ؛ ويكون حينئذ خائناً لله تعالى من جهة قتله هذا الحيوان ، ولصاحب الجدار من جهة جعله مثل ذلك^(١) ضمن جداره . وكثير من الطيَّانين لرغبتهم في الأجرة وسرعة العمل يدعوهـم داع^(٢) إلى تبويض جدار ، فيرون ذلك الجدار ماشقاً آثلاً إلى السقوط ، فلا ينهبون صاحبه ؛ بل يُطينونه ، رغبة في الأجرة ، ويعمى خبره على صاحبه ، ويكون^(٣) ذلك سبباً لوقوعه على نفس أو أكثر ؛ وذلك من الخيانة في الدين .

المشال الثامن والسبعون

معلم الكتاب

وينبغي أن يكون صحيح العقيدة ؛ فلقد^(٤) نشأ صبيان كثيرون عقيدتهم فاسدة ؛ لأنّ فقيهمهم كان كذلك . فأول ما يتعين على الآباء الفحص عن عقيدة معلم أبنائهم قبل البحث عن دينه في الفروع ؛ ثم البحث عن دينه في الفروع . ومن حقّ معلم الصغار ألاّ يعلمهم شيئاً قبل القرآن ، ثم بعده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يتكلم معهم في العقائد ؛ بل يدعهم إلى أن يتأهلوا حقّ التأهل ، ثم يأخذهم^(٥) بعقيدة أهل السنة والجماعة ؛ وإن هو أمسك عن هذا الباب فهو الآحوط . وله تمكين الصبي المميز من كتابة القرآن في اللوح وحمله ، وحمل المصحف وهو محدث^(٦) .

(١) كذا في ف ، د . وفي ط (في ضمن) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (ندعوهـم إلى تبويض) .

(٣) كذا في ف ، د . وفي ط (فيكون) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (ففد) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (يأخذ) .

(٦) كذا في ط . وفي ف ، د (وهو جب) .

المثال التاسع والسبعون

الناسخ

ومن حقه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضلّة ؛ ككتب أهل البدع والأهواء ؛ وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها ؛ كسيرة عنتر وغيرها من الموضوعات المختلفة^(١) التي تضيع الزمان ، وليس للدين بها حاجة ؛ وكذلك كتب أهل المجنون . وما وضعوه في أصناف الجماع ، وصفات الخور وغير ذلك مما يبيع المحرمات . فنحن نحذّر النساخ منها ؛ فإن الدنيا تغرهم^(٢) . وغالباً مُستكتب هذه الأشياء يعطى من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب كتب العلم . فيلغى للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه . ومن النساخ من لا يتقى الله تعالى ويكتب عن عجلة ، ويحذف^(٣) من أثناء الكتاب شيئاً ؛ رغبة في نجاحه^(٤) إذا كان قد استوجر على نسّخه جملة . وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم ، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط^(٥) ببعض ، ولمصنف الكتاب في بّره^(٦) تصليفه وللذى استأجره^(٧) في سرقة منه هذا القدر . قال أصحابنا : ولو استأجره ليكتب شيئاً ، فكتبه خطأ ، أو بالعريّة فكتبه بالعجمية ، أو بالعكس ، فعليه ضمان نقصان الورق ، ولا أجرة له . قال النووي — ويقرب منه ما ذكره الغزالي في الفتاوى — إنه لو استأجره لنسخ كتاب ، فغير ترتيب الأبواب ، فإن أمكن بناء بعض المكتوب [على بعض^(٨)] : بأن كان عشرة أبواب ، فكتب الباب

(١) كذا في ط . وفي ف ، د (المختلقة) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط فقيها (تفرّهم) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقيها (أو يحذف) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا د فقيها (إنجازه) وكذا في هامش ل .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقيها (غير مرتبط بعضه ببعض) .

(٦) كذا في د . وفي ل ، ر ، ط (تبتيره) (وأما في ف فغير واضحة) .

(٧) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقيها (استأجر) .

(٨) كذا في د . وقد سقطت هذه الريادة من باقي النسخ .

الأول آخرًا منفصلاً ؛ بحيث يبنى عليه ، استحقَّ بقسطه من الأجرة ؛ وإلاّ فلا شيء له . واستفتى الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في ناسخ استأجره مُستأجر على أن يلسخ له ختمة بأجرة معيّنة ، فتأخّر الناسخ عن كتابتها مدّة سنة ، وفي تلك المدّة جاد خطه ، فهل له أن يطلب زيادة على تلك الأجرة لأجل جودة خطه ، أو يختار الفسخ ، فأقضى بأنه ليس له واحد من الأمرين ؛ بل عليه كتابتها بتلك الأجرة . ومن يستأجر^(١) ناسخاً يبين^(٢) له عدد الأوراق والأسطر في كل صفحة . واختلف في الخبر إذا لم يعيّن على من يكون^(٣) ، فالأصح الرجوع إلى العادة ؛ فإن اضطربت وجب البيان ، وإلاّ فيبطل العقد .

المثال الثمانون

الورّاق

وهي من أجود الصنائع . لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف^(٤) ، وكتب العلم ، ووثائق الناس وعُهدهم^(٥) . فمن شكر صاحبها نعمة الله تعالى أن يرفق بطالب العلم وغيره ، ويرجّح جانب من يعلم أنه يشتري الورق لكتابة كتب العلم ، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب مالا يلبيغى : من البدع والأهواء ومن شهادات الزور والمرافعات وأنحاء ذلك .

المثال الحادى والثمانون

المجلّد

وعليه نحو ما على الورّاق والناسخ .

-
- (١) كذا في ف ، د . وفي ط (استأجر) .
 - (٢) كذا في ف ، د وفي ط (بين) .
 - (٣) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (على من يكون إذا لم يعين) .
 - (٤) كذا في ل ، ط . وفي ف ، د (المصحف) .
 - (٥) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (وعهدتهم) .

المثال الثاني والثمانون

المذهب

ومن حقه ألاّ يذهب غير المصحف . وقد عرف اختلاف الناس في تحلية المصحف بالذهب . والذي صححه الرافعي والنووي الفرق بين أن يكون لامرأة فيحل ، أو لرجل فيحرم . والمختار عندنا أنه يحل تحليته مطلقا . وأما غير المصحف فاتفق الأصحاب على أنه لا يجوز تحليته بالذهب .

المثال الثالث والثمانون

الطبيب

ومن حقه بذل النصح ، والرفق بالمريض . وإذا رأى علامات الموت لم يكره أن يذبه على الوصية بلطف من القول . وله النظر إلى العورة عند الحاجة بقدر الحاجة . وأكثر ما يؤتى الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض ، واستعجاله في ذكر ما يصفه ، وعدم فهمه مزاج المريض ، وجلوسه لطب قبل الناس استكمال الأملية ؛ قال بعض الشعراء :

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه وبكحله الأحياء والبصراء
فإذا نظرت رأيت من عميانه أمأ على أمواته قراء

وعليه أن يعتقد أن طبه لا يرد قضاء ولا قدرا ، وأنه إنما يفعل أمثالا لأمر الشرع ، وأن الله تعالى أنزل الداء والدواء ؛ وما أحسن قول ابن الرومي :

غلط الطبيب على غلطة مُورد عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار^(١)

(١) كذا في كل النسخ ما عدا د ففها (المقدار) .

المثال الرابع والثمانون

المزِين

وعليه مثل ما على الطبيب ، وكثيراً ما يقصد بعض السَّفَلَة والرَّعَاع جبَّ ذكره ؛ كما يفعله المبتدعة ومن غلبه حبُّ من لا يصل إليه من لا يكون عقله ثابتاً ؛ فلا يحل للمزين مطاوعته على ذلك ، ومن الناس من يأتي المزين ليشقّب أذنيه ويضع فيهما حلقتين .

المثال الخامس والثمانون

الكَحَّال

وعليه مثل ما على المزين من الاحتياط .

المثال السادس والثمانون

الحائِك

ومن حقّه ألا ينسج ما يحرم استعماله ؛ لئلا يكون معيناً على معصية . فلا ينسج ثوب حرير لا يستعمله إلا الرجال ؛ أما إذا استعمله الرجال والنساء ، والصبيان فلا يُمنع لأنه لم يتعين أن الذى يلبسه رجل بالغ ، وفى نسج الشياب المصوّرة وجهان ، أحدهما التحريم أما المركب من الحرير وغيره فالمذهب أنه إن كان الحرير أكثر وزناً حرم ، وإن كان غيره أكثر أو استويا لم يحرم ، ويجوز جعل طراز من حرير بشرط ألا يتجاوز قدر أربع أصابع .

المثال السابع والثمانون

القِيمُ في الحَمَام

وعليه ألا ينظر إلى عورة من يغسله ، ولا يلبس شيئاً منها بدون حائل .
ومن جلس بين يدي حلاق ليحلق رأسه فحلق ، فالصحيح في المذهب أنه لا تجب
الآجرة ؛ والقيم مفرط حيث لم يشترط قبل أن يحلق . والمختار عندي — وهو
وجه في المذهب — أنه يلزمه آجرة إذا جرت العادة بذلك ، وكان القيم معروفاً
به . وسئل شيخ الإسلام عزّ الدين بن عبد السلام : هل يجوز تدليك الأجسام ،
وغسل الأيدي بالعدس ؟ فأجاب في الفتاوى الموصلية : العدس طعام يحترم كما
يحترم الطعام ؛ فإن استعمل لغير ذلك بسبب مرض يداوى به مثله فلا بأس .

المثال الثامن والثمانون

الدَّهَان

وعليه ألا يصور صورة^(١) حيوان ، لا على حائط ولا سقف ولا آلة
من الآلات ، ولا على الأرض . وأجاز بعض أصحابنا التصوير على الأرض
ونحوها ؛ والصحيح خلافه . وقد لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
المصورين ، وقال : إنهم من أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

المثال التاسع والثمانون

الخِيط

ومن حقّه ألا يخيط حريراً ، ولا يجعله بطانة لمن يحرم عليه استعماله ؛
كالرجال . أمّا النساء والصبيان فاستعماله لهم غير حرام : وإن جاوز الصبي سنّ

(١) كذا في ف ، ط . وفي د ، ل . ر (صورة) .

التمييز ؛ خلافا للرافعي في الشرح . وعلى الخياط أن يحترز عند قطع القماش ، ويقدر ، ويستأذن ، فيكون^(١) على بصيرة . فلو قال الرجل للخياط : إن كان هذا الثوب يكفيني قيصاً فاقطعه ، فقطعه ، فلم يكفه ، ضمن الأرض ، لأن الأذن مشروط بما لم يوجد . وإن قال : هل يكفيني قيصاً ؟ فقال : نعم ، فقال : اقطعه ، فقطعه ، فلم يكف ، لم يضمن ؛ لأن الأذن مطلق وإن تقدمته قرينة ؛ لكن كان من حق الخياط ألا يتكلم على جهالة ، ويجوز للخياط أن يخييط بالحرير .

المثال التسعون

الصباغ

ومن حقه ألا يصبغ بمحرم . ولقد كثر منهم الصبغ بالدماء ؛ وذلك محرم ؛ فإن صبغ بالدم ، وغسل بعد ذلك ، فذهب الريح والطعم ، وبقي اللون ، وعُسرت إزالته ، فالأصح أنه لا يضر . ويقال : إن الثياب الحمر الصوف المربعة كلها من هذا القليل . والصحيح أنه يحرم على الرجل لبس الثوب المزعفر والمعصر . ولو دفع الرجل خرقة إلى صباغ فصبغها حمراء ، وقال : كذا أمرتني^(٢) ، فقال الدافع : لم أقل لك : اصبغ إلا بالأسود ، أو دفع خرقة إلى خياط ، غطاها قباء ، فقال : ما أمرتك إلا بقميص ، فالأصح أن القول قول المالك ، فيحلف ، ويلزم الصباغ والخياط أرشُ النقص .

(١) كذا في ز وهامش ل . وفي باقي النسخ (ويستأذن على بصيرة) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف قفيها (أذنتي) .

المثال الحادى والتسعون

الناطور^(١)

ومن حقّه ملاحظه الثياب ، استُحْفِظَ أم لم يُستَحْفَظَ . وحكى القاضى عن
الأصحاب أنّه لا يجب عليه إذا لم يستحفظ الحفظ ؛ قال : وعندى أنّه يجب^(٢) .
ولو سرقت الثياب من مَسْلَخِ الحمام ، والناطور^(٣) جالس فى مكانه مستيقظ
فلا ضمان عليه ؛ وإن نام ، أو قام من مكانه ، ولم يستنبأ أحدا موضعه ضَمِنَ .

المثال الثانى والتسعون

الفرّاشون

ومن وظائفهم^(٤) ضرب خيام الأمراء .
وحقّ عليهم ألا يحتجروا^(٥) على الناس ويمنعوهم أرض الله الواسعة ؛
فإذا أظلم فرّاش الأمير وغيره^(٦) إذا جاء إلى ناحية من الفضاء ، فوجد فقيراً
قد سبق إليها ، ونزل فيها ، فأقامه منها ، ليخيم للأمير مكانه . وحكم الله أن
السابق أولى ، والأمير والمأمور فى ذلك سواء .

(١) كذا فى كل النسخ ماعدا ف فقيها (الناطور) بالطاء المعجمة والناطور : حارس الحمام .

(٢) كذا فى ف . وفى د (تجب للعادة) وفى ل (يجب للعادة) وفى ز (وعندى بحسب العادة)

وفى ط (يجب بحسب العادة) .

(٣) كذا فى ف ، د ، ل ، ر . وفى ط (ومن حقهم ضرب) .

(٤) كذا فى كل النسخ ماعدا ط ففيها (يحتجروا) .

(٥) كذا فى ف ، ل ، ز . وفى ط ، د (أو غيره) .

المثال الثالث والتسعون

البابا^(١)

ومن حقّه أن يحرص على إزالة نجاسة الثياب عند غسلها ، فيحترز من البول والغائط والمذى والدم ونحو ذلك ؛ فإنه متى لاقى شيء منها بدن الإنسان أو ثوبه لم تصح معه صلاته . فإن علمه البابا في ثوب شخص ولم يُزله بقي ذلك في ذمّته . فعليه إفاضة الماء في محل النجاسة ، بحيث تضمحل ، ويذهب طعمها ، وكذلك لونها وريحها ، إلا أن يعلّق اللّون بالمحلّ كالدم ، فيعفى عنه . وأمّا بول الغلام الرضيع فيكفى فيه رش الماء . وأمّا دم البراغيث والجراحات البدنية ، والدمامل واليسير من طين الشوارع فمعفو عنه . وإذا غسل البابا ذلك كله فهو أولى وأحرى .

المثال الرابع والتسعون

الشرّ بدار

ومن حقّه^(٢) أن يحترز فيما يسقيه لمخدومه من وصول شيء إليه ينجّسه أو يقدّره . وإيّاها أن يسقيه محرّماً . ويأويحه إن سقاه سمّاً قاتلاً . ويحافظ على النظافة في أوانيهِ وثيابه ، والرائحة الطيبة فيها ما أمكنه .

(١) البابا لقب لمن يتعاطى الغيل والصفل للثياب وغير ذلك . وهو لفظ رومى معناه الأب . وكان له لقب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه لمخدومه ، من نظيف قاشه ونحسين هبّاه أسسه الأب البمفيق . عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) كذا في ط ، ل . وأمّا ف ففيها الزيادة الآنية :

الشر بدار : من كآب بدل النجائع الشرعية الزمام تمس الدس محمد المدسى قال : وعلمه مما يسقيه الخ . وسقط هذا كآه في د غير أنه قال : وسقط كآه في السعادة .

المثال الخامس والتسعون

الطشتدار

اسم لمن يصبّ الماء على يد المخدم .
وهو من أقبح التنطع والبدع . ومن أدبه الاحتراز من ملاقة ماء الوضوء ماءً^(١) طهوراً أو غيره . أما الاستعانة في الوضوء بغيره فإن استعان بمن يحضر له الماء للطهارة فلا يكره . وإن استعان به ليصب^(٢) عليه الماء — وهو ما يفعله الطشتدار — ففي كراهته خلاف للأصحاب ؛ والأصح أنه لا يكره . وإن استعان به ليغسل أعضائه فهو مكروه بلا خلاف ؛ إلا أن تدعو إليه^(٣) ضرورة ؛ كما إذا كان أقطع ، فتجب الاستعانة . وما يفعله أهل الدنيا من نصب أناس بالمرصاد لصبّ الماء على أيديهم عقيب الطعام ليس بمكروه ؛ ولكنه زيادة في الدنيا . وكان الشيخ الإمام لا يفعله . وأما الاستعانة في الوضوء فلها طعن في السنّ كنت أراه يمكن من يصبّ^(٤) الماء على يديه ، ولا يمكن من صبه على رجله . وكنت أفهم لذلك منه سرّين : أحدهما أنه والحالة هذه لا يكون قد استعان في وضوئه بأحد بل في بعض وضوئه ، والثاني أن في الصب على الرجلين من الرعونة والتنطع أكثر مما في الصب على غيرهما .

المثال السادس والتسعون

الصيرفي

ومن حقه ألا يخلط أموال الناس بعضها ببعض . وأكثر الصيارف يخلطون فيصيرون عامة أموال الخلق حراما ، والناس لا يدرون . فهم إذا في ذمة

(١) كذا في ف ، د . وفي ط (ماء غير طهور أو غيره) .

(٢) كذا في د ، ل ، ز . وفي ف غير واضحة وفي ط (وإن استعان بمن يصب) .

(٣) كذا في كل النسخ ماعدا ف فيها (إلا أن تدعو له ضروره) .

(٤) في نسخة على هامش ل (صب) .

الصيارف . ومن حقه أيضاً معرفة عَقْد الصرف ، وألا يبيع أحد النقدين بالآخر نسيئة بل نقداً . ولو سلم صبي درهما إلى صير في لينقده لم يحل للصير في رده إليه ، وإنما يرده إلى وليه . ولو تلف في يد الصير في لزمه ضمانه . ولا يجوز تولية الذمّي صيرقياً في بيت المال .

المشال السابع والتسعون

المُكَارِي

ومن حقه التحفُّظ فيمن يُركبه الدواب . ولا يحل لمكار يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُكاري دابته من امرأة يعرف أنها تمضي^(١) إلى شيء من المعاصي ؛ فإنه إغانة على معصية الله تعالى . وكثير من المكارية لا يعجبه أن يكاري إلا الفاجرات من النساء ، والمغاني منهن ؛ لمغالاتهن في الكراء ؛ فإنهن يعطين من الأجرة فوق ما يعطيه غيرهن فتغره الدنيا . فيدبغى أن يعلم أن فلساً من الحلال خير من درهم من الحرام . ومما تعم به البلوى مكار يكاري امرأة جميلة إلى مكان معيّن ، ويمشي معها ، وفي الطريق^(٢) مواضع خالية من الناس كما بين البساتين ؛ فإن في معاطفها أما كن لو شاء^(٣) الفاسق لفعل فيها ما شاء الله من الفجور . والذي أراه أن حكم ذلك حكم الخلوة بالاجنبية ، فلا يجوز . ومن كان مع دابة أو دوابٍّ ضمّن ما تُتلفه من نفس أو مال ، ليلا كان أو نهاراً . أمّا^(٤) إذا بالت في الطريق فتلف به نفس^(٥) أو مال فلا ضمان

(١) كذا في ف ، ط ، د . وفي ر ، وهامش ل (تمشي) .

(٢) كذا في ف ، د ، ز . وفي ط (ويمشي معها إلى مواضع خالية) . وفي ل (ويمشي معها في الطريق مواضع خالية) .

(٣) كذا في د ، ط . وفي ف (لو شاء الله لفعل الفاسق فيها ما شاء الله) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (وأما) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقها (من نفس ومال) .

وعلى الراكب الاحتراز عما لا يعتاد^(١) : كسوق شديد في الوحل . فإن خالف وجب عليه ضمان ما تولد من ذلك . ومن حمل حطباً على بهيمة ، أو على ظهره فحكّ جداراً فسقط الجدار ضمنه . وأما ما تضعه المكارية من الجلاجل في رقاب الخير فإنه مكروه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصحب^(٢) الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس ؛ وقال صلى الله عليه وسلم : الجرس من أمار^(٣) الشيطان ؛ رواهما مسلم .

المثال الثامن والتسعون

العرّيف

المثال التاسع والتسعون

النقاشون

المثال المائة

غاسل الموتى

وعليه استيعاب البدن بالماء ، بعد أن يزيل ما عليه من نجاسة^(٤) . ولا يجب عليه نيّة الغسل على الأصح^(٥) ، ولكن الأولى أن ينوى ؛ خروجاً من الخلاف . ويستحبّ أن يغسل في موضع مستور لا يدخله سواه وسوى من

(١) كذا في ف . وفي ط (الاحتراز عما لا يعتاد) وفي د (وعلى راكب الدابة الاحتراز بما لا يعتاد) .

(٢) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفي ط (إن الملائكة لا تصحب رجلاً) .

(٣) كذا في الصحيح ما عدل ، ز ففيهما (من أمار الشيطان) .

(٤) كذا في ف ، ط . وفي ل ، د (من النجاسة) .

(٥) كذا في ط ، د . وفي ف : (على الصحيح) .

يعينه ووليّ الميت إن شاء . ويكره أن ينظر إلى شيء من بدنه إلا حاجة .
ويُغسل في قميص بال أو سخيّف ، فيُدخلُ الغاسلُ يده من تحت القميص
ويغسله . وحمل الميت برّ وإكرام لا شيء فيه من الدناءة .

المثال الحادى بعد المائة

السِّجَّان

ومن حقه الرفق بالمحبوسين ، ولا يمنعهم من الجمعة إلا إذا منعهم القاضى
من ذلك . وقد أقي الغزاليّ بأن للقاضى المنع من ^(١) الجمعة إذا ظهرت المصلحة
فى المنع . ولا يمنع المحبوس من شمّ الرياحين إن كان مريضاً . ويمنع من
استمتاعه بزوجته ، دون دُخُولها لحاجة له . وإذا علم السِّجَّان أن المحبوس
حُبِسَ بظلم كان عليه تمكينه بقدر استطاعته ، وإلاّ يكون شريكاً لمن حَبَسَه
فى الظلم

المثال الثانى بعد المائة

الجزّار

ويجب عليه إذا ذبح قطعُ الحلقوم — وهو مجرى النفس — والمرى —
وهو مجرى الطعام وهو تحت الحلقوم — ولا يكفي قطع واحد منهما ؛
خلافاً للاصطخريّ . ولو ترك من الحلقوم والمرى شيئاً يسيراً ومات
الحيوان فهو مَيِّتة ؛ ولا بدّ أن يصادف الذبح حيواناً فيه حياة مستقرّة
ولأ فلا يحلّ ؛ وذلك يعرف بالعلامات كالحركة الشديدة ونحوها . وكثيراً
ما يصادف الإنسان حيواناً يضطرب فيشكّ هل فيه حياة مستقرّة أولاً ؛
فإذا شك فالأصحّ أنه حرام . ولا يجوز الذبح بظفر ولا عظم . وتستحب

(١) فى ل (فى) .

التسمية على الذبح^(١) خلافاً لأبي حنيفة : فإنه قال : يجب ، ولا يحل المذبح إلا بالتسمية . وتستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح . ولا يحل الذبح باسم غير الله تعالى ؛ وأفتى أهل بخارى بتحريم ما يذبحه أهل القرى عند استقبال السلطان تقريباً إليه ؛ لأنه مما أهل به لغير الله .

المثال الثالث بعد المائة

المشاعلية

وهم الذين يحملون مشعلاً يقذف بالنار بين يدي الأمراء ليلاً . وإذا أمر بشنق أحد أو تسميره أو النداء عليه تولوا ذلك . ومن حق الله عليهم إذا أرادوا قتل أحد أن يحسنوا القتل ، وأن يمكّنوه من صلاة ركعتين قبل القتل لله تعالى ؛ فهي سنة . ومتى أمر ولي الأمر مشاعلياً بقتل إنسان بغير حق ، والمشاعلي يعلم أن المقتول مظلوم ، فالمشاعلي قاتل له ، يجب عليه القصاص . وإن كان ولي الأمر أكرهه ، أو جعلنا أمره إكراها ، فالقصاص حينئذ عليهما جميعاً عند الشافعي رحمه الله على الصحيح من مذهبه .

المثال الرابع بعد المائة

الدّالون

فهم دلال الكتب . ومن حقه ألا يبيع كتب الدين ممن يعلم أنه يضيعها ، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها ، وألا يبيع شيئاً من كتب أهل البدع والآهواء ، وكتب المنجمين ، والكتب المكذوبة ؛ كسيرة عنتر وغيره . ولا يحل له أن يبيع كافراً لا^(٢) المصحف ولا شيئاً من كتب الحديث والفقهاء .

(١) كما في د . وفي ف : المذبح .

(٢) كما في ف . د . و . و . و . و . (لا) من نسخة .

ومنهم دلال الرقيق ؛ فلا يحل له بيع عبد مسلم من كافر ، وبيع المملوك الحسن الصورة ممن اشتهر باللواط ، وبيع العصير ممن يتخذ الخمر ؛ وكلاهما مكروه . وأما^(١) بيع المغاني فيجوز ؛ ولكن إذا كانت جارية فباعها بألفين ، ولولا الغناء لما ساوت إلا ألفا ، فالأصحاب مختلفون في صحة هذا البيع ؛ والأصح الصحة .

ومنهم دلال الأملاك ؛ وعليه التحفظ في ذلك ؛ خشية أن يقع في بيع شيء موقوف ؛ فإن^(٢) هو باع موقوفا فقد شارك البائع في الإثم .

المثال الخامس بعد المائة

بواب المدرسة والجامع ونحوهما

ومن حقه المبيت بقرب الباب ، بحيث يسمع من يطرقه عليه ، والفتح لساكن في المكان أو قاصد مقصداً دليلاً ؛ من صلاة أو اشتغال أى وقت جاء من أوقات الليل . وما يفعله بعض البوابين من غلق الباب في وقت معلوم من الليل ، إما بعد صلاة العشاء الآخرة ، أو في وقت آخر بحيث إذا جاء أحد السكان أو المريدين للصلاة بعده لا يفتح له ، غير جائز ؛ إلا إن تكون مدرسة شرط واقفها ألا يفتح بابها إلا في وقت معلوم . وفي صحة مثل هذا الشرط نظر واحتمال . وأما لو شرطه في مسجد أو جامع فواضح أنه لا يصح .

المثال السادس بعد المائة

سائس الدواب

ومن حقه النصح في خدمتها ، وتنقية الغليق لها ، وتأدية الأمانة فيه ؛ فإنه لا لسان لها يشكوه إلا إلى الله تعالى . وقد كثر من السؤاس تعليق خرز

(١) كذا في ب . وفي د ، ط (أ) .

(٢) في ل (وإن) .

مشمتمل^(١) على بعض آيات القرآن على الخيل رجاء الحراسة ، مع أنها تتمرغ في النجاسة . وأفتى الشيخ عر الدين بن عبد السلام بأن ذلك^(٢) بدعة وتعميرض للكتاب^(٣) العزيز للأهانة .

المثال السابع بعد المائة

الكلابزى

لله^(٤) عليه نعمة : أن جعله خادم الكلاب ، ولم يجعله عاصر نحر ، أو غير ذلك ، ثم ابتلى به بعض عباده فن شكر هذه النعمة أن ينصح في خدمة كلاب الصيد ، وأن يعلم أن في كل كبد حرى أجراً ، وإذا كان له على خدمتها جُعل فهذه نعمة ثانية ، عليه أن يوفى حق شكرها ؛ فإن كان في باب ذى جاء فهذه نعمة ثالثة ، عليه شكر ثالث لأجلها . وعلى هذا فاعتبر .

المثال الثامن بعد المائة

حارس الدَّرب

وحقُّ عليه أن ينصح لأهل الدرب ، ويُسهر عينه إذا ناموا ، يذِّب النوام إذا اغتيلوا بحريق أو غيره ، ولا يدل على عوراتهم والياً ولا غيره .

(١) في ل (بشمل) .

(٢) كذا في كل النسخ ، عدا ط وهامس ل فهبها (أن ذلك لا يجوز وهو بدعة) .

(٣) كذا في ف . وفي د (وتعميرض الكتاب)

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف فهبها (فله) .

المثال التاسع بعد المائة

الطَوْفِيَّة

وهم بين البساتين والمساكن^(١) الخارجة عن البلد كالحارس بين الدروب في وسط البلد . ومن أقبح صنع هؤلاء المداجاة على جلب الخمر لمن يرضيهم بحُطام الدنيا ، فلا ينكرون عليه المنكر مع إنكارهم زائداً على الحاجة على من لا يرضيهم ، وإذا وجدوا قتيلاً في مكان نقلوه إلى مكان آخر ؛ فتارة يجدونه في مكان يقرب من دار من له عندهم يد ، فينقلونه إلى دار من لا يد له عندهم ، أو بينه وبينهم شئان ؛ وتارة تنقله طائفة من الأماكن التي هو في تسليمهم إلى مكان آخر ؛ دفعاً للثَّهْمَة عن أنفسهم ، وإلقاءً لغيرهم فيها ، وكل ذلك قبيح ؛ والواجب إبقاؤه في مكانه ، ورفع أمره إلى وليّ الأمر ليبحث عنه .

المثال العاشر بعد المائة

الكاسح^(٢)

المثال الحادى عشر بعد المائة

الإسكاف

ومن حقّه ألا يخز بنجس : من شعر خنزير أو غيره ؛ فإن الصلاة في النعلين جائزة ؛ صحّ أنه صلى الله عليه وسلم صلى في النعلين . وإنما فعل

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ف فيها (الأماكن) .

(٢) ليس في الأصول المعتبرة كتابة على هذا المثال . وفي هامش ف ما يأتى « من كتاب بدل الصاغ انشريعة الامام شمس الدين محمد المقدسى قال : ويسمى السراياتى . قلت : عايه بدل الاجتهاد في تنظيف الأسربة والفنى ونحوها ، والإخبار عن مائها ودرأها ، وتنظيفها صدق ، لأنها معيبة عن ملاكها ، ولا يمكنهم كشف ذلك وتعاطيه بأنفسهم غالباً » وفي ط (عليه بدل الاجتهاد الخ) .

ذلك بيانا للجواز ، وكان أغلب أحواله صلى الله عليه وسلم الصلاة حافياً ؛ فلو أن الإسكاف استعمل في النعل نجاسة لخان الله والمؤمنين .

المثال الثاني عشر بعد المائة

رماة البندق

وقد أفق الشيخ تاج الدين بن الفركاح بحلّه ، وهو ما ذكره النووي في كتاب المنشورات ، ويوافقهما قول الرافعي : أمّا الاصطلياد بمعنى إثبات اليد على الصيد وضبطه فلا يختص بالجوارح ، بل يجوز بأيّ طريق يتيسر ، فإنّه يتناول الرمي بالبندق ؛ لكن قال ابن يونس في شرح التنبيه : وذكر في الذخائر أنّ الاصطلياد بما لا حدّ له كالدّبوس والبندق لا يجوز ولا يحل . قلت : ويدل له ما في مسند الإمام أحمد من حديث عدّى أن النبي صل الله وسلم قال : « ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكّيت » لكن في سنده انقطاع ؛ وروى البيهقي أن ابن عمر كان يقول في المقتولة بالبندقة : تلك الموقوذة . وقد صرح أصحابنا أن المحدّد إذا قتل بشقه لا يحل ، بل لا بد من الجرح . قالوا : فيحرم الطير إذا مات ببندقة رمى بها ، خدشته أم لا ، قطعت رأسه أم لا .

المثال الثالث عشر بعد المائة

الشحاذ في الطرقات

لله عليه نعمة أنه أودره على ذلك ، وكان من الممكن أن يُخرس لسانه فيعجز عن السؤال ، أو يقعده فيعجز عن السعي ، أو يقطع يديه فيعجز عن مدّهما ، إلى غير ذلك . فعليه ألاّ يلجّ في المسألة ؛ بل يتق الله تعالى ، ويحمل في الطلب . وكثير من الحرافيش اتخذوا السؤال صناعة : فيسألون من غير حاجة ، ويقعدون على أبواب المساجد يشحذون المصلّين ، ولا يدخلون للصلاة معهم . ومنهم من يقسم على الناس

في سؤاله بما تقشعرّ الجلود عند ذكره . وكل ذلك منكر . وبعضهم يستغيث بأعلى صوته : لوجه الله فأس . وقد جاء في الحديث : لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ، وبعضهم يقول : بشيعة أبي بكر فأس . فانظر ماذا يسألون من الحقير ، وبماذا يستشفعون^(١) من العظيم ، ويراهم اليهود والنصارى ، ويرون المسلمين ربّما لم يعطوهم شيئا ، فيشتمّون ويسخرون ؛ وربما كان المسلم معذورا في المنع ، والكافر لا يفهم إلا أن المسلمين لا يكثرثون بذلك . فرأى في مثل هذا الشحاذ أن يؤدّب^(٢) حتى يرجع عن ذكر وجهه الله تعالى ، وذكر شيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونحو ذلك ، في هذا المقام . ومنهم من يكشف عورته ويمشي عُريانا بين الناس ، يوهّم أنّه لا يجد مايستر^(٣) عورته ، إلى غير ذلك من حيالهم ومكرهم وخديعتهم .

ولقد أطلنا في ذكر هذه الأمثلة بحيث^(٤) إنها تحتل مصنفا مستقلا .

والحاصل — وهو المقصود — أنه ما من عبد إلا والله تعالى عنده نعمة ، يجب عليه أن ينظر إليها ، ويشكرها حق شكرها بقدر استطاعته ، حسب ما وصفناه ، ولا يستحقها ، ولا يربأ بنفسه عليها . وذلك ميزان يستقيم في كلّ الوظائف^(٥) ؛ فليعرض كل ذي وظيفة تلك الوظيفة على الشرع ؛ فإن سيّدنا ومولانا ونبيّنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم بين لنا أمر ديننا كلّهُ ؛ فما من منزلة إلا وأبان لنا عمّا ربطه الشارع بها من التكاليف ؛ فليبادر صاحبها إلى امتثاله ، مشرح الصدر ، راضيا ، ويُبشّر عند ذلك بالمزيد . وإلا فإنّ هو تلقّاها بغير قبول ، ولم يعطها حقّها خشي عليه زوالها عنه .

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ط (يستغيثون) . وفي هامش ل (بنسود) . وقد سقط هذا اللفظ من ز .

(٢) كذا في ف ، د ، ر . وفي ل ، ط (يصرب بالسياط) .

(٣) كذا في ف ، ز ، ل . وفي د ، ط (مايستر به عورته) .

(٤) كذا في النسخ كلها ما عدا د ففيها (ومي نحرل) .

(٥) كذا في ف ، د ، ل ، ط . وفي ز و هامش ل (الوظائف) .

واحتياجه إليها ، ثم يطلبها ، فلا يجدها . وإذا زالت فليعلم أن سبب زوالها تفريطه في القيسام بحقها ، وأنا أضرب لك مثلاً ، فأقول : إذا كنت أميراً ، قد خولك الله نعماً هائلة ، لو استحضرت نفسك لوجدتها لا تستحق منها ذرة ، وبِتَّ في بيتك تتقأب في أنعم الله ، بين يديك الدراهم والذهب ، والممالك ، والجواري ، وأبواب الملابس الفاخرة ، وأصناف الملاذ ، ثم أصبحت ركبت الخيول المسومة ، ولبست الثياب الحسنة ، ثم جلست في بيتك لا بساً قباه عظيم ، مطرّزا بالذهب الذي حرّمه الله تعالى على الرجال ، مطرّقا مصمّما بوجه عبوس ، تبرق وترعد كأنك طالب^(١) ثأر من الخلق ، وأخذت تحكم فيهم بخلاف^(٢) ما أمرك الله به ، الذي بتّ تتقلب في أنعمه ، معتقداً أن ما تحكم به هو الإصلاح ، وأن حكم الله تعالى لا ينفع ، فما جزاؤك ! ولم لا تزول عنك هذه النعمة ! فإن ضمنت إلى هذا أنواعاً أخر من المعاصي ، فأنت بنفسك أخبر ، والله عليك أقدر . فاحفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك ؛ تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ؛ خف الله ، الذي يمهّل الظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته . واعلم أنه مامن عمد إلا وعليه حقوق للمسلمين ، يتعيّن عليه توفيتها ، والشكر عليها ، حيث أقامه الله فيها ، واستأهله لها ؛ فإنها خدّمة من خدم الله تعالى . ولا يخفى عليك أن ملكاً لو استخدمك في أيسر حاجة لسُرت بذلك ؛ فكيف بملك الملوك ! ومامن وظيفة إلا والمسلمين حقوق على صاحبها . سمعت الشيخ الإمام رضى الله عنه يقول : لكلّ مسلم عندي ، وعند كل مسلم حق في أداء هذه الصلوات الخمس . ومتى فرّط مسلم في صلاة واحدة كان قد اعتدى على كل مسلم ، وأخذ له حقاً من حقوقه ؛ لعدوانه على حق الله تعالى . قال : ولذلك أسمع^(٣) دعوى من يدعى على تارك صلاة

(١) في ل (كأن لا تاراً على الناس) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (بخلاف الممرع الذي) .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (لم أسمع دعوى على من بدعى) وفي ر وهامس ل (ولذلك أسمع دعوى على كل من بدعى) .

واجبة ، وإن لم يدع على وجه الحسبة ؛ لأن لكل مسلم فيها ^(١) حقاً ؛ فيقول : أدعى على هذا أنه ترك الصلاة الفلانية ، أو اعتمد فيها ما يُفسدها ، وقد أضرت بي في ذلك ، فأنا مطالبه بحقّ . قلت : ولم ؟ قال : لأن المصلّي يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : إن المصلّي إذا قال هذا أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض . قلت : ورأيت للفقهاء ما يقتضى ذلك .

إذا فهمت أيّها العاقل — وفقنا الله وإياك لمرضاته وأحلنا وإياك بكرامته بحبوحه جنّاته — ما شرّ حناه لك ، فإذا انزوت عنك نعمة ، فأول متعين عليك ، إن كنت باغياً عودها ^(٢) ، البحثُ عن سبب انزوائها : بأن تنظر إلى وظيفتك ، وتفريطك فيها ، بالإخلال بواحدة من وظائف الشكر ، وتعلم أنك أُتيت منها ، فتذكر ذلك . فتى ذكرته وكان تعلّق قلبك بها صادقاً ، وعلمت أنه السبب في زوالها ، ندمت — ولا بد — عليه وتبت عنه ^(٣) ، وعقدت النية على أنك إن عادت إليك النعمة لم تعد إليه . فإن قلت : لا أذكر تفريطاً ، فأنت إذا جاهل . واعلم أن للشيطان وساوس وتخيلات ^(٤) ، وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وأن أعدى عدوّ ^(٥) لك نفسك التي بين جنبيك ، وأنهما — أعنى نفسك والشيطان — ربما أرياك الباطل حقاً ، واسترقاك من حيث لا تدري ، واسترقاك ^(٦) وأنتَ تظن أنك حر ، فاقطع واجزم بأنك مفترط لا محالة ، واستغفر الله تعالى ، واضرع إليه . وإن لم تدر وجه التفريط بخصوصه ، فاعلمه على الجملة . ولا يكن عندك شك في أن هناك تفريطاً ، فهمته ، أم جهلته ،

(١) كذا في د ، ط . وفي ف (لكل مسلم حقاً) .

(٢) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفي هامش ل (إن كنت ترجو عودها عليك) وفي ط (ترجو عودها) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفي ط (وتبت منه) .

(٤) كذا في ف ، د وهامش ل ، ط . وفي ز (وتخلّلات) .

(٥) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط (أعدى عدوك) .

(٦) كذا في ف ، د ، ل ، ر . وفي ط (واسترقاك من حيث لا تدري واستعبداك) .

وأنتك منه أُتيت . فإنك إذا علمت ذلك ، وأيقنت به ، فهمت أن الحق تعالى عادل فيك ، غير ظالم لك ، بل محسن إليك ، أسداك نعمة بلا استحقاق ، فما رعيثها حق رعايتها ، فزَواها [عنك^(١)] . فعليك شكر تلك الأيام التي كنت متلبساً بها فيها ، والاستغفار من تغريطك . أرايت رجلاً أجلسك في داره يطعمك ويسقيك عشرة أيام ، ثم قال لك : انصرف ، أياكون مسيئاً إليك ، أم محسناً ؟ إن قلت : مسيئاً^(٢) إليك ، فأنت مجنون ؛ فإنه لم يكن عليه حق لك ، وقد أحسن إليك هذه المدة . فبأى طريق يجب عليه أن يديمها : وإن قلت : يكون محسناً ، وقد أزالها بلا سبب ، فما ظنك برب لا يزيل النعمة إلا بسبب منك ! ألسنت أنت الظالم ! حكى أن ملكاً مات له ولد ، فأفخس في إظهار الحزن عليه ، والتسخط بسبب ما أصابه . فأتاه آت ، فقال : أيها الملك ، إن لي صاحباً أودعني جوهرة ، فكانت عندي مدة ، أتلذذ برؤيتها ، ثم إنه استرجعها ، وأنا أسألك طلبه ، وإلزامه بإعادة الإيداع . فقال له : كيف ألزمه بأن يودع ماله عندك ؛ فقال له : فالتت أودع عندك ولداً لك هذه المدة ، ثم استردّه ، فلم هذا التسخط ، فانشرح صدر الملك ، ورفع العزاء . [وأنشد بعضهم^(٣)] :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن تُرد الودائع

فإن قلت : قد يزيلها زيادة في رفع الدرجات ، فاعلم أن هذا مقام عسير ، لم تصل أنت إليه ، فليس كلامي مع أهل هذه الطبقة ؛ إنما كلامي مع جمهور أهل هذا الزمان ، الذي اندفعنا إليه . ولو كان كلامي مع أهل هذا المقام لقلت لهم : تلك نعمة تبدلت بأعظم منها ؛ ولا يقال : إنها زالت . ولهذا شرح طويل ليس من غرض هذا الكتاب .

فهذه واحدة من الأمور الثلاث ، التي بمجموعها تعود النعمة وتزول النعمة .

(١) كذا في ط . ولم تذكر هذه الريادة في ف ، د .

(٢) كذا في ف ، د ، ط ، ل . وفي ر وهامش ل (إن قلت تكون مسيئاً) .

(٣) كذا في ل . وفي ط (قال الشاعر) . وفي باقي النسخ لم تذكر هذه الزمادة .

الامر الثانى فى فوائد ازوائها ؛ فنقول : قد تعترف بالامر الاول ، وتدعن له ، ولكن تقول فى نفسك : إنه لا خير لى فى هذه المحنة ، وليت النعمة لم تنزل ، وإن كنت أنا السبب فى زوالها . فإن أنت اختلج فى ضميرك هذا ، فاعلم أنك لم توف الشكر حقه ، ولم تحسن السعى فى عودها ، وكنت كمن يأتى البيوت من غير أبوابها ، ويلج الدور بدون حجابها ، فاح ما فى نفسك ، وارجع إلى حسك ، واعلم أن المحنة من الله تعالى ، ليست من أحد غيره . وهذا كما عرفاك فى النعمة سواء . فأول ما تعتقده أن الله تعالى هو الفاعل بك ذلك ؛ لتردك ، وطغيانك . وإن أنت ظننت فى أحد من الخلق أنه الفاعل بك هذا فهذه زلة عظيمة يخشى عليك منها دوام المحنة . فإذا اعتقدت ذلك ، وتلقيت المحنة من الله تعالى فهذه نعمة تورث عندك الفرح بالمصيبة . ثم انظر فى نفسك : أمؤمن أنت أم كافر ؟ فإن كنت كافراً فمصيبتك بالكفر أشد من سائر المصائب ، فابك على تلك المصيبة ، وبادر إلى زوالها ودع عنك الفسكرة فيما عداها . وإن كنت مؤمناً فاعلم أن ما لاقاك به الدهر هو ديدنه وعادته فى حق المؤمنين ؛ فإن دار الدنيا مملكة أعدائك ، ومحلة بلائك ؛ والإنسان لا يكون فى مملكة عدوه مستريحاً ، وإنما يكون مصاباً معذباً بأنواع الانكاد والمتاعب . فلا تستغرب ما أصابك ، بل اعلم أنه القاعدة المستقرّة فى حقيقك ، والغريب ما جاء على خلافها . ولهذا كان سيّد الطائفة الجنيد رحمه الله يقول : لا أستنكر شيئاً مما يقع من العالم ؛ لأننى قد أصّلت أصلاً ؛ وهو أن الدار دار غم وهم وبلاء وفتنة ، وأنّ العالم كلّهُ شرٌّ ، من حقه ^(١) أن يتلقانى بكل ما أكره . فإن تلقانى بما أحبّ فهو فضل ؛ وإلاّ فالأصل الأول . وإنما قلنا : إنّ الدنيا مملكة أعدائنا ، ودار أحزاننا ، لما ثبت وصحّ فى صحيح مسلم وغيره : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) كذا فى ط . وفى ف (من حكمه) وفى . (ومن حكمه) .

إن الدنيا سجنٌ للمؤمن ، وجنة الكافر . فأوضح أن الكافر فيها منعم ، والمؤمن فيها مسجون ، وهل يكون المسجون إلا حزيناً مصاباً ؟ فالأصح أن المؤمن مع الكافر في هذه الدار كأهل السجن مع السلطان . فانظر واعتبر وتأمل قوله تعالى : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقفاً من فضة ، ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبواباً وسُرراً عليها يتكثون . وزخرفاً وإن كل ذلك لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ، فإذا تأملت هذا انشرح صدرك لما يصيبك ، وعلمت أنه دليل على أنك من أهل الإيمان ، المقربين عند الرحمن ، الذين يريد تطهيرهم من الأدناس ، ويحب تصفية قلوبهم من الوسواس . ولذلك كان السلف رحمهم الله تعالى يخشون تتابع النعم ، ويخافون أن يكون [ذلك]^(١) استدراجاً . وأنا قد اعتبرت ، فوجدت القاعدة المستمرة في هذه الأمة أن كل من كان أكثر إيماناً ، كانت الدنيا عنه أكثر انزواءً ، والأكدار عنده أكثر بمن دونه ، ولذلك كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل ، وما أودى نبي أكثر مما أودى سيد الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : وانت فانظر تر الكفار أكثر دنيا من المسلمين ، ثم انظر المسلمين تر الجهال منهم والفسقة أكثر دنيا من أهل العلم وأهل التقوى . ثم انظر أهل العلم والتقوى تر كل من زاد فيهما نقص في الدنيا بحسب ذلك . وإن عددت من جمع له العدل والملك ، أو العلم والمال ، أو التقوى والمال ، لم تر إلا آحاداً محصورين ، وأناساً كانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم ، وكان^(٢) ذلك لمصلحة اقتضتها حكمة الرب تعالى ، خرجوا بها عن القاعدة . قيل للحسن البصري رحمه الله : أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا إدباراً) ، فما بال عمر

(١) كذا في ط . وفي ف ، د (أن يكون استدراجاً) .

(٢) كذا في ط . وفي ف ، ل (وكان مع ذلك لمصلحة اقتضتها) . وفي ر (وكان مع ذلك

لمصلحة) . وفي د (وكان مع ذلك مصلحة) .

ابن عبد العزيز — وهو سيد أهل زمانه — ولي بعد الحجاج وهو خبيث هذه الأمة ! فقال : لا بدّ للزمان أن يتنفس . فإذا علمت أن إنكاد المؤمنين طبع الزمان ؛ كما قال التهامي :

حكم المنيّة في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بيننا ترى الانسان فيها مخبراً ألفتته خبراً من الأخبار
طبعت على كدر ، وأنت تريدها صفواً من الأقدار ^(١) والأكدار
ومكّلف الأيام ضدّ طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبنى الرجاء على شفير هار
والعيش نوم والمنيّة يقظة والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجّالا ، إنّما أعماركم سفر من الأسفار
وتركّضوا ^(٢) خيل الشباب وبادروا أن تُسترد فإنهنّ عوار
ليس الزمان وإن حرّصت مسلماً طبع ^(٣) الزمان عداوة الأحرار
فما أجهل من يقول : ما بال فلان المستحقّ خاملاً ، وفلان غير المستحق
غير خامل ! أما علم أن هذه عادة الزمان ، وأن ذلك عدل من الله تعالى ؛
إذ كونه مستحقاً فضل من الله عليه ، يربو ويزيد على ذلك الحطام الذي هو
حظ من لا يستحقّ . أليس إذا عادل العالم بين العلم مع الفقر ، والجهل مع الغنى
وجد علماً بفقر خيراً من جهل بغنى ، وتقوى بانكسار خيراً من فجور باستكبار !
أنشدنا أبو عبد الله الحافظ إجازة عن شيخ الإسلام أبي الفتح بن دقيق العيد
أنه أنشد لنفسه :

أهل المناصب في الدنيا ورفعها أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لأننا غير جلسهم منازل الوحش في الإهمال عندهم

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ف فيها (٥٠ من الأقدار) .

(٢) في نسخة في هاش ل (تراكضوا) .

(٣) كذا في ف ، د ، وفي ط (خلق الزمان) .

فما لهم في توقّي ضرنا نظر ولا لهم في ترقّي قدرنا هم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم مقدارهم ، عندنا أو لو دروه هم !
لهم مريحان : من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان : العلم والعدم

وهذه الآيات ناقضها أبو الفتح^(١) الثقف فأجاد وأحسن حيث قال :

أين المراتب في الدنيا ورفعها من الذي حاز^(٢) علما ليس عندهم ؟
لا شك أنّ لنا قدراً رأوه ، وما لقدرهم عندنا قدر ، ولا لهم
هم الوحوش ونحن الإنس حكمتنا تقودهم حيث ما شدنا وهم نعم
وليس شيء سوى الإهمال يقطعنا عنهم ، فإنهم وجدانهم عدم
لنا المريحان : من علم ومن عدم وفيهم المتعبان : الجهل والحشم

فإذا استقرّت هذه القاعدة عندك ازددت انشراحاً بالمصيبة وتسلياً
عنها ؛ ثم ابحث تجده أيضاً بقضاء الله وقدره وإرادته واختياره ؛ وقضاؤه لك
خير من قضائك لنفسك . وكن من محنة في طيها نعمة لا يدرها إلا من يعلم
العواقب . فكن مع الله كالميت بين يدي الغاسل ، واعلم أنه حينئذ لا يفعل
بك إلا ما هو خير لك ؛ وكن كما قال الشاعر :

وقف الهوى بي حيث أنت ؛ فليس لي متأخر عنه ولا متقدّم
أجد الملامة في هوائك لذينة حباً لذكرك فليكني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان^(٣) حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي عامداً ما من يهون عليك بمن يكرم

فإذا استقرّت هذه القاعدة الأخرى عندك ازددت سروراً على سرور .
ثم ابحث عن فوائد المحنة تلقها كثيرة ، وافهم أنها لولا المحنة لم تحصل هذه

(١) كذا في ف . وفي ط (ناقضها الفتح النقي) وفي د (ناقضها الفتح المعنى) .

(٢) في ل (جار) .

(٣) كذا في د . وفي ف (صار) .

الفوائد . فإذا المحنة نعمة ، والبليّة عطيّة ، وعند هذا يتم انشراحك وسرورك ،
وتصل إلى درجة الرضا بالمقدّر ، كما كان السلف رحمهم الله :

يستعذبون بلاياهم كأنهم لا يبتسون من الدنيا إذا قتلوا
ولسنا نقول ذلك حتّا على حبّ البلاء ، وحبّ له ، نعوذ بالله منه ، ولكن
نقوله تسليّة لمن حلّ به ؛ فتعريف دواء المرض لا يوجب حبّ المرض ،
ولا طلبه . نسأل الله العافية ؛ فإنّ عافيتّه أوسع لنا . وإذا فهمت هذا وتأملتّه مع
قوله صلى الله عليه وسلم (كل قضاء الله للؤمن خير) الحديث وانشرح
لذلك تمّ لك نوع من الأمور التي يرجى باعتمادها^(١) عود النعمة ، وزوال
النقمة . فإن قلت : أين لي هذه الفوائد ؟ وعدّها ؛ ليتّ سرورى . قلت : حظ
هذا الكتاب منها تنبيهك من سِنَةِ الغفلة ؛ فإنّا قد بيّنا لك أنك من قبل
تفريطك أتيّت ؛ فلو لم يتداركك الله بلطفه ، ويزوى عنك تلك النعمة لتتذكر ،
وتتنبه من منامك لبقيت طائشاً في غيائك ، مُتَحَيِّراً^(٢) في طغيانك . وذلك يؤول إلى
فساد حالك بالكلية . فلول المحنة — والحالة هذه — نعمة . وإن أردت حصر
الفوائد التي فيها فلن تجد إلى ذلك سبيلاً ، لسكثرت ، وخروج بعضه عن إدراك
أفهامنا ؛ فإن حكمَ الرّبّ تعالى منها ما ندركه ، ويُتفاوت فيه^(٣) بقدر تفاوتنا في العلوم
والمعارف ؛ ومنها ما تقصّر العقولُ عن إدراكه . ولسلطان العلماء شيخ الإسلام
عز الدين محمد بن عبد السلام رضى الله تعالى عنه كلام على فوائد المحن والرزايا ،
أنا أحكيه لك بجمليته . قال رضى الله عنه : للمصائب والبلايا ، والمحن والرزايا
فوائد ، تختلف باختلاف رُتب الناس . إحداها^(٤) معرفة عزّ الريوية وقهرها .

(١) كذا في ف . و في ط ، د (باجماعها) .

(٢) كذا في د . و في ف ، ل (متحيراً) . و في ر (مستعزاً) .

(٣) كذا في ف . و في د (ويتفاوت فهمه بقدر تفاوتنا) . و في ط (ويتفاوت فيه . مدرتنا

في العلوم) . و في ز (ما ندركه ويتفاوت فيه بقدر تفاوتنا) .

(٤) كذا في ف ، د ، ر ، ط . و في ل (واحدتها) .

والثانية^(١) معرفة ذلة^(٢) العبودية وكسرها . وإليه الإشارة بقوله تعالى « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » اعترفوا بأنهم مملوك وعبيده ، وأنهم راجعون إلى حكمه وتديره ، وقضاء وتقديره ، لا مفر لهم منه ، ولا محيد لهم عنه . والثالثة الإخلاص لله تعالى ؛ إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه ، ولا معتمد في كشفها إلا عليه ، « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » . فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين . الرابعة الإجابة إلى الله ، والإقبال عليه ، « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه » . الخامسة التضرع والدعاء « وإذا مس الإنسان ضر دعا » ، « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » ، « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » ، « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية » . السادسة الحلم عمن صدرت عنه المصيبة « إن إبراهيم لأواه حلیم » ، « فبشرناه بغلام حلیم » (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والآفة) وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها . فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم . السابعة العفو عن جانباها « والعافين عن الناس » ، « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ، والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو . الثامنة الصبر عليها . وهو موجب لمحبة الله تعالى ؛ وكثرة ثوابه « والله يحب الصابرين » ، « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) . والتاسعة الفرح بها ، لأجل فوائدها ؛ قال عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون^(٣) بالرخاء) وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حبذا المكروهان : الموت والفقر . وإنما فرحوا بها ؛ إذ لا وقع لشدتها ومرارتها ، بالنسبة إلى ثمرتها وفائدها ؛ كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة

(١) كذا في ف . وفي ناسخ (والناس) .

(٢) كذا في د ، ط . وفي ف (دل) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (كما يفرحون) .

لها ، مع تجرّعه لمرارتها . العاشرة الشكر عليها ؛ لما تضمنته من فوائدها ؛ كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه ، المانع من شهواته ، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء . الحادية عشرة تمحيصها للذنوب والخطايا ، وما أصابكم من فيها كسبت أيديكم ، (ولا يصيب المؤمن وَصَب ولا نصب حتى ألهم يهّمه ^(١)) والشوكة يُشاكها إلا كفر به من سيئاته) الثانية عشرة رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم ؛ فالناس معافى ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء ، واشكروا الله تعالى على العافية .

وإنما يرحم العشاق من عشقا .

الثالثة عشرة معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها ؛ فإنّ النعم لا تعرف أقدارها ^(٢) إلا بعد فقدّها . الرابعة عشرة ما أعدّه الله تعالى على هذه الفوائد : من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها . الخامسة عشرة ما في طيها من الفوائد الخفية ؛ « فعسى أن تكثر هوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ، وعسى أن تكثر هوا شيئاً وهو خير لكم ، « إن الذنن جاءوا بالآفك عصبية منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في تلك ^(٣) البلية ^(٤) أن أخدمها هاجر ، فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فكان من ذرية إسماعيل سيّد المرسلين وخاتم النبيين ، فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية ؛ وقد قيل :

كم نعمة مطوية لك بين أثناء المصائب
وقال آخر :

ربّ مبعوض كره فيه لله لطائف ^(٥)

(١) كذا في د ، ط . وفي ف (يصبه) .

(٢) كذا في النسخ ماعدا وفيها (لا يعرف مدارها) .

(٣) كذا في ف ، د . وفي ط (كان في طي تلك) .

(٤) كذا في ل ، ر ، ط . وفي ف . د (البلية والمصيبة) .

(٥) سمط هذا البيت من ف ، د .

السادسة عشرة أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر ، فإن نمرود لو كان فقيراً سقيماً فاقد السمع والبصر لما حاج إبراهيم في ربه ، لكن حمله بطر الملك على ذلك ، وقد علل الله سبحانه وتعالى حاجته بإيتائه الملك فقال : « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ، ولو ابتلي فرعون بمثل ذلك لما قال أنا ربكم الأعلى » وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » ، ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ، « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه » ، « لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه » ، وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع^(١) الأنبياء . ولهذا الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون^(٢) الأمثل فالأمثل ؛ نسبوا إلى الجنون والسحر والكهانة ، واستهزئ بهم ، ونُسخر منهم ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، وقيل لنا « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله (ألا إن نصر^(٣) الله قريب) » ، « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » ، « لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وتغربوا عن أوطانهم ، وكثر عناؤهم واشتد بلاؤهم ، وتكاثر أعداؤهم ، فغلبوا في بعض المواطن ، وقتل منهم بأحد وبئر معونة وغيرهما من قتل ، وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وقتل أعزأوده ،

(١) كذا في كل النسخ ما عدل ففيها (هم الأنبياء وأتباع الأنبياء) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) .

(٣) لم يذكر في ف ، د (نعمة الآية وهو ما بين القوسين) .

ومثل بهم ، فشمت^(١) أعداؤه ، واغتم أولياؤه ، وابتلوا يوم الخندق ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وكانوا في خوف دائم ، وعُرى لازم ، وفقر مُدقع ؛ حتى شددوا الحجارة على بطونهم ، من الجوع . ولم يشجع سيد الأولين والآخرين من خبز بُرٍّ في يوم مرتين . وأودى بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه ، ثم ابتلى في آخر الأمر بمسيلة وطيحة والعنسى . ولقي هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه ، ومات ودرعه [مرهونة^(٢)] عند يهودى على آصع من شعير . ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتَهَدون^(٣) بالبلاء الوقت بعد الوقت ، يبتلى الرجل على قدر دينه : فإن كان صليباً^(٤) في دينه شدد في بلائه . ولقد كان أحدهم يوضع الميشار^(٥) على مفارقة فلا يصدده ذلك عن دينه . وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمن مثل الزرع^(٦) لا تزال الريح تميله) ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيها^(٧) الريح ، تصرعها مرة وتعدلها مرة^(٨) حتى تهيج) فخال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله عز وجل ، وحال العاقبة والنجم صارفة للعبد عن الله تعالى ، وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مسته ، فلأجل ذلك تقللوا في المآكل والمشارب [والملابس^(٩)] والمناكح والمجالس والمساك^(١٠) والمراكب وغير ذلك ؛

-
- (١) كذا في ف ، د . وفي ط (فشمت) .
 (٢) كذا في ف . ولم ثابت هذه اللفظة في باقي النسخ .
 (٣) كذا في كل النسخ ما عدا ز وهامس ل ففيها (يفتدون) .
 (٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (صليباً) .
 (٥) كذا في ف ، د . وفي ط (المنشار) .
 (٦) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (مثل الخامة من الزرع) .
 (٧) كذا في د ، ل ، ط . وفي ز (نعلها) وفي هامس ل (بأسيها) .
 (٨) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (واعدلها أخرى) .
 (٩) كذا في د ، ل ولم يذكر هذه اللفظة في باقي النسخ .
 (١٠) كذا في ف ، د . وفي بقية النسخ تفاوت في ترتيب هذه الأشياء .

ليكونوا على حالة توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه .
السابعة عشرة الرضا الموجب لرضوان الله تعالى ؛ فإن المصائب تنزل
بالبرِّ والفاجر ؛ فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ، ومن
رضيها فله الرضا ، والرضا أفضل من الجنة وما فيها ؛ لقوله تعالى :
« ورضوان من الله أكبر ، أى من جنات عدن ومساكنها الطيبة .

فهذه نبذة^(١) مما حضرنا^(٢) من فوائد البلوى . ونحن نسأل الله تعالى
العفو والعافية في الدنيا والآخرة ؛ فليسننا من رجال البلوى . وفقنا الله تعالى
للعمل بما يحب^(٣) ويرضى ، وبرئانا من المحن والرزايا .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله عوداً على بدء ومحتماً على مفتتح
وسلم تسليماً دائماً باقياً إلى يوم الدين آمين^(٤) وحسيننا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

(١) كذا في كل النسخ . أعدا ف ، ر ففهما (مد) .

(٢) سقط هذا اللفظ من د .

(٣) كذا في ف . ز . وفي ل (للعمل الصالح بما يحب) وفي د (لما يحب) وفي ط (للعمل

الصالح بما يحب ورصى) .

(٤) لم تنس هذه اللفظة في ف ، د

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

مع تمييز الأعلام الواردة في تعليقات اللجنة بحرف « ت » وما جاء في المقدمة ،
فبحرفه الأبجدي المقابل للرقم في صفحات الكتاب .

ابن بNDAR (على بن بNDAR) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .	(١)
ابن تيمية (أبو العباس أحمد تقى الدين ابن عبد الحليم بن عبد السلام) : ز ، ٢٤ ، ٢٤ « ت » .	الآبارى = دواد بن سليمان بن داود الآبارى .
ابن الجصاص : ٩٤ .	الآثاري : ٧ « ت » .
ابن الجلال (الحسن بن على بن أبي بكر) : ٦٩ « ت » .	آدم (أبو البشر) : ١٥٠ .
ابن الجوزي : ١١٤ .	ابراهيم بن محمد الشيرازي = أبو اسحاق ابراهيم بن مقسم (أبو ابن علي) في : ابن علي .
ابن الحاجب : ل ، ٧٨ .	ابراهيم الجيلي ، في : داود بن بNDAR .
ابن حبيب : ط .	ابراهيم الخشوعي (أبو بركات) في : بركات .
ابن حجر (الحافظ العسقلاني) : ٥٠ « ت » ، ٩٦ « ت » ، ١٢٢ « ت » .	ابراهيم (الخليل) عليه السلام : ١١٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .
ابن الخلال = الحسن بن على بن أبي بكر محمد بن الخلال .	ابراهيم المصري (أبو ذى النون) في : ذو النون .
ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن ابراهيم بن على بن أبي بكر الشافعي) : ١١ « ت » ، ٢٣ « ت » ، ٦٩ « ت » ، ٧٩ .	ابراهيم الوراق (أبو احمد) في : الوراق .
ابن خيران (أبو على الحسين بن صالح) : ٧٢ ، ٧٢ « ت » .	ابن الأثير (المبارك بن محمد الجزري) : ٨٢ ، ٨٢ « ت » .
ابن دحية (الإمام أبو عمرو عثمان بن الحسن السبتي) : ٩٦ ، ٩٦ « ت » .	ابن الأكناني = هبة الله بن الأكناني .
	ابن الإمام : ١١٤ .
	ابن بنت الأعز (قاضي القضاة) : ح ، ط .
	ابن بNDAR (داود بن بNDAR) = داود ابن بNDAR .

- ابن دريد : ٩٣ .
 ابن دقيق العيد (شيخ الاسلام تقي الدين محمد بن علي القشيري) : ٧٠ ، ٧٠ .
 « ت » : ١٥٤ ، ١٥٤ .
 ابن رافع : ٩٦ « ت » .
 ابن الرفعة : ٦٤ ، ٦٥ .
 ابن الرومي (الشاعر) : ١٣٣ .
 ابن زعيم = سارية .
 ابن سبكتكين (يمين الدولة محمود) : ١١٩ .
 ابن السلموس : ط .
 ابن السمعاني (الإمام أبو مظفر) : ١٢٥ .
 ابن سيرين (محمد الإمام التابعي) : ٧٣ .
 ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو علي بن الحسين) :
 ٨٠ ، ٧٧ .
 ابن شيخ الشيوخ = عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ .
 ابن الصفار = أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار .
 ابن الصلاح (تقي الدين عثمان بن الصلاح الكردي) : ٨٢ ، ٨٢ ، ٢١ :
 « ت » : ١١٠ ، ١١٠ .
 ابن عباس = عبد الله بن عباس .
 ابن عبد البر (أبو عمر المحدث الأندلسي) : ٧٤ .
 ابن عرفة : ٨٩ .
 ابن عساكر : ٨٣ « ت » .
 ابن علي (اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم) :
 ٧٣ ، ٧٣ « ت » .
 ابن عمر = عبد الله بن عمر .
 ابن عون : ٧٣ .
 ابن القراء (الحافظ المحدث الحسين بن مسعود البغوي) : ٨٢ ، ٨٢ « ت » .
 ابن الفركاح (الشيخ تاج الدين) : ١٤٧ .
 ابن فضل الله العمري : و
 ابن الفيل : ٨٩ .
 ابن قاضي الجبل (العباس احمد بن الحسن الحنبلي) : ر ، ح « ت » .
 ابن قاضي اليمين (جد شقراء بنت يعقوب) : ٧٢ .
 ابن قطر السمسار : ٩١ .
 ابن القوبع = ركن الدين بن القوبع .
 ابن ماجه : ٨٢ « ت » .
 ابن المبارك = عبد الله بن المبارك .
 ابن مرداس = العباس بن مرداس .
 ابن مسعود = عبد الله بن مسعود .
 ابن المظفر الأشعري = أبو العباس ابن المظفر .
 ابن مقسم (جد ابن علي) في : ابن علي .
 ابن النقيب (محمد بن أبي بكر) : ه ، ه « ت » .
 ابن هبيرة (الوزير) : ٩٢ .
 ابن الوردى : و .
 ابن يزيد : ٩٣ « ت » .
 ابن يونس : ١٤١ .
 أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) :
 ٨٤ « ت » .
 أبو اسحاق الشيرازي (الإمام ابراهيم ابن محمد) : ٨٤ ، ٨٤ « ت » .

أبو الحديد = أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان .

أبو الحسن الأشعري : ٢٣ ، ٢٣ « ت » .

٧٥ ، ٧٩ « ت » ٨٠ ، ٨٧ ، ٩٦ « ت »

أبو الحسن علي بن أحمد البصري : ٧٢ « ت »

أبو حفص بن الصغار = عصام الدين

أبو حفص الخ .

أبو حنيفة (النعمان الإمام) : ٣٩ ، ٤٤ ،

٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ١٠٢ .

١٠٣ ، ١٢٣ .

أبو حيان التوحيدى (علي بن محمد بن العباس) :

٤٤ ، ٤٤ ، ٤٤ « ت » ٩٧ ، ١٣٥ .

أبو خالد ، في : إسماعيل بن أبي خالد .

أبو داود (صاحب السنن) : ٥ ، ٤٣ ، ٤٣ ،

« ت » ٥٢ ، ٥٢ « ت » ٨٢ « ت » ١١٦ .

أبو زرعة : ٩٥ .

أبو سعد بن أحمد النيسابورى (أبو شيخ

الشيوخ) في : شيخ الشيوخ .

أبو سعد المحسن بن محمد الجشمي : ٦٩ .

أبو سليمان الجيلي = داود بن بندار .

أبو طالب ؛ في : علي بن أبي طالب .

أبو طالب ؛ في : يحيى بن أبي طالب

أبو طاهر السلفي (الحافظ) أو (الحافظ بن

طاهر) أو (الحافظ بن أبي طاهر) :

٦٩ ، ٦٩ ، « ت » ٩١ .

أبو الطاهر يوسف بن عمر بن يوسف : ٧

أبو الطيب المتنبي = المتنبي .

أبو العباس المظفر = أبو العباس بن المظفر

الأشعري .

أبو اسحاق المروزي : ١٢٨ .

أبو البركات اسماعيل بن أبي سعد بن أحمد

النيسابورى = شيخ الشيوخ .

أبو بكر بن أيوب (أبو السلطان الكامل)

في : السلطان الكامل .

أبو بكر أحمد بن الحسن = البيهقي .

أبو بكر الباقلاني (القاضي) : ٧٩ ، ٧٩

« ت » ٨٠ ، ١٣٧ .

أبو بكر الشاشي (محمد بن أحمد بن الحسين

بن عمر) : ٨٥ « ت » .

أبو بكر الشبلي (دلف بن جحدر) :

١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .

أبو بكر (الصديق عبد الله بن أبي قحافة

الخليفة الراشد) : ٢٣ ، ٤٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٨ .

أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي

الحديد : ٧ ، ٧ « ت » .

أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري :

٧ ، ٧ « ت » .

أبو بكر محمد بن الخلال في : الحسن بن علي

بن أبي بكر الخ .

أبو بكر محمد بن يحيى العدوى : ٧٢ ، ٧٣ .

أبو جعفر الطحاوي (أحمد بن محمد بن

سلامة) : ٢٢ ، ٢٢ « ت » ٢٣ ،

٢٣ « ت » ٧٥ .

أبو حامد الإسفرايني (القاضي) : ٤٤ ، ٤٤

« ت » ٧٩ .

أبو حامد الغزالي (حجة الإسلام) =

الغزالي .

أبو القاسم محمود بن عمر الزنجشري =
الزنجشري .
أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى
العثماني الديباجي = الديباجي .
أبو محمد الجويني (عبد الله بن يوسف
الشافعي أبو إمام الحرمين) : ١١٩ ،
١١٩ « ت »
أبو مسعود القاضي = القاضي أبو مسعود .
أبو مسهر : ٨٩ .
أبو مشهر = مشهر .
أبو مظفر بن السمعاني = ابن السمعاني .
أبو المعالي إمام الحرمين الجويني ؛ عبد الملك
ابن الشيخ أبي محمد : ٧٩ ، ٧٩
« ت » ٨٠ ، ١١٩ ، ١١٩ « ت »
أبو منصور الدمياطي = فتح الدين بن علي
أبو موسى الأشعري : ٢٣ « ت »
أبو نصر تاج الدين السبكي = تاج الدين
السبكي .
أبو نصر الفارابي = الفارابي .
أبو نواس : ١٠٣ .
أبو هريرة : ٥ ، ٥٢ .
أبو هند في : سعيد بن أبي هند
أبو يزيد : ٩٨ .
أحمد بن إبراهيم الوراق = الوراق .
أحمد بن الحسن البيهقي = البيهقي .
أحمد بن الحسن الحنبلي = ابن قاضي الجبل .
أحمد بن حنبل (الإمام الحافظ أبو عبد الله) :
ص ٧ ، « ت » ٣٩ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
١٠٢ : ١٤٧ .

أبو العباس بن المظفر الأشعري : ٦٩ ، ٨٥
أبو العباس الوراق = الوراق .
أبو عبد الله الحافظ : ١٥٤ .
أبو علقمة الواسطي : ٩٢ ، ٩٣ .
أبو علي بن سينا (الرئيس) = ابن سينا
أبو علي الروذباري = الروذباري .
أبو علي الدقاق : ٨٥ .
أبو عمر بن عبد البر = ابن عبد البر .
أبو عمر الأوزاعي .
أبو عمرو بن دحية = ابن دحية .
أبو عمرو بن العلاء : ٩١ ، ٩١ « ت »
أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني : ٧ ،
٧ « ت »
أبو الفتح الثقفي : ١٥٥ .
أبو الفداء : ٧٩ « ت »
أبو فراس بن حمدان : ١١٨ .
أبو الفرج البغدادي : ٩٧ .
أبو الفتح بن دقيق العيد = ابن قيق العيد .
أبو الفضل إسماعيل الحاكم = الحاكم
أبو الفضل .
أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن
عمر الصفار : ٨٥
أبو القاسم الجنيد = الجنيد .
أبو القاسم الراغب : ٩٥ .
أبو القاسم سليمان بن أحمد = الطبراني .
أبو القاسم عبد الله بن هوازن القشيري :
١١ ، ١١ « ت » ٨٥ ، ٧٥ ، ١٢٠ .
أبو القاسم علي بن محمد بن علي النيسابوري
السكراني : ٧٢ .

أحمد بن صالح المصري : ٧٤ .
 أحمد بن عبد الواحد بن محمد : ٧ .
 أحمد بن عثمان بن أبي الحديد في : أبو بكر
 محمد بن أحمد .
 أحمد بن عثمان الذهبي (أبو الحافظ شمس
 الدين) في : الذهبي .
 أحمد بن علي الجزري = الجزري .
 أحمد بن علي الحنبلي : ٦٩ .
 أحمد بن القاسم الصوفي (أبو محمد الروذباري)
 في : الروذباري .
 أحمد بن قطر السمسار (أبو محمد) في :
 ابن قطر .
 أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي : ٦٩ .
 أحمد بن محمد بن سلامة = أبو جعفر
 الطحاوي .
 أحمد بن محمد الغزالي (أخو أبي حامد محمد
 حجة الاسلام) : ٨٦ .
 أحمد بن منصور بن الصفار (أبو عمر بن
 أحمد) في : عصام الدين أبو حفص .
 أحمد بن منيع : ٦ .
 أحمد بن هبة الله بن عساكر : ٨٥ .
 إسحاق بن عبد الله بن عمر قاضي اليمن : ٧٢ .
 إسحاق بن مرار الشيباني = أبو عمر
 إسحاق الخ .
 إسحاق الخوارزمي في : أحمد بن محمد بن
 إسحاق .
 إسحاق الكندي (أبو يعقوب) في :
 يعقوب .
 الاسفرايني = أبو حامد الاسفرايني .

أسماء بنت أبي بكر : ١٢٢ .
 إسماعيل بن أبي خالد : ٧ .
 إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم = ابن علي
 إسماعيل بن إبراهيم (النبي عليهما السلام) .
 ١٥٨ .
 إسماعيل بن أبي سعد شيخ الشيوخ
 النيسابوري = شيخ الشيوخ .
 إسماعيل بن سعد المعدل : ٩١ .
 إسماعيل بن عبد الله بن عمر بن قاضي
 اليمن : ٧٢ .
 إسماعيل الحاكم ؛ في : الحاكم أبو الفضل
 الأشرف = السلطان الأشرف .
 الأشعث بن قيس الكندي : ٦ .
 الأشعري = أبو الحسن الأشعري .
 الأشموني : ٩٧ « ت » .
 الإصطخري : ١٤٢ .
 الأصمعي : ٩٣ .
 أعين (الطيب) : ٩٢٠ ، ٩٣ .
 الأكفاني = هبة الله بن الأكفاني .
 الإمام إبراهيم بن محمد الشيرازي =
 أبو إسحاق .
 الإمام أبو سعد عبد الله بن عمر الصفار : ٨٥ .
 الإمام أبو عمرو بن دحية = أبو عمرو
 ابن دحية .
 إمام الحرمين = أبو المعالي (إمام الحرمين)
 الجويني .
 الإمام الشافعي = الشافعي .
 الإمام شمس الدين المقدسي = شمس الدين
 محمد المقدسي .

(ت)

ميرس = الظاهر ميرس .
البيضاوى (القاضى صاحب المنهاج) : ى .
البيهقى (الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن
الشافعى الحافظ) : ٨٢ ، ٨٢ «ت» ٨٣ ،
«ت» ١٤٧٠ .

تاج الدين السبكى الشافعى (شيخ الإسلام) :
المؤلف .

تاج الدين المراكشى (محمد بن ابراهيم) :
٩٦ ، ٩٦ «ت» .

الترمذى (صاحب السنن وهو أبو جعفر
محمد بن أحمد بن نصر الشافعى) : ٨٢ ، ٥٠ .
تقى الدين بن تيمية = ابن تيمية .

تقى الدين بن دقيق العيد — ابن دقيق العيد .
تقى الدين السبكى = السبكى .

تقى الدين عثمان بن الصلاح = ابن الصلاح .
التمار (أبو الحسن على بن أحمد بن صالح
البصرورى) : ٧٢ ، ٧٢ «ت» .

التوحيدى = أبو حيان التوحيدى .
التهامى (الشاعر الأندلسى هو أبو الحسن
ابن على بن محمد) : ١٥٤ .

(ث)

ثمود : ١٠٠ .
ثوبان بن ابراهيم المصرى = ذو النون .
الثورى = سفيان الثورى .

أم المؤمنين = عائشة .

أمير على الماردىنى : د ، ز ، ص .

الأنبارى : ٧ «ت» .

أنس بن مالك (الصاحب) : ٨٣ «ت» .

الآنصارى (فى شاهد) : ٨٩ .

الأوزاعى : ١١٧ .

أيوب رأس الأسرة الأيوبية : فى : السلطان
الكامل .

(ب)

الباقلانى = أبو بكر .

البخارى «الإمام أبو عبد الله محمد بن
اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن
بردزبه»

الحافظ صاحب الجامع الصحيح : ٢٤
«ت» ٨٢ ، «ت» .

بركلانى (الستشرق الألمانى) : ى ، ن .
بركات بن ابراهيم الخشوعى : ٧ ، ٧ «ت»
البرمكى = يحيى بن خالد البرمكى .

برهان الدين الرسغنى : و

برهان الدين السنجارى (الخصر بن حسن
ابن على : و

البغوى الحافظ الحسين بن مسعود =
ابن القراء .

بكار (أبو الزبير) فى : الزبير .

البلقىنى = سراج الدين .

بنت الأعز : فى : ابن بنت الأعز .

بهاء الدين بن حنا : ن .

البهاء السبكى : و

الحريري : ٩١ « ت » .

الحسن بن علي ، أو : (الحسن بن أبي بكر
محمد بن الخلال) : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .

الحسن البصري : ١٥٣ .

الحسين بن مسعود البغوي = ابن القراء .
حفص (الإمام القاري) : ٨ « ت » .

الحناط ، أو : (الحنطاطي) : ٩٠ ، ٩٠ « ت » .
الحنبلي = أحمد بن علي الحنبلي .

الحياط : ٩٠ « ت » .

(خ)

خالد البرمكي (أبو يحيى بن خالد) في : يحيى
ابن خالد .

الخطاط : ٩٠ « ت » .

الخرايطي = أبو بكر محمد بن جعفر
الخرايطي السامري .

الخشوعي = بركات بن ابراهيم الخشوعي .
الخضر بن حسن بن علي = برهان الدين
السنجاري .

الخطاب (أبو عمر بن الخطاب) في : عمر
خواجا نصير = نصير الدين الطوسي .

الخوارزمي = أحمد بن محمد بن إسحاق
الخوارزمي .

الخياط : ٩٠ ، ٩٠ « ت » .

(د)

داود بن بندار بن ابراهيم الجيلي أبو
سليمان : م .

(ج)

جبريل (عليه السلام) : ٨٠ ، ٨١ « ت » .

الجراح بن مليح : ٦

الجرجاني (القاضي أبو الحسن علي بن
عبد العزيز) : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .

الجزري (أحمد بن علي) : ٩١

الجزري = ابن الأثير .

جعفر الخرايطي ؛ في : أبو بكر محمد بن
جعفر الخرايطي .

جعفر الهمداني : ٦٩ .

جمال الدين الإسنوي : ز .

الجنيد بن محمد (أبو القاسم شيخ الصوفية
وإمامهم) : ١١٩ ، ١١٩ « ت »

١٢٠ « ت » ، ١٢١ ، ١٥٢ .

الجهشياري : ٢٨ « ت » .

الجويني = أبو محمد .

الجويني = أبو المعالى .

الجلي = داود بن بندار .

(ح)

الحاكم أبو الفضل اسماعيل بن محمد بن
الحسن : ٦٩ .

الحافظ بن طاهر ؛ أو : ابن أبي طاهر =
أبو طاهر .

الحافظ أبو العباس بن الظفر =
أبو العباس الخ .

الحجاج (هو ابن يوسف الثقفي) : ١٥٤ .

داود بن سليمان بن داود الآباري : ٧ ،
٧ « ت » .

الدقاق = أبو علي الدقاق .

دلف بن جحدر = أبو بكر الشبلي .

الدمياطى = فتح الدين بن علي أبو منصور
الدمياطى .

الديباجي (الإمام أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن بن يحيى العثماني الديباجي) :

٦٩ ، ٦٩ « ت » .

(ذ)

الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن

عثمان : د . ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٧ « ت » .

ذو بطن بن خارجة : ١٢٢ .

ذو النون المصري (ثوبان بن إبراهيم

الصوفي) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .

(ر)

الرازي = نضر الدين الرازي .

الرافعي (الفقيه) : ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ١٢٧ ،

١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ .

الرسول = (محمد عليه السلام) .

رسول الله (عليه السلام) = محمد

عليه السلام .

ركن الدين بن القوبع (محمد بن عبد الرحمن

التونسي المالكي) : ٩٦ ، ٩٦ « ت » .

الروذباري (أبو علي محمد بن أحمد بن

القاسم الصوفي) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .

(ز)

الزبير بن بكار : ٩٤ .

الزرقاني : ٤٢ « ت » .

الزخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن

محمد) : ٦٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

الزيادي = أبو طاهر الزيادي .

زينب بنت الكمال المقدسية : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .

(س)

سارة : ١٥٨ .

سارية بن زعيم : ١٢٢ ، ١٢٢ « ت » .

السامري = أبو بكر محمد بن جعفر

الخراطبي السامري .

سبكتكين في : ابن سبكتكين .

السبكي (الإمام تقي الدين شيخ الإسلام

والد المؤلف) : د ، هـ ، و ، ز ، ج ، ط ،

ك ، ل ، م ، ن ، س ، ف ، ٩ ، ٢٣ ،

« ت » ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٨ ،

٨٠ ، ٨١ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٩ .

سراج الدين البلقيني : ز .

سعيد بن أبي هند : ٥٢ ، ٥٣ .

سعد المعدل (أبو اسماعيل) في :

اسماعيل بن سعد .

سفیان الثوري : ٦٣ ، ٦٨ .

السلطان الأشرف : ح .

السلطان الكامل (محمد بن أبي بكر بن

أيوب) : ٩٦ .

شمس الدين محمد المقدسي : ١٤٦ « ت » .
 الشهرزورى : ١٢٨ « ت » .
 الشيباني = أبو عمرو بن اسحاق بن مرار .
 شيخ الاسلام أبو الفتح بن دقيق العيد =
 ابن دقيق العيد .
 شيخ الإسلام ؛ سلطان العلماء عز الدين
 عبد السلام = عز الدين الخ .
 شيخ الإسلام يحيى بن شرف = النووى
 الشيخ تاج الدين = تاج الدين المراكشى
 شيخ الشيوخ (أبو البركات إسماعيل بن
 أبي سعد بن أحمد النيسابورى) : ٧٢
 الشيرازى = أبو إسحاق الشيرازى .

(ص)

الصافى (الحسن بن محمد) : ٨١٠٨١
 « ت » .
 الصديق = أبو بكر الصديق .
 صفي الدين الهندى (محمد بن عبد الرحيم) :
 ٩٦ « ت » .
 صلى الله عليه وسلم = محمد (عليه السلام) .
 الصيمرى : ١٠٤ .

(ط)

الطبرانى (أبو القاسم سليمان بن أحمد
 الحافظ) : ٨٢ : ٨٢ « ت » : ٨٣ .
 الطبرى = عبد الرحمن بن حسين الطبرى .
 الطحاوى = أبو بكر الطحاوى .
 طرفاى (نائب حلب) : و
 طليحة بن خويلد الأسدى : ١٦٠ .

السلطان لاجين : ٧٠ « ت » .
 السلفى = أبو طاهر السلفى .
 سليمان بن أحمد الطبرانى = الطبرانى .
 سليمان بن داود الآبارى : فى : داود
 ابن سليمان .
 سليمان (أبو عبد السميع) فى : عبد السميع .
 السمسار = ابن قطر .
 السنجارى = برهان الدين السنجارى .
 سيف الدولة قطز = قطز .
 السيوطى (الحافظ جلال الدين) : ط
 سيد الأولين والآخرين = محمد (عليه
 السلام) .
 سيد المرسلين = محمد (عليه السلام) .

ر

الشاشى = أبو بكر الشاشى .
 الشافعى (محمد بن إدريس الإمام) : ل ،
 س ، ٨ ، ٨ ، ٨ « ت » ، ١٥ ، ١٥ ، ١٥ « ت » ،
 ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٢ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،
 ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
 ١٢٥ ، ١٤٣ .
 الشبلى = أبو بكر الشبلى .
 الشعرانى (الشيخ عبد الوهاب) : ز ، ح
 ١٢٠ « ت » .
 شقراء بنت يعقوب بن إسماعيل بن عمر
 قاضى الدين : ٧٢ .
 شمس الدين الذهبى = الذهبى .

الطوسي الغزالي = أبو حامد .
الطوسي = نصير الدين الطوسي .

(ظ)

الظاهر بيبرس : ٥١ .

(ع)

عاصم : في : علي بن عاصم .
عائشة ؛ أم المؤمنين : ٧٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ .
العباس بن مرداس : ٩٧ .

العباس (أبو عبد الله بن عباس) في :
عبد الله .

عبد السلام (أبو العز بن عبد السلام شيخ
الإسلام) في : عز الدين .

عبد السميع بن سليمان . ٧٣ .
عبد العزيز (أبو عمر بن عبد العزيز) في :
عمر .

عبد العزيز الجرجاني (أبو علي بن عبد العزيز)
في : الجرجاني .

عبد الغفار القزويني : ٨٣ ، ٨٣ « ت » .
عبد الكريم بن محمد المحاملي = المحاملي
عبد الكريم بن هوازن = أبو القاسم
القشيري .

عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ النيسابوري : ٧٢ .
عبد الله (شاهد في شعر) ٩٧ ، ٩٨ .
عبد الله بن عباس . ١٠٤ .
عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي = الديباجي
عبد الله بن عمر : ١٤٧ .

عبد الله بن عمر الصفار = عصام الدين .
أبو حفص الخ .

عبد الله بن المبارك : ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٣ « ت »
عبد الله بن مسعود : ٤٣ ، ١٥٧ .

عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد إمام الحرمين
= أبو المعالي الجويني .

عبد الرحمن بن حسين الطبري : ٨٥ « ت » .
عبد الرحمن بن يحيى العثماني الديباجي
(أبو عبد الله) في : الديباجي .
عبد شمس : ٩٧ ، ٩٨ .

عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي =
تاج الدين السبكي .

عبد الهادي (أبو محمد) في : محمد بن
عبد الهادي .

عثمان بن أبي الحديد في : أبو بكر بن محمد
ابن أحمد بن عثمان .

عثمان بن الحسن السبني = ابن دحية .
العدوي = أبو بكر محمد بن يحيى العدوي
عدى : ١٤٧ .

العراقي = عيسى بن محمد .
العز بن عبد السلام = عز الدين
عز الدين بن عبد السلام (شيخ الإسلام
وسلطان العلماء) : ٥١ ، ٥١ « ت » ،

١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٥ ، ١٥٦ .
عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن
منصور بن الصفار . ٨٥ .
عقيل بن أحمد (أبو محمد بن عقيل) في :
محمد بن عقيل .

العنسي (الأسود العنسي المتنبئ، الكاذب) :
١٦٠ .

عونة (امرأة) : ١٠٠ .
عيسى بن صهر النحوى : ٩٢ . ٩١ .

(غ)

الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد
الطوسي حجة الإسلام) : ٧٨ ،
٨٦ ، ١١٤ ، ١٣١ ، ١٤٢ .

الغزالي (أحمد بن محمد بن محمد الطوسي
أخو حجة الإسلام) = أحمد الغزالي .

(ف)

الفارابي (أبو نصر) : ٧٧
فاضل باشا : ص

فاطمة بنت أبي عمر : ٦٩ ، ٦٩ « ت »
الفتح البقي : ١٥٥

الفتح الثقي : ١٥٥ « ت »
فتح الدين بن علي أبو منصور الدمياني :
٨٦ ، ٩٠

نجر الدين الرازي (الإمام المفسر) : ٧٨
فرعون (لغز) : ١٠٠
فرعون (الملك) : ١٥٩

الفضيل بن عياض : ٦٧ ، ٦٧ « ت »

(ق)

قارون : ١٠٠

القاضي أبو حامد = الإسفرايني

علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين) : ٢٠ ،
١٢٢ ، ٤٤ .

علي بن إسماعيل -- أبو الحسن الأشعري
علي بن أبي محمد بن الخلال في الحسن بن علي الخ
علي بن حاصم : ٧ .

علي بن عبد العزيز الجرجاني = الجرجاني .
علي بن عبد الكافي : ل .

علي بن محمد بن علي النيسابوري =
أبو القاسم علي الخ .

علي بن الهيثم : ٩٢ ، ٩٢ « ت » .
علي النيسابوري ، في : أبو القاسم علي بن
محمد بن علي النيسابوري .

عمر بن أحمد بن منصور الصفار =
عصام الدين أبو حفص .

عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين) : ١٩ ،
١٩ « ت » ، ٢٢ ، ٢٤ « ت » ،
٥٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

عمر بن عبد العزيز (أمير المؤمنين) : ٣٣ ،
١٥٤ ، ١٥٣ .

عمر بن قاضي اليمين (أبو إسماعيل ؛
ولإسحاق) فيهما .

عمر بن محمد الزنجشري (أبو محمود الزنجشري)
في : الزنجشري .

عمر بن يوسف (أبو يوسف) في : يوسف
ابن عمر بن يوسف .

عمرو بن العاص : ١٢٣ .

العمري = ابن فضل الله العمري .
عنتر (عنتر بن شداد العبسي) : ١٤٣

القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز
الرجاني = الجرجاني
القاضي أبو مسعود (يعني صالح بن أحمد
ابن القاسم بن يوسف) : ٧٢
القزويني = عبد الغفار القزويني .
القشيري = أبو القاسم عبد الكريم بن
هوازن القشيري .

القشيري = محمد بن علي القشيري .
قطز (الملك المظفر سيف الدين) : ٥١
القفال (العلامة الفقيه وهو القفال الصغير
أبو بكر عبد الله بن أحمد بن
عبد الله المروزي) : ١١١ ، ١٥٠ .
قيس الكندي (أبو الأشعث بن قيس)
في : الأشعث .

(ك)

الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب =
السلطان الكامل .
الكندي = الأشعث بن قيس الكندي .

(ل)

لاجين = السلطان لاجين .

(م)

المارديني = أمير علي المارديني .
مارية (القبطية) : ٨١ « ت » .
المأمون (أمير المؤمنين) : ٩٢ « ت » ،
١٠٤ ، ١٠٥ .
مالك بن أنس (الإمام) : ط ، ٣٩ ،
٧٦ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

المبارك بن عبد الجبار : ٩١ .
المبارك بن محمد الجزري = ابن الأثير .
المتني (أبو الطيب) : ٦٩ « ت » .
المحاملي عبد الكريم بن محمد : ٩١ .
المحسن بن محمد الجشمي = أبو سعد
المحسن الخ .

محمد (رسول الله عليه السلام) : ج ، ١ ، ٣ ،
٦٦٥ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ ،
٤٣ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
٨٠ « ت » ، ٨١ ، ٨١ « ت » ، ٨٣ ،
٨٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٠ .
١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
١٦١ .

محمد بن أحمد بن عثمان أبي الحديد = أبو
بكر بن محمد الخ .
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي = الذهبي .
محمد بن أحمد القاسم = الروذباري .
محمد بن أحمد بن قطر السمسار = ابن
قطر السمسار .
محمد بن إدريس الشافعي (الإمام) =
الشافعي .
محمد بن إسحاق الخوارزمي (أبو أحمد)
في : أحمد بن محمد الخ .
محمد بن جعفر الخرائطي = أبو بكر محمد
ابن جعفر الخرائطي .
محمد بن الحسن (أبو إسماعيل الحاكم)
في : الحاكم أبو الفضل .

- محمد بن الخلال في : الحسن بن علي الخ .
 محمد بن عبد الرحمن التونسي = ركن
 الدين بن القوبيع .
 محمد بن عبد الهادي : ٦٩ ، ٩١ .
 محمد بن عقيل بن أحمد : ٧ .
 محمد بن علي القشيري = ابن دقيق العيد .
 محمد بن علي النيسابوري : في : أبو القاسم
 علي بن محمد الخ .
 محمد بن يحيى العدوي = أبو بكر محمد
 ابن يحيى .
 محمد الجشعي (أبو المحسن) في : أبو سعد
 المحسن بن محمد .
 محمد الزمخشري (أبو عمر بن محمد) في :
 الزمخشري .
 محمد الصادق حسين بك : د
 محمد المحاملي (أبو عبد الكريم) في :
 المحاملي .
 محمد يوسف موسى (الشيخ) : ج
 محمود بن سبكتكين = ابن سبكتكين .
 محمود بن عمر بن محمد الزمخشري = الزمخشري
 محمود الوراق : ٨ .
 المروزي = أبو إسحاق المروزي .
 المزني (هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل
 ابن عمرو بن إسحاق الأسكني بأبي
 إبراهيم صاحب الشافعي) : ٢٢ .
 المزي (جمال الدين أبو الحجاج يوسف
 ابن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي
 ثم السكبي) : د
 مسلم (بن الحجاج القشيري) : ٤٣ ، ٨٢
 (ت) : ١١٥ ، ١٤١ ، ١٥٢ .
- مسيمة (الحنفى الكذاب) : ١٦٠ .
 مشهر : ٨٩ « ت » .
 المصطفى (عليه السلام) = محمد (عليه
 السلام) .
 معاوية بن أبي سفيان (أمير المؤمنين) : ٤٣ .
 المعتصم (أمير المؤمنين العباسي) : ١١٨ .
 المعدل = اسماعيل بن سعد العدل .
 الملك الظاهر بيبرس = الظاهر بيبرس .
 الملك المنصور قلاوون = المنصور قلاوون .
 المنصور (أمير المؤمنين للمنصور العباسي) :
 ٢٨ ، ٢٨ « ت » .
 منصور بن الصفار : ٨٥ .
 المنصور قلاوون (الملك) : ٥١ ، ٥١ « ت » .
 منصور النمرى (الشاعر) : ٢٧ « ت » .
 منيع (أبو أحمد) في : أحمد بن منيع .
 مهر من (المستشرق السويدي) : ن .
 موسى (عليه السلام) : ٧ ، ٩٧ « ت » .
- (ن)
 النبي صلى الله عليه وسلم = محمد (عليه
 السلام) .
 النسائي (هو أحمد بن علي بن شعيب ابن
 علي) : ٢٤ « ت » ، ٨٢ « ت » .
 نصير الدين الطوسي (محمد بن محمد ابن
 الحسن) : ٧٨ ، ٧٩ ، ٧٩ « ت » ، ٨٠ ،
 ٨٠ « ت » .
 نصير الطوسي = نصير الدين .
 النعمان بن بشير (صاحب) : هـ .
 النمرى (الشاعر) = منصور النمرى .

الوراق (أبو العباس أحمد بن إبراهيم
الوراق) : ٩١ .
الوراق (محمود) = محمود الوراق .
وستنفلد (المستشرق) : ن .
وكيع بن الجراح بن مليح : ٦ .

(ي)

ياقوت (الحموى) : هـ « ت » .
يحيى بن أبي طالب : ٧ .
يحيى بن خالد البرمكي : ٢٧ « ت » .
يحيى بن شرف (شيخ الإسلام) = النواوى
يحيى العثمانى الديباجى ؛ فى : الديباجى .
يحيى العدوى (أبو محمد) فى أبو بكر محمد
ابن يحيى .
يعقوب بن إسحاق الكندى : ٩٥ .
يعين الدولة محمود بن سبكتكين : ابن
سبكتكين .
يوسف (الصديق) عليه السلام : ٢١ « ت »
يوسف بن عمر = أبو الطاهر .
يوسف بن عمر العراقى : ٩٢ .

النواوى أو النووى (شيخ الإسلام يحيى
ابن شرف الشافعى الأنصارى) :
د ، د « ت » : ٢٠ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦١ ،
٨٢ ، ٨٢ « ت » : ١١٤ ، ١٢٧ . ١١٥ ،
١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٧ .
النيسابورى = أبو القاسم على بن محمد
ابن على .

(هـ)

هاجر : ١٥٨ .
هاشم : ٩٧ .
هامان (لغز) : ١٠٠ .
هبة الله بن الأكنفانى (أبو محمد بن أحمد)
٧ ، ٧ « ت »
الهمدانى = جعفر الهمدانى .
الهيثم (أبو على) ؛ فى : على بن الهيثم .

(و)

الواسطى أبو علقمة = أبو علقمة الواسطى

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
المدال السامى والعشرون (الطواسنيه)	٣٩	مقدمة المؤلف	١
» التاسع » (الحاجب)	٤٠	(الكلام على العم وشكرها)	
» الثلاثون (القباء فى أبواب		المدال الأول	١٢
الحجاب والولاية وغيرهم)	٤٢	» الثانى	١٢
» الحادى والثلاثون (الوالى)	٤٣	» الثالث	١٣
» الثانى » (الدواب)	٤٦	» الرابع	١٥
» الثالث » (أسراء الدولة)	٤٦	» الخامس	١٦
» الرابع » (الأجناد)	٥٤	» السادس (أواب السلطنة)	٢١
» الخامس » (أسراء العرب	٥٤	» السابع (الدوا دار)	٢٥
فى هذا الزمان)		» الثامن (الحارندار)	٢٦
» السادس » (الماضى)	٥٥	» التاسع (أستاذ الدار)	٢٦
» السابع » (كاتب القاضى)	٦٠	» العاشر (الوزير)	٢٧
» الثامن » (حاجب)	٦١	» الحادى عشر (مشدد الدواوين)	٢٨
» التاسع » (نقيب)	٦٢	» الثانى » (الدواوين فى سائر	٢٩
» الأربعمون (أمناء)	٦٢	الجهاب)	
» الحادى والأربعمون (وكلاء دار	٦٢	» الثالث » (كاتب السر)	٣٠
القاضى)		» الرابع » (الموقعون)	٣١
» الثانى » (الشهود)	٦٣	» الخامس » (المهمندار)	٣١
» الثالث » (ناظر الوصف	٦٤	» السادس » (البريدية)	٣٢
ونحوه) ...		» السابع » (ناظر الخيش)	٣٣
» الرابع » (وكيل بيت المال)	٦٥	» الثامن » (السلحدار)	٣٤
» الخامس » (المحتسب)	٦٥	» التاسع » (الحمدار)	٣٤
» السادس » (العلماء)	٦٧	» العشرون (الطبردار)	٣٥
» السابع » (المفتى)	١٠١	» الحادى والعشرون (الجوكاندار)	٣٥
» الثامن » (المدرس)	١٠٥	» الثانى » (الجدارية)	٣٥
» التاسع » (المعيد)	١٠٨	» الثالث » (البشمقدار)	٣٦
» الخسون (المفيد)	١٠٨	» الرابع » (أمير علم)	٣٧
» الحادى والخسون (المنهى من	١٠٨	» الخامس » (أمير شكار)	٣٧
الفهاء)		» السادس » (أمير آخور)	٣٧
» الثانى » (فهاء المدرسة)	١٠٨	» السابع » (السقا)	٣٧

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٠٩	المثال الثالث والخمسون (قارىء العشر)	١٣٤	المثال الرابع والثمانون (الزيت)
١٠٩	» الرابع » (المنشد)	١٣٤	» الخامس » (الكحل)
١١٠	» الخامس » (كاتب غيبة)	١٣٤	» السادس » (الحائك)
	(الفقهاء)	١٣٥	» السابع » (القيم في الحمام)
١١٠	» السادس » (القراء والألحان)	١٣٥	» الثامن » (الدهان)
١١١	» السابع » (حازن الكتب)	١٣٥	» التاسع » (الخياط)
١١١	» الثامن » (شيخ الرواية)	١٣٦	» التسعون (الصاغ) ...
١١٢	» التاسع » (كاتب غيبة)	١٣٧	» الحادى والتسعون (الساطور)
	(السامعين)	١٣٧	» الثانى » (الفراشون)
١١٢	» السنون » (الخطيب)	١٣٨	» الثالث » (البابا)
١١٣	» الحادى والستون (الواعظ)	١٣٨	» الرابع » (المریدار)
١١٣	» الثانى » (القاص)	١٣٩	» الخامس » (الطشدار)
١١٢	» الثالث » (قارىء الكرسى)	١٣٩	» السادس » (الصيرفى)
١١٤	» الرابع » (الإمام)	١٤٠	» السابع » (المكارى)
١١٥	» الخامس » (المؤذن)	١٤١	» الثامن » (العريف)
١١٥	» السادس » (المؤقت)	١٤١	» التاسع » (المقاشون)
١١٩	» العاشر » (الصوفية)	١٤١	» المائة (عاسل الموتى) ...
١٢٤	» الثامن » (شيخ الحانقاه)	١٤٢	» الحادى بعد المائة (السجان)
١٢٥	» التاسع » (فقراء الخوانق)	١٤٢	» الثانى » (الجزار)
١٢٦	» السبعون » (خادم الحانقاه)	١٤٣	» الثالث » (المشاعلية)
١٢٦	» الحادى والسبعون (شيخ الزاوية)	١٤٣	» الرابع » (الدلالون)
١٢٦	» الثانى » (أصحاب الحرف)	١٤٤	» الخامس » (البواب)
	(والأموال)	١٤٤	» السادس » (سائس)
١٢٧	» الثالث » (صاحب الررع والشجر)		(الدواب)
١٢٨	» الرابع » (الصيدون)	١٤٥	» السابع » (الكلايزى)
١٢٩	» الخامس » (شاد العائز)	١٤٥	» الثامن » (حارس)
١٢٩	» السادس » (البناء)		(الدواب)
١٢٩	» السابع » (الطيسان)	١٤٦	» التاسع » (الطوفية)
١٣٠	» الثامن » (معلم الكتاب)	١٤٦	» العاشر » (الكاسح)
١٣١	» التاسع » (الناسخ)	١٤٦	» الحادى عشر » (الإسكاف)
١٣٢	» الثمانون ... (الوراق)	١٤٧	» الثانى » (رماة)
١٣٢	» الحادى والثمانون (المجلد)	١٤٧	» الثالث » (الشعاد)
١٣٣	» الثانى » (المذهب)	١٦٣	(فهرس الأعلام) ...
١٣٣	» الثالث » (الطبيب)	١٧٨	(فهرس الموضوعات) ...